٨٤٤
ك ١٤
٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الاردنية
كلية الاداب
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

المرزباني وكتابه الموشح

باشراف

الأستاذ الدكتور محمود السمره
أستاذ النقد الادبي
نائب الرئيس لشؤون الكليات الانسانية

الباحث

الطالب ياسين يوسف عايش خليل

تاريخ المناقشة
/ / ١٩٨٦

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الأردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلمـــــــة شكـــــــر

صاحب هذا البحث مدين للأستاذ الانسان الدكتور محمود السمره الذى كـان لرعايته له أكبر الأثر في رسم معالم هذه الدراسة ، ومواكبة انجازات الباحـــث نفسيا مبشرا وهاديا ، ومما لا يفوت الباحث أن ينوه به في الأستاذ الكبير أن وضـع بين يدى طالبه مكتبته ، فلك ياأستاذى العظيم الشكر كله والتقدير ،

٠٣٠/٦٦

كما أتقدم شكرى أيضا الى كل من قدم لي جزءا من وقته وجهده وخاصـــة زوجتي التي حملت معي هم كل حـــرف من حروف هذه الدراسة ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب الموشح كتاب نقدي متميز في بابه ، أبرز فيه المرزباني مآخذ العلماء على الشعراء بدءا بامرئ القيس وانتهاء بابن الرومي . وقد ظلت مكانة هذا الكتاب في باب النقد الأدبي غير موفاة حقها من الجلاء والوضوح ، فحاولت في هذه الدراسة أن أبرز تلك المكانة قدر المستطاع .

أما المرزباني ، مؤلف الموشح ، فإن التراجم عنه نزرة أو مكرورة ، ولهذا حاولت في هذه الدراسة أيضا أن أميط عنه جانبا من الغموض ، وأن أبدد الأوهام التي وقع فيها بعض الدارسين المتأخرين والمحدثين حوله ، كما عرفت ببعض مؤلفاته ، وخاصة ما طبع منها . وقد جعلت هذه الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة : تحدثت في الفصل الأول منها عن بعض النواقص والأخطاء في تحقيق الموشح ، وتناولت بالنقد الدراسات السابقة لهذه الدراسة ، وبسطت القول في المؤلف ومؤلفاته ، وخصصت الفصل الثاني للحديث عن الموشح : اسمه وسبب التسمية ، ودوافع تأليفه ، كما تحدثت عن شيوخ المرزباني ، لأن ذلك يقود إلى التعرف للمصادر التي استقى المرزباني منها مادة كتابه ، ووصفت منهج المؤلف وخطته والأساس الذي اعتمده في تقسيم الشعراء إلى مجموعات ثلاث . أما الفصل الثالث فتناولت فيه دراسة ما في الموشح من قضايا نقدية ، وقضايا أخرى جانبية ، فأبرزت من خلاله القضايا النقدية التالية : النقد اللغوي والنحوي ، الانتحال والسرقات الشعرية ، المفاضلة والموازنة بين الشعراء ، الفحولة ، الأخلاق والدين والشعر ، مبدأ اللياقة ، براعة الاستهلال ومساوئه ، القديم والمحدث ، نقد المعنى ، النقد العروضي . أما الظواهر الأخرى التي تبدو في الموشح والتي تبرز المرزباني علما أخباريا فهي التكرار وظاهرة الشرح اللغوي والجانب التاريخي ، ثم ختمت هذا الفصل بإبراز مواطن إضافات المرزباني الخاصة في ميداني النقد والأخبار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الخاتمة فقد خصصتها لإبراز أثر الموشح في التواليف التالية.

كان منهجي في هذه الدراسة مزيجا من المنهجين الوصفي والتحليلي ،وذلك حسبما يقتضيه الموقف ، فحياة المرزباني ومؤلفاته تطلب الوقوف عند الوصف وذلك من خلال النظر في كل ما استطعت الاطلاع عليه في كتب التراجم والأخبار والأدب . وكان من مصادري في دراسة هذه الجوانب : الفهرست ، وتاريخ بغداد ،والأنساب ، ووفيات الأعيان ،ومعجم الأدباء ،وسير أعلام النبلاء ،ومخطوطة عيون التواريخ ، فضلا عن مؤلفات المرزباني الباقية . أما دراسة ما في الموشح من قضايا فقد اعتمدت المنهج التحليلي ، بحيث تطلب مني أن أقرأ هذا الكتاب قراءة فاحصة متأنية لاستخلاص مافيه من قضايا نقدية ، ثم عرضها عرضا جديدا يختلف تمام الاختلاف عن طريقة المرزباني نفسه، فكان من مصادري في دراسة هذه الجوانب كتاب فحولة الشعراء ، وطبقات فحول الشعراء، ونقد الشعر ، وعيار الشعر ،والكامل والأغاني . كما كان كتاب الأستاذ إحسان عباس " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " أهم كتاب محدث أفدت منه في هذه الدراسة .

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض الصعوبات التي واجهت هذه الدراسة ، وأولها — كما قدمت — شح المعلومات عن المرزباني في المصادر القديمة : وهو أمر فتح الباب أمام بعض الدارسين المتأخرين إلى بناء أوهام عن هذا العالم، تابعهم فيها بعض الدارسين غير المحققين من المحدثين ،وثانيها منهج المرزباني في الموشح ، إذ كان المرزباني معنيا بإيراد كل ما وقع عليه من أخبار وآراء عن الشخصية التي يعرض لها في نسق غير ثابت ولا مطرد ، فجاءت القضايا النقدية ،لذلك ، متناثرة متباعدة على امتداد صفحات الكتاب كله ،وثالثها ، التباين الكبير في مناهج المؤلفات التي عوّل المرزباني عليها في تأليف الموشح ، فبعض تلك المصادر في العروض والقوافي ، وبعضها في النحو واللغة ،وبعضها في الأخبار والأنساب ، وبعضها في النقد الفني الخالص .

وبعد، فهذه محاولة جادة في وضع المرزباني بين أعلام الأخباريين العرب وأعلام النقد في مؤلفه الموشح ،أرجو أن أكون قد وفقت فيها،وأن تنال رضى أساتذتي ،والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الاول

أ ـ عناية المعاصرين بكتاب الموشح

١ ـ طبعـــــه

٢ ـ النسخ المخطوطة من الموشح

٣ ـ الدراسات السابقة لهذه الدراسة :

أ ـ دراسة منير سلطـــان

ب ـ دراسة زكي مبـــارك

جـ ـ دراسة وليد قصـــاب

ب ـ حياة المرزبانـــــي

اسمه وكنيتـــه

لقبـــــــــه

أسرتـــــــه

أصله ومولـــــده

حياته الخاصـــة

ثقافته وصفاتـــه

هل نظم المرزباني الشعر ؟

المرزباني بين التشيع والاعتـزال

وفاتـــه

جـ ـ مؤلفـــات المرزبانـي :

اتجاهات التأليف عنـده

مؤلفاته التي وصلـــــت :

معجم الشعراء

أشعار النساء

أخبار شعراء الشيعة

أخبار السيد الحميـري

نور القبس المختصر من المقتبس

نصان من كتابي "أخبار أبي نواس" و"المستنير"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ ـ عناية المعاصرين بكتاب الموشح :[١]

****

١ ـ طبعـــه :

طبع الموشح مرتين ، كانت الأولى بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ . وقـد جاءت هذه الطبعة خلوا من التعليق والتوثيق ، وافتقرت إلى الفهارس المنظمة الجامعـة ، فاستدعى الأمر إعادة طبع الكتاب بصورة أفضل . وتولى الأستاذ علي محمد البجاوى تحقيـق هذه الغاية ، فتلافى في طبعة الكتاب الثانية التي صدرت سنة ١٩٦٥ ، النواقص في التعليـق والتوثيق ، وزوّد الكتاب بفهارس عامة ذات قيمة كبيرة ، ففهرس أول للموضوعات وثان للشعـراء ونوانيهم ، وثالث لأنصاف الأبيات ، ورابع لقوافي الشعر ، وخامس للأعلام ، وسادس للأمكنـة والبلاد ، وسابع للمسائل اللغوية والنحوية والبلاغية والنقدية في الكتاب ، وثامن لمراجـع الضبط والشرح والتحقيق ، وأنهى ذلك كله بقائمة استدراكات وتصويبـات .

وعلى الرغم من الجهد الكبير الذى بذله الأستاذ البجاوى في إخراج كتاب الموشـح على الصورة التي هو عليها الآن ، فإن في تحقيقه غير قليل من العثرات والأخطاء والنواقص ،

من ذلك مثلا أن الاستاذ المحقق قد أخذ على نفسه عهدا بأن يعرف "بالشعـراء الذين عرض المؤلف لشعرهم في الكتاب (١) ومع ذلك نجده يتجاهل التعريف ببعـض الشعراء المغمورين ، مع أنه يعرف بشعراء أكثر منهم شهرة ، فهو لم يعرف مثلا بالشعراء: أوس ابن مغراء القُرَيْعي ، وعقال بن خُوَيْلد العُقَيْلي ، وسُوار بن أوفى القُشَيْري (٢) ، ويعرف بشاعر مشهور كأبي الشَّمَقْمق ،(٣) وقد يورد تعريفا بشاعر مشهور فيأتي تعريفه به بلا غناء ، من ذلـك قوله في الحويدرة : (الحويدرة اسم شاعر ، وربما قالوا الحادرة ، اللسان حدر) (٤) ومثـل

---

١ ـ الموشح ، مقدمة التحقيق ، ص "ط"

(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص ٩١ ، وانظر في ترجمة أوس بن مغراء ، ابن قتيبة الدينوري : الشعر والشعراء ، دار الثقافة بيروت ، ص٥٧٧ ، الأصفهاني : الأغاني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب : مؤسسة جمال للطباعة ، بيروت ، بلا تاريخ ، جـ ٥ ، ص١٠ ـ ١٢ . وفي ترجمة سوار: انظر: الشعر والشعراء ، ص٣٦٠ .

(٣) انظر: الموشح ، ص٩٠

(٤) انظر: نفسه ، ص١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا التعريف بالحويدرة لا قيمة له ، بل لو تجاهله لكان أفضل ، لأن صاحب أدنى نظر في الأدب العربي يعلم أن "الحويدره" في السياق الذى ورد فيه إنما هو اسم لشاعر، وأنه صاحب المفضلية الثامنة ، وهي العينية المشهورة (١) :

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ بُكْرَةً فَتَمَتَّعِ ... وَغَدَتْ غُدُوَّ مُفارِقٍ لم يَرْبَعِ

ومن الشعراء الذين تجاهل المحقق التعريف بهم نذكر الشاعر عبدالله بن مسلم بن جُنْدب الهُذَليّ (٢)، فقد جاءت المعلومات عنه في الموشح مبتسرة نزرة ، فكان الأولى بالمحقق أن يزيدنا تعريفا بها ، مع أن لهذا الشاعر ترجمة وجيزة ، وأربع قصائد في ديوان الهذليين(٣) .

ومن الأمثلة على النواقص في التحقيق نثبت هذا المقتطف من الموشح :

"كان قُرادُ بنُ حَنَش المُرّي من شعراء غطفان .. وكانت شعراء غطفان تُغير على شعره فتأخذه وتدعيه ، منهم زهير بن أبي سُلمى ، ادعى هذه الأبيات :

إن الرزيئةَ لا رزيئةَ مثلُها ... ما تبتغي غَطَفانُ يوم أُضَلَّتِ

وهي لقراد بن حنش ."(٤) .

فعبارة "هذه الأبيات ... وهي لقراد بن حنش" وقبلها عبارة : "منهم زهير بن أبي سلمى ، ادعى هذه الأبيات" تعين أن تكون هناك جملة أبيات له ، لا بيت واحد ، وإذن كان على المحقق أن يقول في الحاشية : وتمام الأبيات ، كما في طبقات ابن سلام(٥) الذى كان مصدر المرزباني في هذا الخبر والشعر، هو :

إن الرِّكابَ لتبتغي ذا مِرَّةٍ ... بجَنُوبِ نَخْلَ إذا الشهور أُحَلَّتِ

ولنِعْمَ حَشْوُ الدرْعِ أنت لنا إذا ... نَهَلَتْ من العَلَقِ الرِّمَاحُ وعَلَّتِ

يَنْعون خيرَ الناسِ عند كريهةٍ ... عَظُمَتْ مصيبتُهم هناك وجَلَّتِ

١ـ انظر في ترجمة الحويدرة : المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ط٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ ، القصيدة الثامنة ؛ ديوان شعر الحادرة ، تحقيق ناصر الدين الاسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣ ؛ والاغاني ، جـ ٣ ، ص ٢٧٠

٢ـ انظر : الموشح ، ص٣٥٩

٣ـ انظر : شرح أشعار الهذليين بصنعة السكرى ، تحقيق عبد الستار فراج ومحمود محمد شاكر مطبعة المدني ، سنة ١٩٦٥ ، جـ ٢ ص٩٠٩ ـ ٩١٢ .

٤ـ الموشح ، ص٥٩

٥ـ ابن سلام الجمحي . طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، جـ ٢ ، ص٧٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك عشرات موسيقية في أبيات الشعر التي وردت في الموشح لم ينص عليها المحقق ، او اكتفى بذكر وجه آخر لرواية البيت الشعرى دون ان ينص على ما في رواية هذا البيت ،كما هي في الموشح ،من فساد في العروض .

ومن الأمثلة التي نضربها على الوجه الأول بيت دعبل بن علي الخزاعي :[1]

إن امرءاً أسدى إليّ بشانع إليه ويرجو الشكرَ مني ، لاحُمَقْ

فالرواية الصحيحة موسيقيا لهذا البيت هي[2]:

وإن امرءاً أسدى ، ... (وليس البيت مطلع قصيدة فيجوز فيه حذف الواو) .

ومن الأمثلة التي نضربها على الوجه الثاني قول عمر بن أبي ربيعة :

بينما يَنْعَتْنَني أبْصَرْنَنِي دونَ قِيدِ المِيْلِ يَغْدُو بي الأعْسَر

قالت : أتعرفْنَ الفتى؟قلن نَعَمْ ، قد عرفناه ، وهل يخفى القمر ؟

فقد اكتفى المحقق بإيراد الملاحظة التالية : " في الأغاني بعده :

قالت الكبرى : أتعرفْن الفتى قالت الوسطى : نعم ، هذا عمر

قالت الصغرى : وقد تَيَّمتها قد عرفناه ، وهل يخفى القمر[3]؟

ولم ينص على أن رواية البيت الثاني ، كما هي في الموشح ، مختلة الموسيقى .

هذا ،فضلا عما في الكتاب من أخطاء لم ينص المحقق عليها في قائمة التصويبات والاستدراكات ، ومن تلك الأخطاء ما ورد في بيت الحكم الخُضْرى التالي[4]:

ياصاحبيّ ألم تَشيما عارضًا نُضِحَ الصُّرادُ به نهضْبَ المِنْخَرِ

فرواية البيت التي يقتضيها السياق ، والتي نص عليها أبو الفرج الأصفهاني والبكرى هي[5]:

١ــ انظر : الموشح ، ص٤٥٨

٢ــ انظر : الصولي : أخبار أبي تمام ، تحقيق خليل محمود عساكر ، وصاحبيه ، ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ٦٣ ؛ ابو هلال العسكرى : الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٢ ، ص ٢١٣ .

٣ــ الموشح ، ص ٣٢٠

٤ــ نفسه ، ص ٣٥٧

٥ ــ انظر: الأغاني ، جـ ٢ ، ص٢٨٤ ؛ البكرى : معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١ ، جـ ٢ ، ص ٨٣٠ حيث قال البكرى : هضب المنخر : هضاب في أرضيتي ثعلبة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ياصاحبيَّ ألم تشيما عارضًا نُضِحَ الصَّرادُ به نهضْب المَنْحـــر

فلفظة " نصح " كما هي في الموشح ، لا معنى لها ،والذى في القاموس : نضحتنا السماء أى أمطرتنـــا(١)

ومنهـــا كذلك قول المحقق في ترجمته لعلي بن محمد العلوى الكوني : " حدثني جبلـــة ابن محمد الكوني بالبصرة ، سنة اربع وسبعين ومئتين وألف "(٢) إذ الواضح أن كلمة ألف هنـــا جاءت زائـــدة .

وهكذا يتبين لنا ، من جملة الملاحظات السابقة ، ومن أخرى غيرها لم ننص عليها ، ضرورة التدقيق في الكتاب لدى إعادة نشره في قابل الايام ، وبحيث تراعى إلى جانب ذلك الملاحظات التاليـــة :

١ــ استقاء عدد أكبر من مصادر التحقيق ، وخاصة الكتب التاليـــة : " نحولة الشعراء " و" الأغاني " و" الكامل " و" أخبار البحترى " ، فهناك عدد كبير من النصوص الواردة في هذه الكتب موجودة بنصها في الموشح ، مما لم يقف عليه الأستاذ البجاوى ، حسبما سنبين في حديثنا عن مصادر المرزباني في تأليف "الموشح" .

٢ــ بذل مزيد من الجهد في ضبط النصوص ، لأن معنى بعض النصوص يستغلق فهمه على المتخصصيـــن ، إلى جانب بذل المزيد من الجهد في توضيح معنى الكثير منها . وللتدليـــل على ذلك نسوق المثال التالي كما ورد بصورته في الموشح : " كان أبو عمرو بن العلاء أشد تسليما للعرب ، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم ، كان عيسى يقول : أساء النابغـــة في قوله :

فَبِتُّ كأني ساوَرَتْني ضَئيلـــةٌ من الرُّقْشِ في أنيابها السَّمُّ ناقـــع

ويقول : موضعه ناقعا . قال : وكان يختار السَّم والشَّهد وهي علوية(٣)."

فالعبارة الأخيرة : " وكان يختار ... علوية " يتعذر فهمها ، فكان على الأستاذ المحـــقق أن يضبط السين والشين في " السُّم والشُّهد " بالضم أولا ، وأن يورد ،ثانيا،تعليق الأستـــاذ محمود محمد شاكر على هذه العبارة ، وهو قوله : " العالية كل ما كان جهة نجد من أرض الحجاز ، وأهلها فصحاء العرب ، والنسبة اليها عُلْوِي على غير قياس ... وانظر اللسان : سـم وفيه قال يونس: أهل العالية يقولون السُّم والشُّهد يرفعون ، وتميم تفتح السَّم والشَّهد(٤)."

---

(١) اللسان ، مادة نضح
(٢) الموشح ، ص٥٢٩
(٣) نفسه ، ص٥٠
(٤) طبقات ابن سلام ، جـ ١ ، ص ١٦ ، واللسان ، مادة سم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ــ أن تعتمد النسختان الخطيتان الأخريان اللتان لم يطلع عليهما الأستاذ البجاوى لدى تحقيقه الموشح ، واللتان أشار اليهما منير سلطان ، وقال إنهما محفوظتان في مكتبة جامعة الإسكندرية[١].

٢ــ النسخ المخطوطة من الموشح :

أشار الأستاذ البجاوى إلى نسختين خطيتين اعتمدهما في تحقيق الموشح :

الأولى هي نسخة الشنقيطي ، وهي مكتوبة بخط مغربي ، قال عنها إنها مضبوطة ضبطا كاملا ، وهي موجودة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦ ش ، وعدد صفحاتها ٢٣٨ صفحة .

والثانية نسخة الخزانة التيمورية ، وهي برقم ٥٥٥ أدب ، وهي أيضا بدار الكتب المصرية . وقد ذكر البجاوى أنها مكتوبة بخط عادي ، وصفحاتها ٣٩٣ صفحة ، وأنها منقولة عن النسخة الأولى[٢].

وتاريخ نسخة الشنقيطي هو سنة ١٣٠٥ للهجرة ، وقد نقلها ناسخها من نسخة الوزير محمد ابن العلقمي ، وناسخها هو محمد بن علي المعروف بالنقاش ، وتاريخ نسخه إياها هو سنة ٦٣٧ للهجرة . ونسخة النقاش هذه منقولة من نسخة عبد السلام بن الحسين البصرى الذى نسخها سنة ٣٦٦ للهجرة من نسخة المؤلف نفسه[٣].

ويذكر منير سلطان أن للموشح نسختين أخريين : الأولى نسخة سيد بن علي المرصفي التي نقلها من نسخة الوزير عبد السلام بن الحسين البصرى المنقولة من أصل المؤلف أبي عبيد الله المرزباني ، وكتب المرصفي هذه النسخة في ربيع الأول من سنة ١٢٣٥هـ ، وهي محفوظة بمكتبة جامعة الاسكندرية ، برقم ٨٧٤ ، وعدد صفحاتها ٢٧٥ صفحة ، ومعنى ذلك أن نسخة المرصفي ذات قيمة خاصة ، لأن ناسخها كان قد اعتمد على نسخة أقدم من الأصل الذى اعتمد الشنقيطي في نسخته بحوالي ثلاثة قرون .

١ــ انظر : منير سلطان : المرزباني والموشح ، ط١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٨ ، ص ١٠ .
٢ــ انظر في تفصيل ذلك : الموشح ، مقدمة التحقيق ، ص "ط ، ى "
٣ــ انظر في تفصيل ذلك : المصدر نفسه ، ص ٥٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنسخة الثانية التي ذكرها منير سلطان هي نسخة أخرى للشنقيطي غير النسخة التي اعتمدها البجاوي في التحقيق ، فهي أقدم تاريخا ، وعدد صفحاتها أقل[١].

٣ــ الدراسات السابقة لهذه الدراسة :

حظي كتاب الموشح ، في حدود ما أعلم ، بثلاث دراسات هي : دراسة زكي مبارك في كتابه " النثر الفني " ودراسة منير سلطان في كتابه " المرزباني والموشح " ودراسة وليد قصاب في مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود .

أ ــ دراسة منير سلطان:

سأقف أول ما أقف على دراسة منير سلطان لأنها على طولها مثقلة بالأوهام والاخطاء والمغالطات ،

فهو من ضحايا المنهج الخاطئ الذي درج عليه بعض كتاب الرسائل الجامعية ، أعني محاولته أن يدرس الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية في عصر المرزباني ، توطئة لدراسة المرزباني نفسه ، يقول : " وانصب جهدي على أن أصور الحياة من خلال الرجل بأن أجعل الرجل شاهدا من شهود العصر . . "[٢] ترى كم شاهدا لا بدّ له أن يستنطق لكي يقوم بدراسة مستوفاة للنواحي التي ذكرها ؟ وهل من المعقول أن يدرس جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية في القرن الرابع من خلال المصادر التي اعتمدها ، وبعضها جزئي ، وبعضها ثانوي لا قيمة له[٣] ، وهو قد أهمل عشرات المصادر التي تفيد في دراسته ! إن دارسا يريد أن يجعل المرزباني شاهدا على عصره وهو لا يملك المعلومات الضرورية عن الرجل نفسه لأعجز من أن يدرس العصر كله ، فهو يقر أن الصورة الواضحة المتكاملة عن المرزباني غير متوافرة " لنشأته

١ــ انظر في تفصيل ذلك : المرزباني والموشح ، ص ٩١

٢ ــ المرزباني والموشح ، ص ١٢

٣ــ اعتمد في دراسة الحياة السياسية على " الفخري " لابن الطقطقي ومروج الذهب للمسعودي وتجارب الامم لمسكويه وأخبار الراضي والمتقي للصولي ، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ، وأخبار الحكماء للقفطي ، واعتمد في دراسة الحياة الاجتماعية على الحضارة الاسلامية لآدم متز ، وتاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن ، وانباه الرواة للقفطي ، وتحفة الامراء للصابي ، ومروج الذهب ، أما الحياة الثقافية فدرسها من خلال التفكير الفلسفي في الاسلام لعبد الحليم محمود ومقدمة كتاب الانتصار للخياط وأحسن التقاسيم للمقدسي والحضارة الاسلامية لآدم متز ، وذكر المعتزلة من كتاب المنية والامل لابن المرتضى والصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعليمه وصباه وشبابه ورجولته ، بل وحياته الخاصة ورحلاته ، وكل ما يمكننا عن الحديث عنه باطمئنان ضاع ....»[١] كما يقر بعجزه عن دراسة الحياة الأدبية للقرن الرابع إذ يقول:

((ولست بقادر على تصوير الحياة الأدبية في القرن الرابع ، فهذا بحاجة إلى فريق يتفرغ للبحث المستفيض في جوانب عصر النهضة الفكرية والأدبية ، القرن الرابع الهجرى ، لأنك إذا أردت ذلك ، فعليك أن تتبع مسار كل علم ، وكل فن منذ نشأته ، وتسير معه ترصد نموه وتطوره لتراه في القرن الرابع الهجرى قد نضج وتعمق ، وتشعبت أوصاله ، وتعددت أركانه ، وصار مذاهب وأعلام (كذا) ، أعلام (كذا) في التاريخ ... وأعلام متكلمون (كذا) ..... وأعلام (كذا) في الأدب والنقد »[٢] وكل هذا تنا قضوهم . ثم إنه يطلق أحكاما غير دقيقة أو صحيحة ، فمن ذلك قوله : (وفي الفصل الثاني تكلمت عن الموشح بين كتب النقد لأقول : إنه ليس كالطبقات ، أو عيار الشعر ، أو نقد الشعر ، أو غيرها ، انما هو أخطر من ذلك ، هو عرض ما في هذه الكتب من وجهات نظر ثم تطبيق مناهجها على الشعراء)[٣] وهذه العبارة على ما فيها من التواء ليست صحيحة ، فليس الموشح كتابا في النقد التطبيقي ، بل هو مجموعة اقتباسات وروايات ألف بينها المرزباني ، فجاءت في كتاب شامل لأصناف من مآخذ العلماء على الشعراء ، فالموشح ، والحالة هذه ليس أخطر شأنا من كتاب طبقات ابن سلام ولا من عيار الشعر " و" نقد الشعر " ، وهذا الحكم الجارف صورة للشطط . وهو يغالط الثابت الأكيد من الحقائق التاريخية عندما عد أبا عبيدة معمر بن المثنى من تيم قريش لاتيميا بالولاء[٤] وعد سيف الدولة الحمداني سني المذهب[٥] ، ونفى أن يكون عضد الدولة البويهي معتزليا[٦] ونسب بيتين من الشعر إلى المرزباني[٧] . وقطع بتشيع محمد بن يحيى

١ــ المرزباني والموشح ، ص ٥٠
٢ــ نفسه ، ص ٣٧
٣ــ نفسه ، ص ١٤
٤ــ المرجع نفسه ، ص ١٨٦ ، وانظر في ترجمة أبي عبيدة : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، جـ ٥ ، ص ٢٣٥ ، السيوطي : بغية الوعاة ، دار المعرفة ، بيروت ، ص ٣٩٥ .
٥ــ المرزباني والموشح ، ص ٥٢
٦ــ المرجع نفسه ، ص ٤٣
٧ــ المرجع نفسه ، ص ٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصولي ، وبنى على ذلك قضايا كثيرة ، مع أن الثابت أن الصولي مات متخفيا في البصرة عندما طلبته الخاصة والعامة لتقوله على علي بن أبي طالب ، وذمه له[٢] وهو يطلق أحكاما كأنها رجم بالغيب ، من ذلك تصوره أن المرزباني أهمل النقل من كتاب " الموازنة " لأن عداء كان قائما بين الصولي والآمدي " فتناوله في كتابه الموازنة بغير قليل من السخرية كما دعا المرزباني أن يتجنب النقل من موازنة الآمدي إخلاصا لأستاذه الصولي ، سخر الآمدي من تحمس الصولي للدفاع عن الجديد ، وتناوله مستهزئا به ، وبمكتبته الشهيرة ومجلداتها ذات الأغلفة الخضراء والصفراء ، مما قلل من حيدة (يريد موضوعية) الآمدي الناقد العظيم ، فوازن بين الشعراء ، ولم يوازن بين الذاتية والموضوعية[٣] هكذا يقول ، مع أن الآمدي والمرزباني كانا متعاصرين ، وليس بين أيدينا من دليل على أي الكتابين الموشح أو الموازنة أقدم تأليفا . ثم إن غاية ماأورده الآمدي في موازنته عن الصولي هو إشارة إلى نسخة من نسخ ديوان أبي تمام صنعها الصولي[٤] .

ومن المغالطات التي يعثر عليها الدارس في كتاب منير سلطان قوله : إن القرن الرابع الهجري هو القرن الذي نضجت فيه العلوم العربية (وأخذت تنشأ عربية مولدة ، ولكنها لم تجر على ألسنة الشعراء ، ولا أدخلت على أساليبهم شيئا من الضيم ، إذ كانوا يتمثلون العربية بخصائصها الجمالية والموسيقية تمثلا تاما .[٥] ففي هذا القول مغالطة كبيرة لأن اللغة المولدة أخذت تظهر في شعر الشعراء منذ بداية العصر العباسي الأول ، بدليل أن اللغويين والنحاة أبطلوا الاحتجاج بشعر شعراء هذا العصر ، ثم إن مافي كتب النقد التي ظهرت في القرن الرابع الهجري من مآخذ على الشعراء دليل على هذا (الضيم) الذي أدخله شعراء هذا العصر على الأساليب العربية[٦]

١ــ المرزباني ، والموشح ، ص٥٨ ، ٢٨٨

٢ــ سترد ترجمته في الحديث عن شيوخ المرزباني

٣ــ المرزباني والموشح ، ص ٤١ (وقد كفت عن تعقب الأخطاء المطبعية في هذه العبارة وفي غيرها ، وصححتها دون الاشارة إلى المطبوع) .

٤ــ انظر الآمدي : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ .

٥ــ المرزباني والموشح ، ص٣٨ ــ ٣٩

٦ــ انظر في ذلك مثلا : الموازنة ، جـ ١ ، ص١٤٦ ــ ٢٩٢ ؛ الوساطة ، بين المتنبي وخصومه تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط٢ ، عيسى البابي الحلبي ، ص٤٤١ ؛ الصناعتين ، ص ١٠٧ ، ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أحكامه غير الصائبة قوله : (يقف ابن النديم وأبو حيان التوحيدي والبغدادي في المقدمة من مترجمي حياة المرزباني ثم يأتي الآخرون)[1] لأن أبا حيان لم يترجم للمرزباني في الامتاع والمؤانسة ـ كما أشار الدارس إلى ذلك في الحاشية ، فضلا عما في تعبيره (ثم يأتي الآخرون) من تعميم لا معنى له .

وقوله كذلك : وكانت نظرة شوقي ضيف في دراسة الموشح من أشمل النظرات[2] لأن الواقع أن شوقي ضيف لم يشر إلا إشارة عابرة إلى الموشح[3] وهو لا يحسن استخدام اقتباساته فتأتي في غير موضعها حينا ، وتأتي متداخلة في تعليقاته حينا ثانيا ، ومن الأمثلة على الضرب الأول قوله : (والمرزباني في كل هذا ناقد يميل إلى مدرسة عمود الشعر ، وإلى الأصول العامة التي رسمها النقاد للشعراء ، يقول الجرجاني في وساطته : وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته[4] .

ومن الأمثلة على الضرب الثاني قوله : (تقول سكينة لكثير حين ينشدها قصيدته التي أولها :

أَشَاقَكَ بَرْقٌ آخِرَ اللَّيلِ واصبُ تَضَمَّنَه فَرْشُ الجَبَا فالمَسَارِب

أتهب لها غيثا عاما جعلك الله والناس فيه أسوة ؟ كانت تريد لعزة شيئا خاصا بكثيِّر يذكرها به ، ويعبر عن تقديره لها ، وحين يقول كثير : يابنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفتُ غيثا فأحسنته وأطرته وأنبته ، وأكملته ، ثم وهبته لها . تقول له : فهلا وهبت لها دنانير ودراهم ، وما كانت عزة بحاجة إلى دنانير ، كانت بحاجة لشيء يملكه كثير يذكرها به ، ويقدرها لديه)[5] .

فليست العبارات " كانت تريد لعزة شيئا خاصا بكثير يذكرها به ، ويعبر عن تقديره لها . . وما كانت عزة بحاجة إلى دنانير ، كانت بحاجة لشيء يملكه كثير يذكرها به ، ويقدرها لديه " في الموشح . بل هي تعليقات سير سلطان نفسه .

وهو يفتقر إلى التحرى والتثبت في أحكامه ،

---

١ ـ المرزباني والموشح ، ص ٤٧

٢ ـ المرجع نفسه ، ص ٤٣٥

٣ ـ انظر شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ، ط ٦ ، دار المعارف بمصر ، ص ١٤٠ ؛ شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ ، ص ٦٢ .

٤ ـ المرزباني والموشح ، ص ٣٨٧

٥ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ، وانظر الموشح ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦

٣٣١٠٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يقول مثلا عن الأواصر المتينة بين الصولي والمرزباني : (يشهد الموشح على متانة هذه الأواصر ، فما من صفحة إلا ولأبي بكر فيها خبر أو رأى)[١]

وهذا الحكم غير صحيح ، ففي الموشح صفحات كثيرة جدا لا ذكر فيها للصولي[٢].

ومن الأمثلة الأخرى على افتقار منير سلطان إلى التدقيق والتثبت في أحكامه قوله : " وفي حديث ابن طباطبا العلوى عن المبالغات المقوتة يعلق المرزباني قائلا " : قد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها ، وهذه الجملة أقحمها على النص بين شاهد لجرير ، وآخر لأبي نواس[٣] "

والجملة التي زعم منير سلطان أن المرزباني أقحمها على النص بين شاهد لجرير وآخر لأبي نواس، موجودة بنصها الحرفي في كتاب "عيار الشعر"[٤] وبين الشاهدين المشار إليهما .

وهو قد أخطأ في فهم منهجية ترتيب الشعراء في الموشح ، إذ بدا له أن " الموشح " كتاب طبقات ، وكأنه يتابع بذلك عبدا لقادر البغدادى[٥] فجعل تأخير حديث المرزباني عن أبي تمام دليلا على تأخير منزلته الشعرية ، يقول : " ويسير المرزباني في موكب القدماء المناهضين لأبي تمام ، فأبو تمام في ترتيب الشعراء المحدثين يحتل في الموشح المرتبة التاسعة عشرة ، وبعد من ؟ بعد بكر بن النطاح ، والفضل الرقاشي ، ومحمد بن وهيب الحميرى ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وبعد مروان بن أبي الجنوب[٦] "

والواقع أن ترتيب الشعراء في الموشح قد روعي فيه التسلسل الزمني دون الالتزام به التزاما قاطعا مانعا ، ولهذا جاء الحديث عن الشعراء الجاهليين متداخلا في الحديث عن الشعراء المخضرمين ، ولو صح ما تصوره منير سلطان لكان عديّ بن الرقاع الشاعر الإسلامي أشعر من عمر بن أبي ربيعة ، فالأول ترتيبه في الموشح الثالث عشر ، والثاني السابع عشر

١ـ المرزباني والموشح ، ص ٣٨٢
٢ـ انظر في ذلك مثلا : الموشح ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥٦ ، ٣٦٠ ـ ٣٧٣ ، ٣٧٦ ـ ٣٨٣ .
٣ـ المرزباني والموشح ، ص ٣٨٢
٤ـ انظر : ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق عباس عبد الستار ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٥٣ ، الموشح ، ص٣٨٢ .
٥ـ انظر عبد القادر البغدادى : خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، جـ ١ ، ص٢٤.
٦ـ المرزباني والموشح ، ص ٣٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولصح على القياس نفسه أن يكون أبو تمام أشعر من البحتري لأن ترتيب البحتري في الموشح بعد ترتيب أبي تمام، وعند ذلك سيصبح من التناقض قول منير سلطان "يسير المرزباني في موكب القدماء المناهضين لأبي تمام ، فأبو تمام في ترتيب الشعراء المحدثين يحتل في الموشح المرتبة التاسعة عشرة "لأن البحتري شاعر محافظ على عمود الشعر العربي ، ومع ذلك فقد جاء ترتيبه العشرين .

والناظر في كتاب منير سلطان هذا يقع أيضا ، على استنتاجات غريبة من ذلك استنتاجه أن المرزباني كان معاديا لمذهب أبي تمام الجديد في البديع ، فيورد على ذلك دليلا غريبا هو منافحة المرزباني عن الفرزدق ، وتفضيله إياه على جرير ، يقول : " ورفضه ـ المرزباني ـ لأبي تمام قد يعود إلى عدم تذوقه لمذهبه الجديد في البديع ، فهو لا يفتأ يؤيد الفرزدق ويدافع عنه ، والفرزدق من فحول أصحاب عمود الشعر . روى عن إسحاق بن إبراهيم أن مروان بن أبي حفصة قال : من نظر في نقائض جرير والفرزدق علم أن جريرا لم يقم للفرزدق ، ويقول المرزباني : وصدق مروان في هذا القول ، والأمر فيه ظاهر غير مستتر ."(١)

وهذا الدليل الذي أتى به منير سلطان على رفض المرزباني لمذهب أبي تمام في البديع متهافت من بابين .

الأول : أنه لا علاقة بين منافحة المرزباني عن الفرزدق والاحتجاج بعدم الرضا عن مذهب أبي تمام الجديد .

والثاني : أن هذه المنافحة عن الفرزدق وتفضيله على جرير ـ فيما يتصوره منير سلطان ـ تعني أن جريرا من أنصار مذهب البديع . وهذا تصور لم يقل به أحد ، ثم إن المرزباني قدم الفرزدق على جرير في النقائض حسب ، وكلا الشاعرين قديم المذهب .

ومن هذه الاستنتاجات الخاطئة قول منير سلطان معلقا على الإقواء في بيت النابغة الذبياني :

زَعَمَ البوارحُ أنَّ رِحْلَتَنَا غـدا وبذاك خَبَّرنا الغُرابُ الأَسْوَدُ

" والخطأ النحوي هنا أن النابغة لم يأبه لرفع النعت ، فجعله مجرورا خضوعا لقافية ، وحين تلقت الرواة البيت أعادوه إلى قاعدته النحوية ، ووضعوا له مصطلح (إقواء) . وما تغيير النابغة (حدثنا) بـ (تنعاب) إلا استجابة لهذا النشاز الإيقاعي الذي أبرزه له الرواة ، وليتهم ما تعللوا ."(٢)

---

١ ـ المرزباني والموشح : ص٣٨٣
٢ ـ المرجع نفسه ، ص ١٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقول منير سلطان هذا فيه جملة المغالطات التالية :

١ـ ليس ما في بيت النابغة على هذا النحو المشهور خطأ نحويا ، وإنما هو خطأ عروضي تفصح عنه رواية الصولي لهذا الخبر[1] : " دخل النابغة إلى المدينة ، فقالوا له: قد أقويت في شعرك ، وأنهموه فلم يفهم ، حتى جاءوا بقينة فجعلت تغنيه : " أمن آل مية " وتبين الياء في " مزودى " و" مغتدى " . ثم غنت البيت الآخر فبينت الضمة في قوله "الأسود" بعد الدال . فتفطن لذلك ، فغيره وقال :

وبذاك تَنْعَابُ الغراب الأسود .[2]

تقول منير سلطان إذن " والخطأ النحوي هنا أن النابغة لم يأبه لرفع النعت فجعله مجرورا خضوعا لقافية " مغالطة لروايات هذا الخبر كلها[3] لأنه قول يفترض أن النابغة كان يدرك الخطأ ، ولكن لم يكن يأبه له خضوعا لقافية . مع أن الشاعر : عمد إلى تغيير لفظة "خبرنا " بأن جعل مكانها "تنعاب " بعد أن أشعر بذلك .

٢ـ لم يكن الرواة هم الذين أعادوا البيت إلى قاعدته النحوية ، استنادا إلى الرواية نفسها التي اعتمدها منير سلطان ، بل الشاعر نفسه ، ونص هذه الرواية هو "" وقصيدته مخفوضة ، فدخل الحجاز فغنت قينة بذلك ، وهو حاضر ، فلما مددت "" خبرنا الغراب الأسود " علم أنه مقو فغيره ، وقال :

وبذاك تنعاب الغراب الأسود .[4]

٣ـ إن مصطلح الإكفاء ومصطلح الإقواء لم يضعهما الرواة ـ كما توهم منير سلطان ـ بل كانا معروفين في العصر الجاهلي ، والدليل على ذلك الروايتان اللتان أوردهما المرزباني ،

١ـ يتابع منير سلطان في هذا الذي يتبناه د . ابراهيم أنيس في كتابه : في اللهجات العربية حيث يقول : " وقد عاب العرب على النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم الإقواء في شعرهما ، وليس الإقواء في الحقيقة إلا لحنا في الإعراب ، وخروجا على قواعده ، ولم يستطع أحد أن يصارح النابغة ، وهو من خاصة الخاصة ، بهذا العيب حتى دخل يثرب مرة فأسمعوه غناء قوله : البيتان .. فتفطن ، وغيره إلى قوله : "وبذاك تنعاب الغراب الأسود" إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ، ط ٢ لجنة البيان العربي ، ١٩٥٢ ، ص ٧٥

٢ـ الموشح ، ص ٤٧

٣ـ أنظر هذه الروايات في الموشح ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

٤ـ الموشح ، ص ٤٦ ، والمرزباني والموشح ، ص ١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأولى جاء فيها قوله : " كان النابغة الذبياني يكفّ الشعر ، حتى قدم المدينة على الأوس والخزرج ، فأنشدهم ، فقالوا : إنك تكفّ الشعر . قال : وكيف ذلك ؟ فجعلوا يخبرونه ولا يفهم ما يريدون[1] ." والثانية جاء فيها : " دخل النابغة إلى المدينة ، فقالوا له : قد أقويت في شعرك وأفهموه فلم يفهم[2] ." فالخبران ينصان على أن أهل المدينة نبهوا النابغة إلى الإكفاء أو الإقواء .

وفي كتاب منير سلطان كذلك أحكام قلقلة تدل على عدم اطمئنان صاحبها وافتقاره إلى الثقة بنفسه ، إلى جانب ما تثيره بعض تلك الأحكام من تشويش في نفس قارئها ، من ذلك قوله ، في التعليق على رسالة ابن المعتز في محاسن أبي تمام ومساويه : " ويستمر كلام ابن المعتز عشرين صفحة بلا تدخل من المرزباني ـ ولا أجزم بأنه قد نقل رسالة ابن المعتز كاملة ، لأن منهج المرزباني يحجزني عن الاطمئنان إلى حكم قاطع . أما الذي ألفت إليه (فهو) أن ابن المعتز قد أورد هنا مساوئ أبي تمام فقط ، ولم يتعرض لمحاسنه التي نتوقعها من عنوان الرسالة ، بينما قرر ابن المعتز محاسن لأبي تمام أوردها في كتابه البديع وذلك لأن المرزباني قد التزم بذكر المآخذ ، فلا مبرر لذكر المحاسن . والذي أقوله مطمئنا أن الرسالة مفقودة ، وأن الموشح قد جعلها مصدرا من مصادره ، فأبقاها مكونة من عبث الحادثات[3] ."

فليس في منهج المرزباني ما يدفع إلى هذا التردد والتناقض الذي وقع فيه منير سلطان ، والأمر واضح وبسيط : إن لابن المعتز رسالة في محاسن أبي تمام ومساويه نقل المرزباني منها الجزء الخاص بالمساوئ أو بعض جزء فقط ، لأن منهجه في كتابه قائم على ذكر مآخذ العلماء على الشعراء دون ذكر الاحتجاج لهم[4] . ولم ينقل شيئا مما أورده ابن المعتز من محاسن أبي تمام[5] في تلك الرسالة تمشيا مع خطته في " الموشح " كما أن ابن المعتز لم يقرر ـ على حد تعبير منير سلطان ـ محاسن لأبي تمام أوردها في كتابه " البديع " وحسب ، ففي بديع ابن المعتز أمثلة على اللونين جميعا[6] !

---

١ ـ الموشح ، ص ٤٦ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٤٧
٣ ـ المرزباني والموشح ، ص ١٣٨
٤ ـ أنظر مقدمة الموشح ، ص ١ ـ ٢
٥ ـ أورد أبو حيان التوحيدي جزءا من رسالة ابن المعتز في محاسن أبي تمام ومساوئه انظر: البصائر والذخائر تحقيق ابراهيم الكيلاني ، مطبعة الانشاء ، دمشق ، ج ٢ ، ص ٦٩٨ .
٦ ـ انظر بعض الأمثلة على البديع المعيب في شعر أبي تمام ، ابن المعتز : البديع ، تحقيق كراتشكوفسكي ، ط ٣ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٣٥ ، ٤٦ ـ ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة التي نسوقها على السوء في دراسة منير سلطان لكتاب الموشح وقوفه على قضية الموازنة ، فيقول ابتداء : " وهي قصة مروان الشهيرة ، وقد جاء إلى حلقة يونس ليعرض عليه قصيدته :

طَرَقتْكَ زائِرَةٌ نحيّ خيالَها

فقال يونس : ياهذا ، إذهب فأظهر هذا الشعر ، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى ، ويسر مروان ثم يسوؤه أن يقرن بالأعشى ومكانته في الشعر معروفة ، فيجيب إجابة العلماء قائلاً: نعم إن الأعشى قال :

فرميتُ غفلةَ عيْنه عن شاته فأصبْتُ حبةَ قلبهِ وطِحالَها

والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده ، وأنت لم تقل ذلك ، وكأنه يذكرنا بالمشاكلة التي طالب بها ابن عباس الشعراء حين يذكرون قتيل الحب والأخذ بالثأر والأولاد ، فلكل مقام مقال[1] .

والسوء في هذه العبارة يظهر في أمرين :

أولهما إهمال الترقيم ، وهو عنصر أصيل للميز بين كلام الباحث ، وكلام يونس مع مروان بن أبي حفصة .

ثانيهما لم يكن منير سلطان دقيقا في فهم ما قاله مروان ليونس ، إذ لم يسوء مروان أن يقرن بالأعشى ، وإنما الذى ساءه أن يقدم على الأعشى ونص عبارة مروان كما هي في الموشح " .. وأما الذى سوءتني به فلتقديمك إياي على الأعشى[2] .

وأكبر المآخذ التي نسجلها على دراسة منير سلطان لكتاب الموشح هو دراسته للقضايا النقدية فيه من خلال العلماء والرواة والنقاد فجاءت تلك القضايا متناثرة متباعدة متكررة في آن معا ، وللتدليل على ذلك نجد قضية كقضية الانتحال ترد في معرض الحديث عن أبي عمرو ابن العلاء ، والأصمعي ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وثعلب ، وابن سلام الجمحي[3] .

وقد يكون هذا مقبولا ولكن ما يصدم القارئ حقا هو أن يجد منير سلطان ينسب الرأى النقدى

١ــ المرزباني والموشح ، ص ١٧٣

٢ــ الموشح ، ص ٧٥

٣ــ انظر في ذلك الصفحات: ١٦٩ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ٢٢٥ ، ٢٧١ ، ٣٠٩ ، ٣٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى غير صاحبه ، إذ كان مجرد ورود اسم العالم أو الراوية في سلسلة سند طويلة كفيلا بـــأن يجعله ينسب الرأى النقدي إليـه .

من ذلك مثلا حديث منير سلطان عن ثعلب وآرائه في الموشح ، إذ نجده يقول " وثعلب في الموشح سبعة وأربعون نصا ، خلصت له تسعة نصوص نقلت عنه . والبقية يروى فيها عـــن أساتذته ، ودارت معظمها حول صنعة الشعر ، وقضايا نقده :

أولا : النصوص اللغويـة :

وفيها يفسر ثعلب معنى غريب الألفاظ في أبيات امرئ القيس:

يا هِنْدُ لا تَنْكِحي بُوهَـةً عليه عقيقَتُه أحْسَبَـا .. الخ

فيقول : البوهة طائر يشبه البومة ، عقيقته : شعره ، الأحدب : الذى يركب رأسه ، ولا يبالي ... الخ ، وأن المهلهل مأخذ (هكذا والصحيح مأخوذ) من الهلهلة وهي رقة نسج الثوب ، والمهلهل المرقق لشعره ، ويحكى أن كُثيِّرًا دخل على عبد العزيز بن مروان فأنشده شعرا ، فقال له بعض جلسائه : لحنت . قال : في أى شيء ؟ قال : في قولك .

لا أنزُرُ النائي الخليلَ اذا ما اعتلّ نَزْرُ الظُّوْر لم تـــرِمِ

وانما هي تـــرام[1] .

والتفسير الأول لألفاظ أبيات امرئ القيس لثعلب حقا[2] ، ولكن تفسير المهلهل والهلهلة إنما هو تفسير ابن الأعرابي كما رواه عنه ثعلب ، وسند الخبر في الموشح جاء هكذا . "أخبرني محمد بن عبد الله ، قال : أخبرنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال [3]".

أما اللحن الذى سجل على كثير فسنده كما في الموشح : " حدثني محمد بن أحمد الكاتب ، قال : حدثنا أحمد بن يحيى ، عن الزبير بن بكار ، قال : حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي ، عن عبد الله بن أبي عبيدة ، وأخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا محمد بن الفضل بـــن الأسود ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه ، قالا : دخـــل كثير على عبد العزيز [4]".

١ــ العزباني والوشح ، ص٢٢٣
٢ــ انظر الوشح ، ص٤٤
٣ــ الموشح ، ص١٠٥ ــ ١٠٦
٤ــ نفسه ، ص٢٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه أمثلة أخرى أكثر وضوحا في التدليل على هذا الذى أذهب إليه ،أعني نسبة الملاحظة النقدية إلى غير صاحبها :

جاء في كتاب منير سلطان تحت عنوان " انتحال الشعر عند ثعلب " مايلي :

" هي ثلاثة نصوص عن انتحال الشعراء شعرغيرهم ،فالفرزدق يستمع إلى جميل وهو ينشد حتى إذا قال : ترى الناس إذا ما سرنا يسيرون خلفنا يصيح الفرزدق : أنا أحق بهذا البيت منك . وحين ينشد أبا عمرو بن العلاء بيته

كَمْ دُونَ مَيَّةَ مِنْ مُسْتَعْمَلٍ قَذَفٍ

يقول أبو عمرو : سبحان الله ، هذا للمتلمس[١] ".

ونص السند والمتن في " الموشح " هو " حدثني محمد بن أحمد الكاتب ،قال : حدثنا أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار ،قال : حدثني أبو مسلمة موهوب بن رُشَيْد الكلابي ، قال قدم الفرزدق المدينة فمرّ بجماعة من الناس قد استكفّوا على جميل ، وهو ينشد ،فوقف بين الناس يستمع له حتى قال :

ترى الناسَ ما سِرْنا يسيرون خَلْفَنَا وإنْ نحن أومأنا إلى الناس وَقَّفُوا[٢] ".

من هذا يتبين أن الذى رصد ظاهرة الانتحال لم يكن ثعلبا ، كما هو واضح أيضا من تمام ماأورده منير سلطان أن أبا عمرو بن العلاء هو الذى رصد انتحال الفرزدق بيت المتلمس[٣] لا ثعلب .

وجاء في كتابه أيضا تحت عنوان " الألفاظ المستهجنة " قوله بصورة مباشرة : " ويضرب ثعلب لنا مثالا ما قاله محمد بن علقمة التيمّي لرجل من كلب يقال له ابن الفنشح ورد عليه فلم يسقه :

أَنْزِخْ أَخَا كَلْبٍ وَأَنْزِخْ أَنْزِخْ أَخْطَأْتَ وَجْهَ الحقِّ في التَّطَخْطُخِ
أما وربِّ الراقصاتِ الزُّمَّخِ يَخْرُجْنَ مِنْ بين الجِبَالِ الشُّمَّخِ .[٤]

ونص الخبر في الموشح هكذا : " قال — يعني قدامة بن جعفر — ومن الأعراب من شعره أيضا نظيع التوحش ،مثل ماأنشدناه أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي لمحمد بن علقة التيمي

---

١ — المرزباني والموشح ، ص ٢٢٥
٢ — الموشح ،ص ١٧٣
٣ — انظر الموشح ،ص ١٧٦
٤ — المرزباني والموشح ،ص ٢٢٧ (انزخ : سكن ،التطخطخ : الظلام ، الزمخ : المتكبرون ، الشمخ : العالية ، / اللسان "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقولها لرجل من كلب يقال له ابن الفنشح ، ورد عليه ، فلم يسقه :

أنرخ أخا كلب ... الأبيات .[١] "

فليس ثعلب هنا إلا راويا لخبر هذه الأبيات عن ابن الأعرابي .

وتحت عنوان " الموازنات لدى ثعلب " تجد منير سلطان يقول ابتداء : " وهي كثيرة ، عم عبيد الراعي يقول للراعي : أينا أشعر أنا أم أنت ؟ والأحوص ونصيب وعمر بن أبي ربيعة يوازنون بين جيد كل منهم ، وتبرز العصبية في موازناتهم ، فقد عابوا على ذي الرمة قوله :

والقرط في حُرَّةِ الذِّفرى مُعلَّقةً تَباعَدَ الحبلُ منه فهو يضطربُ

قالوا : جعلت لها ذفرى كذفرى البعير ، فاحتج ذو الرمة بشعر راعي الابل ، قوله " ذفرى أسيلة " فغضب العدويون ، وقالوا : كيف يحتج بشعر راعي الإبل ، وهو أشعر منه ، وجاءتهم العصبية . ويجتمع نصيب والكميت وذو الرمة فيوازنون بين أشعارهم ، والمتحمسون للشعراء كانوا يقيمون الموازنات أيضا ، فقوم يتقلدون حذق الفرزدق ، وقوم يتقلدون حذق جرير فيوازنون ويختصمون[٢] .

فهذا الركام من الاقتباسات لا يقدم للدارس أية نتيجة ، ثم إن منير سلطان عزا الجهد في تجميعها إلى ثعلب ، والواقع غير ذلك ، فالحوار الذي داربين عم عبيد الراعي والراعي وردت سلسلة سنده في الموشح هكذا : " حدثني محمد بن أحمد الكاتب ، قال : حدثنا أحمد ابن يحيى النحوي عن ابن الأعرابي ، قال : قال عمارة بن عقيل : قال عم عبيد الراعي للراعي[٣] .

وخبر الموازنة بين الأحوص ونصيب وعمر ، هذا إسناده ، كما في الموشح : " كتب إليّ احمد ابن عبد العزيز ، أخبرنا عمر بن شبة ، وأخبرني إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي ومحمد بن أبي الأزهر قالا : حدثنا محمد بن يزيد النحوي ، وحدثني أبو عبد الله الحكيمي عن أحمد بن يحيى النحوي عن بعض رجاله ، وحدثني علي بن عبد الرحمن ، قال : أخبرني يحيى بن علي ابن يحيى المنجم عن أبيه .[٤] "

١ــ الموشح ، ص٥٤٢ ؛ نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، ط٢ ، منشورات مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٩ .
٢ــ المرزباني ، والموشح ، ص ٢٢٤
٣ــ الموشح ، ص ٢٥٠
٤ــ نفسه ، ص٢٥٦ ــ ٢٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الذين عابوا بيت ذى الرمـــة :

والقرط في حرة الذفرى معلقـة ... البيت

فليسوا نصيا والأحوص وعمر ، كما يقتضي سياق نص منير سلطان ، وإنما جماعة غير مسماة كما في الموشح ، وسند الخبر فيه يجرى على هذا النحو : أخبرني أبو عبد الله الحكيمي ، قـــال : " أخبرنا أحمد بن يحيى النحوى ، قال : قال أبو عبيدة : قال منتجع بن نبهان : عابوا علـــى ذى الرمة قوله : " البيت ..."(١)

ويجتزئ منير سلطان في أحيان كثيرة اقتباساته من " الموشح " فتأتي تلك الاقتباسـات فاسدة مخلة بالموقف النقدى ، من ذلك ما جاء في حديثه عن نقد الخلفاء في الموشح ، قال : ويروى أن الأقيشر دخل على عبد الملك بن مروان فذكر بيت نصيب :

أهيم بدعد ما حييتُ فإنْ أمُتْ ... فواحزنا مَنْ ذا يهيمُ بها بعدى

فقال : والله لقد أساء قائل هذا البيت ، فقال له عبد الملك : فما كنت أنت قائلا لو كنـــت مكانه ؟ قال : كنت أقول :

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت ... فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

فقال له من حضر : والله لأنت أجود الثلاثة قولا ، وأحسنهم بالشعر علما ياأمير المؤمنين ."(٢)

ولدى مقابلة هذا الذى أورده منير سلطان بالأصل الذى في الموشح ، يتضح لنا مـدى اتساع الثغرة التي أحدثها فيه . ونص الخبر في الموشح هكذا : " يروى أن الأقيشر دخـل على عبد الملك بن مروان فذكر بيت نصيب :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

فقال : والله لقد أساء قائل هذا البيت . فقال له عبد الملك : فما كنت أنت قائلاً لو كنت مكانه ؟ قال : كنت أقول :

تُحِبُّكُمُ نفسي حياتي فان أُمتْ ... أُوكَّلْ بدعدٍ من يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك : فأنت والله أسوأ قولا ، وأقل بصرا حين توكل بها بعدك !

قيل : فما كنت أنت قائلا ياأمير المؤمنين ؟ قال : كنت أقول :

تحبكم نفسي حياتي فان أمت ... فلا صَلُحَتْ دعْدٌ لذي خلة بعدي

فقال من حضر : والله لأنـــت ..."(٣)

ويظهر في كتاب سلطان في أحيان كثيرة ، قصور في فهم المؤلف لبعض المواقف النقدية ، إذ يضرب منير سلطان أمثلة على ما أسماه بالنقد الرسمي في بلاط الخلفاء الأمويين فيقـــول : " فمن الخطأ أن يتصور جرير أن الخليفة عبد الملك بن مروان ما زال ابن عمه فيقول لـه :

١ــ الموشح ، ص ٢٨٨
٢ــ المرزباني والموشح ، ص ٣١٥
٣ــ الموشح ، ص ٢٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا ابنُ عمي في دمشقَ خليفةٌ لو شئتُ ساقكمُ إليّ قطينـا

فيقول الخليفة : جعلتني شرطيا لك . أما لو قلت : لو شاء ساقكم اليّ قطينا لسقتهم إليك عن آخرهم . والصيغ التي كانت تقبل في الجاهلية ، والتي تهز المستمع بجزالتها قد لا تصلح لمخاطبة الخلفاء ، يقول جرير :

أتصحو أم فؤادك غيرُ صاحٍ ...

فينفر عبد الملك من الخطاب وجفائه ، ويهب قائلا : بل فؤادك يا ابن اللخناء ، وها هو ذا الأخطل يقول له :

خفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا

فيتطيّر قائلا : بل منك ان شاء الله .

والشاعر هنا قد وقع في خطأ اللبس في كاف الخطاب ، وكان مقدورا لهذه الصياغة الجزلة أن تنال الحظوة لو لم يكن المقام مقام فخر ، والقوم جلوس وسلطة وسلطان ، وخوف من نعيم أن يزول.(١)

وأقوال منير سلطان هذه تنم عن عجز في فهم النصوص ، فليس رفض عبد الملك لقول جرير سببه أن جريرا قال : " هذا ابن عمي " بل موطن المأخذ عليه هو قوله : لو شئت ، إذ صيّر الشاعرُ الممدوحَ شرطيا عنده يأتمر بأمره ، ولذا كان رد الخليفة بأن قال : أما لو قال : لو شاء ساقكم إليّ قطينا لسقتهم.(٢)

كما أن رفض عبد الملك لبيت جرير الآخر ليس بسبب استخدام صيغة شعرية جزلة كانت تقبل في الجاهلية ، ولم تعد صالحة لمخاطبة الخلفاء ، بل موطن رفض عبد الملك لبيت جرير سببه الافتراض بالغفلة الذي استشعره عبد الملك من قول جرير له ، ولذا قال للشاعر: " بل فؤادك يابن اللخناء "

وكذلك يقال : إن احتجاج عبد الملك على قول الأخطل :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا ... البيت

ليس سببه الصياغة الجزلة ، بل لأنه مفتتح قصيدة يوحي بالتشاؤم .

أما قول منير سلطان في النص السابق : " والشاعر هنا قد وقع في خطأ اللبس في

---

١ ـ المرزباني والموشح ، ص ٣١٦

٢ ـ انظر الموشح ، ص ١٩٠ ، ٢٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كاف الخطاب .. وخوف من نعيم أن يزول " نأعترف بعجزى عن نهمه نهما صحيحا ، وما أظن أن احدا يفهمه غير صاحبه لأنه شديد الالتواء .

ويورد منير سلطان في دراسته كثيرا من الأحكام غير الصحيحة ،أشرنا إلى بعضها من قبل ، ونضيف هنا قوله : " ولعل أطرف ما سجله المرزباني أن ذا الرمة دخل على عبد الملك ، وكانت عيناه تسيلان ماء ، وأنشده :

ما بالُ عينكَ منها الماءُ ينْسَكِبُ كأنه من كُلَى مفرِيَّةٍ سَرِبُ .

ومن هنا تكلم البلاغيون من بعد عما أسموه (براعة الاستهلال) أى مراعاة مقتضى الحال وقدر المقال "[1].

فليس البلاغيون المتأخرون هم الذين فطنوا إلى براعة الاستهلال ، ويكفي دليلا على بطلان ذلك أن ننظر في كتاب " عيار الشعر " لنجد صاحبه قد عقد فصلا فيه بعنوان " مفتتح الشعر "[2] ، ونقل عنه المرزباني نفسه[3] كما وقف القاضي الجرجاني في بعض فصول من كتابه " الوساطة " على عيوب الاستهلال ومحاسنه[4]. وأورد بيت ذى الرمة هذا نفسه ، ولكنه تشكك تشكك العالم الممحص في صحة ما قيل إن ذا الرمة أنشد بيته بين يدى عبد الملك[5].

ثم ليست براعة الاستهلال هي " مراعاة مقتضى الحال وقدر المقال " ، بل هي مراعاة مقتضى الحال وقدر المقام ، ولكن منير سلطان أخذ بجمال السجعة .

وفي الكتاب مزالق وعثرات أخرى كثيرة ، ولكن أجد فيما عرضته ما يكفي .

ب — دراسة زكي مبارك

خصص زكي مبارك فصلا من كتابه " النثر الفني في القرن الرابع "[6] للحديث عن المرزباني وجهوده في تجميع المادة الأدبية العربية وتصنيفها . وتحدث عن كتاب الموشح فقال: إن فضل المرزباني فيه يعود إلى تنظيمه للمادة النقدية عن عدد كبير من الشعراء ، وأنه

---

١ — المرزباني والموشح ، ٣١٧
٢ — انظر عيار الشعر ، ص ١٢٦
٣ — انظر : الموشح ، ص ٧١
٤ — انظر : الوساطة ، ص ٤٨ ، ١٥٥
٥ — انظر : المصدر نفسه ، ص ١٥٧
٦ — انظر : زكي مبارك : النثر الفني ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ — ١٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس له ما " يميزه عن غيره من مصنفي الروايات والأخبار .. فأنت حين تطلع على كتاب الموشح ترى مواده معروفة لك ، مستأنسة إليك بطول ما صادفتها في شتى المطالعات ، ولكنك لو أردت أن تظفر بمجموعة ما قال النقاد القدماء عن الأخطل ، أو جرير مثلا ، لما استطعت أن تجدها منظمة ، على نحو ما تجدها في هذا الكتاب[1]".

وهذه نظرة صائبة تدل على حسن اطلاع صاحبها ، ولكنه مع ذلك خانته الدقة عندما مثل على شخصية المرزباني النقدية بقوله : " إن المؤلف كثيرا ما تظهر شخصيته فيعرف رأيه ومذهبه في النقد ، كقوله مثلا في نقد قول الطائي :

وقد سَدَّ مَنْدوحةَ القاصِعا ءِ وأمْسَكَ بالنَّافِقاءِ

"ولم نعب من هذه الألفاظ شيئا ، غير أنها من الغريب المصدود عنه ، وليس يحسن من المحدثين استعمالها ، لأنها لا تجاور بأمثالها ، ولا تتبع أشكالها ، فكأنها تشكو الغربة في كلامهم[2]".

فبيت الطائي وما أعقبه من نقد هو جزء من رسالة ابن المعتز في محاسن أبي تمام ومساوئه التي أثبت المرزباني جزءا منها في الموشح[3].

ومن عدم دقة زكي مبارك في دراسته أيضا قوله : " ولا يخلو المرزباني ـ على فضله ـ من تحامل ، فقد رأيته يغض من قيمة مختارات أبي تمام إذ يقول : " وللطائي سرقات كثيرة أحسن في بعضها ، وأخطأ في بعضها ، ولما نظرت في الكتاب الذى ألفه في اختيار الأشعار وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء ، وإنما سرق بعض ذلك ، فطوى ذكره ، وجعل بعضه عدة يرجع إليها في وقت حاجته ، ورجاء أن يترك أهل المذاكرة أصول أشعارهم على وجوهها ، ويقنعوا باختياره لهم ، فتغبى عليهم سرقاته ، ولا يعذر الشاعر في سرقاته حتى يزيد في إضاءة المعنى ، أو يأتي بأجزل من الكلام الأول ، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما يتقدمه ، ولا يفتضح به ، وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه لا فقير إليه . ففي هذه الفقرة تجن شديد على أبي تمام ، وازراء بإحسانه في تأليف مختاراته ، وما أحسب الخاطر الذى مر ببال المرزباني مر ببال ناقد شريف القصد[4]".

١ـ النثر الفني : جـ٢ ، ص١٥٠

٢ـ المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص١٥٠ والقاصعاء والنافقاء من جحر اليربوع (ديوان أبي تمام بشرح التبريزى ، جـ٤ ، ص ١٨

٣ـ انظر : الموشح ، ص٤٧٦

٤ـ النثر الفني في القرن الرابع ، جـ ٢ ، ص١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس المرزباني هو الذى يغض من مختارات أبي تمام ، وليس المرزباني هو المتجني على أبي تمام ، وليس الخاطر في هذا النقد هو خاطرا مريبال المرزباني ، وانما ذلك كله نقد ابن المعتز في رسالته عن محاسن أبي تمام ومساوئه ولنا للتدليل على ذلك البينات التالية :

١ــ جاءت هذه الفقرة المقتبسة من " الموشح " مسبوقة بقول المرزباني ، " قال عبد الله ابن المعتز في رسالة نبه فيها على محاسن شعر أبي تمام ومساويه . . ."(١) ولم يرد في عرض ذلك ما يمكن أن يستدل منه ، على أن نقل المرزباني من تلك الرسالة قد انقطع حتى الصفحة (٤٩٠) ، حيث جاء في اعقاب هذا النقل قول المرزباني " أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفه النحوى . . . " ، وتكرر قول المرزباني قبل تلك الفقرة المقتبسة وبعدها : " وقال . . . وقال . . . " مما يدل بوضوح على أنه ما زال ينقل من رسالة ابن المعتز .

٢ ــ وجاء في صفحة تالية لتلك الفقرة الآنفة الذكر ما يدل دلالة قاطعة على أن المرزباني كان لا يزال ينقل من رسالة ابن المعتز في محاسن أبي تمام ومساويه ، يقول ابن المعتز " وقد سقطنا من معايب شعره شيئا كثيرا لم نثبته في رسالتنا هذه . . . "(٢)

٣ ــ كما ورد في صفحة تالية أيضا العبارة التالية : " وبيت امرئ القيس أصح معنى . . . خبرني بذلك أبو سعيد "(٣)

ونحن نعرف من ترجمة حياة ابن المعتز أن أبا سعيد المذكور في هذا السياق هو محمد بن هبيرة الأسدى النحوى ،(٤) وهو أحد مؤدبي ابن المعتز . وتكرر ذكر ابن المعتز لهذا المؤدب ثلاث مرات في " الموشح " كان يقول فيها : " قال

١ــ الموشح ، ص ٤٧٠

٢ــ نفسه ، ص ٤٨٤

٣ــ نفسه ، ص ٤٨٥

٤ــ انظر : الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، مكتبة الخانجي والمكتبة العربية بغداد ، ١٩٣١ ، جـ ٣ ، ص ٢٧٠ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي : ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ط١ ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤدبي أبو سعيد محمد بن هبيرة[١] .

ولست أقر قول زكي مبارك أيضا : إن المرزباني كان صاحب نزعة تتسم بالحقد على المشاهير . وبسبب من هذه النزعة كان المرزباني " يهتم بتقييد ما يؤثر عن أخلاق الشعراء ، وتظهر في ثنايا كلامه نزعة الحقد على المشاهير ، وان اجتهد في إخفاء ذلك ، وحاول أن يصبغ كلامه بصبغة البحث الصرف ، فقد حدثنا أن أهاجي البحترى للخلفاء والملوك أشبه بهجاء سفلة الناس ورعاعهم . . . وأنه قد هجا نحوا من أربعين رئيسا ممن مدحهم . . . وأنه نقل نحوا من عشرين قصيدة من مدائحه لجماعة توفر حظه منهم عليها إلى مدح غيرهم ، وأمات أسماء من مدحهم أولا . . . "[٢] ففي رأينا أن شاعرا هذه أخلاقه قمين أن يعاب ، وأن يذم ، وهو ، إن صحت أقوال المرزباني فيه ، لا أخلاق له . ونحن ، مع إيماننا بأن الفن غير الأخلاق ، نرى أن جرائر البحترى قد تجاوزت حدود دائرة الأخلاق الشخصية فانعكست على أدبه بهذه الصورة غير المرضي عنها . وإذا كان المرزباني صادقا فيما قال ، فليس ذلك دليلا على نزعة حقد فيه على المشاهير ، بل ذلك دليل على وفائه وحسن خلقه ، ودعوته الناس الى أن يتصفوا بخلة الوفاء للأصدقاء . والمرزباني إلى ذلك كله يقول بموضوعية تميز بين خلق الشاعر وفنه : " ولم أذكر حاله — أى البحترى — في ذلك على طريق التحامل مع اعتقادى فضله وتقديمه ولكنني أحببت أن أبين أمره لمن لعله انستر عنه . وحسبنا الله ، ونعم الوكيل "[٣] .

وأخيرا ، لو كان المرزباني ، على ما يقول زكي مبارك ، صاحب نزعة تتسم بالحقد على المشاهير ، فلم لم يعب غير البحترى وكتابه حافل بأعداد كبيرة من مشاهير شعراء العصور الجاهلية والأموية والعباسية ؟ !

---

١ — أنظر : الموشح ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٦١

٢ — النثر الفني ، جـ ٢ ، ص ١٥٧

٣ — الموشح ، ص ٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ — دراسة وليد قصـــاب

دراسة وليد قصاب أحدث الدراسات الثلاث التي وقعنا عليها لكتاب "الموشح" وهي بعنوان "دراسة الآراء النقدية في كتاب الموشح" إذ نشرت في مجلة كليـــة الآداب في جامعة الملك سعود، سنة ١٩٨٢.

قدم الدارس لدراسته بتعريف موجز شاف لكتاب "الموشح"[١] أتبعه برصـــد واع لاتجاهات النقد المختلفة التي عرفت في النقد الأدبي العربي على امتداد اربعة قرون، والتي كان "الموشح" قد لمّ أشتاتها على شكل مآخذ وعيوب. ووقف بوعـــي على قضية تعدد الروايات حول الخبر الواحد في "الموشح"[٢]. وعلل بعقلانيـــة سبب دراسته المآخذ على حسب القضايا والمسائل المهمة التي كانت تشغل اهتمام النقـاد[٣]، مؤثرًا إياها على دراسة هذه المسائل بحسب اهتمام النقاد واختصاصاتهم، لما في الطريقة الثانية التي نأى بدراسته عنها من تشتيت للآراء حول المسألة الواحدة، ولأن التمييز بين العلماء القدامى بتصنيفهم إلى نحاة ولغويين ورواة ونقاد،فيـــه تعســـف.

وأرى أن هذا المنهج صائب، والاحتجاج له صحيح، وبذلك يكون وليد قصـاب قد تدارك، بهذه المنهجية التي اتبعها، الاضطراب الكبيـر الذي وقع فيه منير سلطـان في "المرزباني والموشح" عندما درس المآخذ على حسب الاختصاصات، وعندمـــا جعل "الرواة صنفين: رواة شعراء، ورواة غير شعراء". وعندما جعل النقـــاد أصنافا: نقادا رواة، ونقادا متخصصين، ونقادا شعراء ونقادا خلفاء وأمراء، وناقدات من النساء[٤]..... الخ.

ثم صنف الدارس بتركيز ووعي ضروب المآخذ في الموشح فجعلها في: عيوب في الصياغة، وعيوب المعاني، وعيوب الأخيلة والصور، وعيوب الأوزان والقوافي، وعيـــوب

١ــ انظر: دراسة الآراء النقدية في كتاب الموشح، ص ٢٣٠

٢ــ = المرجع نفسه ص ٢٣٤

٣ــ نفسه، ص ٢٣٧

٤ــ انظر في ذلك تصنيفات منير سلطان: المرزباني والموشح،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصنعة والتكلف ، والسرقات ، وقد جعل هذه المآخذ هي القضايا الأكثر بروزا ووضوحا في " الموشح "[١] . وأشار الى مجموعة أخرى من القضايا كان الاهتمام فيها في الكتاب — على حد تصوره — أقل ، كقضية الموازنات ، وقضية الانتحال ، وقضية الإبداع الشعرى ، وقضية الخصومة بين القدماء والمحدثين[٢] .

وعلى ما في دراسة وليد قصاب من جدية وعمق نظرة ، وحسن تعليل واستنتاج ومقابلة[٣] ، فإن لي الملاحظات التالية عليها :

أولها : أخطأ الدارس في فهم العيب الذى وجهه النقاد لبيت ذى الرمة :

والقُرْطُ في حُرَّةِ الذِّفْرى معلقةٌ تَباعَدَ الحبلُ منه فهو يضطربُ

فظن أن البيت قيل في وصف الناقة إذ قال : " فقد أخطأ الوصف جهلا بصفات الناقة فأعطاها صفة للبعير ، قالوا له : جعلت لها ذفرى كذفرى البعير "[٤] مع أن وجه النقد في هذا البيت هو قبح الاستعارة باعطاء المرأة صفة من صفات الناقة ، يشهد على ذلك موضع البيت في سياق جملة أبيات قالها ذو الرمة في صاحبته " مية " ، وقد فسّر شارح ديوان ذى الرمة هذا البيت بقوله : " هي طويلة العنق ليست بوقصاء ، والقرط معلقة في حرة الذفرى . والذفريان ماعن يمين النقرة وشمالها ، واستعار الذفرى هاهنا ، وإنما هي للابل "[٥] .

ثانيها : دراسته لظاهرة النقد الخلقي ، وظاهرة النقد الفني تحت باب "عيوب المعاني "[٦] . وكان الأولى أن تؤخذا على صورة قضيتين منفصلتين لما لهما من جليل الشأن في النقدين العربي والغربي قديما وحديثا .

ثالثها : لم يخصص اهتماما كافيا لدراسة قضية الموازنات النقدية في الموشح مع أنها قضية محورية ، كما سأبين في هذه الدراسة .

---

١ — انظر : دراسة الآراء النقدية في كتاب " الموشح " ص ٢٣٨ — ٢٧٨

٢ — المرجع نفسه ، ص ٢٧٨ — ٢٨١

٣ — انظر للدليل على ذلك ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ من المرجع نفسه

٤ — المرجع نفسه ، ص ٢٤٨

٥ — انظر : ديوان ذى الرمة تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ٣٧ .

٦ — انظر ، ص ٢٤٩ من دراسة قصاب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعريـــف بالمرزبانـــي

اسمه وكنيتـه ـ

هو محمد بن عمران بن موسى بن سعيد ـ وقال الخطيب البغدادي : بن عبيد ، وتابعه في ذلك ابن قاضي شهبه(١) ـ وأضاف ابن النديم جدا ثالثا هو عبد الله(٢) .

واختلف في كنيته ، فقيل : هو أبو عبد الله(٣) ، وقيل : أبو عبيد الله بالتصغير(٤) ، والراجح أنه كان يكنى أبا عبيد الله ، فقد وردت هذه الكنية مرارا في مؤلفاته الباقية(٥) .

١ـ انظر : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ ، ابن قاضي شهبة ، طبقات النحاة واللغويين ، تحقيق محسن غياض ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧٤ ، ص ٢٢٣ .

٢ـ انظر : الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٩٧١ ، ص ١٤٦

٣ـ انظر في ذلك : أبو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أميـــن وأحمد الزين ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ١٧٧ ، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، جـ ٤ ، ص ١٦٨ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق فؤاد سيد ، الكويت ، ١٩٦١ جـ ٣ ، ص ٢٧ ، الخوانساري : روضات الجنان ، تحقيق أسد الله اسماعيليان ، نشر مكتبة اسماعيليان ، طهران ، جـ ٤ ، ص ٣٣٨ ، عباس القمي : الكنى والألقاب ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٧٠ ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ، طبع وكالة المعارف ، ١٩٤٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٠٦ ، الحسيني البخاري : التاج المكلل ، ط ٢ ، تحقيق عبد الحكيم شرف الدين ، المطبعة الهندية العربية ، ١٩٦٣ ، ص ١٢٤ .

٤ـ انظر ثم في ذلك : الفهرست ، ص ١٤٦ ، القاضي التنوخي : الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨ ، جـ ١ ، ص ١٧٩ ، تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سكينة الشهابي ومطـــاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، جـ ٣ ، ص ١٠٣ ، وانظر أيضا مـن هذا الكتاب : جـ ١ ، ص ٣٩٣ تحقيق شكري فيصل ، ياقوت الحموي : معجم الأدبـاء ، نسخة مصورة عن نسخة البابي الحلبي وشركاه ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، جـ ١٨ ، ص ٢٦٨ ، جـ ١ ، ص ٤٧ ، ابن حجر العسقلاني : تبصير المنتبه ، تحقيق علـي البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، جـ ٤ ، ص ١٣٥٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣ ، جـ ١٦ ، ص ٤٤٧ ، الذهبي : المغني تحقيق نور الدين عتر ، جـ ٢ ، ص ٦٢٠ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ، اعتناء س. ديدرينغ ، دار نشر فرانزشتاينر ، ١٩٥٩ ، جـ ٤ ، ص ٢٣٥ .

٥ـ انظر : الموشح ، ص ٣٣ ، ٤٣ ، ٦٢ ، اليغموري : نور القبس المختصر من المقتبس ، تحقيق رودلف زلهايم ، دار فرانتس شتاينر ، بفيسبادن ، ١٩٦٤ ، ص ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونص عليها نصا صريحا ابن قاضي شهبة حيث قال: " أبو عبيد الله بالتصغير. "(١)
والغريب بعد هذا كله أن يخطئ الدكتور عمر فروخ فيقول: "هو أبو عبيدة محمد بن عمران ..."(٢)

لقبه:

اشتهر أبو عبيد الله محمد بن عمران بالمرزباني، والمرزباني، بفتح الميم وسكون الراء، وضم الزاي، نسبة الى جده مرزبان، وهذا اللقب " يطلق عند الفرس على الرجل المقدم العظيم القدر، وتفسيره بالعربية حافظ الحد."(٣) ويبدو أن لفظة مرزبان كانت قد دخلت في العربية منذ العصر الجاهلي، فقد قال أوس بن حجر في وصف أسد:

كالمرزبانيِّ عَيَّالٌ بأشْبَالِ.(٤)

كما استخدمت بالإفراد وبالجمع في العصر الأموي، قال جميل بن معمر:

وأنت كلؤلؤةِ المَرْزُبانِ بماءِ شَبَابِك لم تُعْصِرِ.(٥)

وقال جرير:

بها الثيرانُ تُحْسَبُ حين تُضْحي مَرازِبةٌ لها بِهراةَ عيدُ.(٦)

١ــ طبقات النحاة، ص ٢٢٣
٢ــ تاريخ الأدب العربي، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، جـ ٢، ص ٥٥٤
٣ــ انظر الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ، ص ٣١٧، السمعاني: الأنساب، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، ١٩٨١، جـ ١٢، ص ١٨٨ ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، جـ ٤، ص ٣٥٦، السيوطي: لب اللباب، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد، ص ٢٤١، طاهر الهندي: المغني في ضبط الأسماء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٩، ص ٢٤٦.
٤ــ المعرب، ص ٣١٨، والعيال: المتبختر في مشيه، أي أسد يخرج متبخترا في العشيات.
٥ــ المعرب: ص ٣١٧
٦ــ المصدر نفسه، ص ٣١٩، وقد فسر المحقق هذا البيت بقوله: شبه بياض الثيران في وضح الشمس برؤساء مجوس هراة " (حاشية ص ٣١٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسرتـــه : ـ

لا تكاد المصادر التي ترجمت للمرزباني تقدم للدارس شيئا ذا بال عن أسرتـــه ، وغاية مانجده في بعضها أنه " من بيت رياسة ونفاسة "(١) وأن أباه كان " نائب صاحب خراسان بالباب ببغداذ "(٢) وهي وظيفة رفيعة تعني أنه كان رئيس الحرس(٣) ويبـــدو أن والد المرزباني كان على قدر من السمو الخلقي ، فقد روى المرزباني أن الشاعـــر محمد بن محمد الشنوفي المكنى أبا الحسين نظم قصيدة في مدحه يقول فيها :

إلى المرزبانيّ الهُمام أخي الندى ... أليفِ السَّدى عِمْرانَ ، والعُرفُ صاحبهْ
سَليلِ ذُرا العلياءِ موسى فَجُودُه ... كبَحْرأتى العافين تَجْرى مَتاعِبُـــه
غزيرِ الحِجَا يَزْهَى به كلّ ذى حجا ... كما فَخَرَتْ بالمرزبـــانِ مَرَازِبُـــه
تقيّل من موسى وآبائه الندى ... وبالسَّلَفِ الأمجادِ جَلّتْ ضرائبُـــه
فتىً للحياءِ الجمّ خِدْنٌ وللندى ... عَقيدٌ ، وفي الآداب تعلو مراتبُـــه
أغرّ كأنّ الجودَ غَيْثٌ بكفّـــه ... أنامِلُه للمُعْتَفين سحائبُـــه
فلا يُعْدِمنّي منْك موطنُ نِعْمَةٍ ... فعندك أوْطَارُ الندى وملاعبُـــه
وَصِلْني بجيْشٍ مِنْ ندالك مُكَرْدَسٍ ... مَكارِمُك الغُرُّ الحِسَانُ مواكبُـــه(٤)

ومن هذا الخبر نفسه أيضا ندرك أنه كان للمرزباني أخ أكبر ،تكنى به أبوه ،واسمه علي ، فقد ورد في الخبر السابق قول المرزباني : " وجدت له ـ أى لأبي الحسيـــن الشنوفي ، قصيدة ،مدح فيها أبي أبا علي عمران بن موسى ،رحمه الله "(٥)
ثم تسكت المصادر عن ذكر أى شيء آخر عن أسرة المرزباني .

١ـ القفطي ، انباه الرواة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥ ، جـ ٣ ،ص ١٨٠
٢ـ المصدر نفسه .
٣ـ انظر : عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ،جـ٢ ،ص ٥٥٤ ،وقد فسّر بروكلمان قول القفطي عن هذه الوظيفة بأنه كان خليفة لوالي خراسان في دار الخلافة ،انظر: بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ،ترجمة عبد الحليم النجار ،دار المعارف بمصر ،١٩٦١ ، جـ٢ ص ٢٣٤
٤ـ معجم الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٢٦
٥ـ معجم الشعراء ،ص ٤٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصلـه ومولـده :

المرزباني خراساني الأصل ، بغدادي المولد والمنشأ ، ويبدو أن وظيفة عمـران في بغداد هي التي حتمت عليه النزوح عن موطنه الأصلي ، فاتخذ بغداد دار إقامة ، حيث ولد ابنه محمد هذا فيها سنة ست وتسعين ومئتين في أقوال ، وسنة سبع وتسعين ومئتين في أقوال أخرى .(١) ولا يستطيع أحد أن يجزم أي السنتين هي الصحيحة ، ولهذا عمد بعض الدارسين الى ذكر السنتين معا ، دونما ترجيح ، كما فعل ابن خلكان .(٢)

وأورد مؤرخان آخران متأخران(٣) نسبيا أن المرزباني توفي وله ثمانون سنة ، وذلك سنة ثلاثمئة وأربع وثمانين للهجرة ، ومعنى ذلك أنهما يفترضان أنه من مواليد سنة أربـع وثلاثمئة للهجرة ، وهو تاريخ لم يقل به أحد ممن عاصروه أو كانوا قريبي عهد منه .

والراجح أن المرزباني من مواليد سنة سبع وتسعين ومئتين على رواية ابن النديـم لأنه معاصره ، ولأنه كان أكثر تحديدا فذكر الشهر الذي ولد فيه ، إذ قال : " ومولـده في جمادى الآخرة سنة ٢٩٧ "(٤) .

حياتـــــه :

لا يكاد الدارس يظفر بشيء ذي بال عن حياة المرزباني في كتب التراجم ، مع أنه عاش في فترة خصبة بالأحداث والتقلبات السياسية ، والتحولات الثقافية والاجتماعية علـى امتداد ما يقرب من قرن من الزمان ، هو القرن الرابع الهجري ، فقد عاصر عددا كبيرا من خلفاء الدولة العباسية ، منهم المقتدر ، والقاهر ، والراضي ، والمطيع ، والطائـع .(٥)

وشهد الصراع الحاد على السلطة بين الخلفاء ورجال القصر من الأتراك والمسوبهميين ،

١ــ من القائلين بالرواية الأولى انظر: تاريخ بغـداد ، جـ٣ ، ص ١٣٦ ؛ السمعاني : الأنساب جـ ١٢ ، ص ١٩٠ ، القفطي : إنباه الرواة ، جـ٣ ، ص ١٨٢ ، ابن قاضي شهبة : طبقات النحاة ، ص ٢٢٣ ومن القائلين بالرواية الأخرى ، ابن النديم : الفهرست ، ص ١٤٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١٨ ، ص ٢٦٨ .

٢ــ وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٣٥٥

٣ــ انظـر : العبر في خبر من غبر ، جـ ٣ ، ص ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ط٢ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٧٧ ، جـ ١١ ، ص ٣١٤ .

٤ــ الفهرست ، ص ١٤٦

٥ــ انظر في ذلك : المسعودي : التنبيه والاشراف ، مكتبة خياط ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٣٨٩ــ ٤٠١ ؛ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى أن كانت الغلبة لبني بويه ، فعاصر من ملوكهم وأمرائهم معز الدولة ، وركن الدولة وعز الدولة ، وعضد الدولة ، ومع ذلك لم يقترن اسمه بغير عضد الدولة الذى كان أول من خطب له ببغداد مع الخليفة ، وتسمى بشاهنشاه(١)

وغاية ما يظفر به الدارس عن علاقة المرزباني بعضد الدولة خبر تكرر وروده في جل كتب التراجم التي ترجمت له ، فقد روي أن عضد الدولة كان يجتاز بباب المرزباني ، فيقف عليه حتى يخرج اليه الشيخ أبو عبيد الله المرزباني ، فيسلم عليه ، ويسأله عن حاله ، فيجيبه : " كيف تكون حال من هو بين قارورتين ؟ " يعني المحبرة ، وقارورة النبيذ.(٢)

ومع ما في هذا الخبر من دلالة على انقطاع المرزباني للتأليف ، وانصرافه عن الترحال ، فإن فيه دلالة أخرى على سمو مكانته العلمية ، باحترام عضد الدولة له ، فيقف على بابه منتظرا خروج المرزباني إليه ليسلم عليه ، ويسأله عن حاله ، وعضد الدولة يومئذ مهيب الجانب قد مكن له في الأرض .

ويمكن للباحث أن يستنتج بعد ذلك أيضا أن المرزباني كان من أهل الثراء واليسار ، فلم يكن يسعى للاتصال بالخلفاء والوزراء والأمراء ، يرجح ذلك ما روي عن المرزباني في قوله : " كان في داري خمسون ما بين لحاف ودواج معدة لأهل العلم الذين يبيتون عندي .(٣)

ولا يتناقض القول بغنى المرزباني وعزوفه لذلك عن الاتصال بأصحاب الجاه والسلطان ، مع ما أورده الذهبي برواية مفردة ، أن عضد الدولة أعطاه مرة ألف دينار".(٤)

فرجل يكون قادرا على إيواء هذا العدد الكبير من طلاب العلم ومريديه وما يستتبع ايواؤهم من مؤونة ، لا يمكن أن يقوم به إلا رجل على قدر كبير من الثراء كفاه مؤونة التبعية لسياسي خليفة كان أو وزيرا أو أميرا .

---

١ — البداية والنهاية ، جـ ١١ ، أحداث السنوات من ٢٩٥ — ٣٨٥ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي في العصر العباسي الثاني ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ ، جـ ٣ ، ص ١ — ٥٦

٢ — تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ ، إنباه الرواة ، جـ ٣ ، ص ١٨١

٣ — المصدران السابقان ، والدواج بوزن غراب : اللحاف الذى يلبس"

٤ — انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٦ ، ص ٤٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع هذا الشح في أخبار المرزباني ، فقد ذكرت كيف تجرأ باحث معاصر على الزعم بأنه سيصور الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية في القرن الرابع الهجرى " من خلال الرجل "[١] كما تجرأ باحث معاصر آخر على الزعم بأن المرزباني قد طاف في آفاق مصر ، وربوع الشام ، وجال في نواحي حلب ، وشد الرحال إلى بلاد الحجاز ، وزار أكثر البلاد الإسلامية "[٢] وهذه السياحة التي زعم السيد محمد هادى الأميني أن المرزباني قام بها ، ليس لها أصل في كتب التراجم والتاريخ التي ترجمت له .

ثقافة المرزباني وصفاته :ـ

كان القرن الرابع الهجرى ، على ما هو معروف ، قمة ما صارت إليه الثقافة العربية الإسلامية من نضج لأسباب لا مجال لذكرها هنا .[٣]

وقد برزت بعض اتجاهات هذه الثقافة في المرزباني ، وذلك من خلال شهادات القدماء فيه ومن خلال هذا الإنتاج الضخم الذى انقطع له . ولكن السمة الغالبة عليه أنه راوية أخبارى ، قال الخطيب البغدادى عنه : " كان صاحب أخبار ورواية للآداب "[٤] وقال ابن العماد الحنبلي : " كان راوية في الأدب "[٥] وقال الذهبي : " المرزباني .. الكاتب الأخبارى "[٦] وقال ابن خلكان : " المرزباني صاحب التصانيف المشهورة ، والمجاميع الغريبة ، كان راوية للآداب ، صاحب أخبار "[٧] وقال ياقوت : " كان راوية صادق اللهجة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع "[٨] وقال القفطي : " من بيت رياسة ونفاسة .. فاضل كامل ذكي ، راوية مكثر ، مصنف جميل التصانيف ، كثير المشايخ ، ممتع المحاضرة والمذاكرة ، مقدم في الدول ، وعند أهل العلم "[٩] .

١ـ المرزباني والموشح ، ص ١٢

٢ـ أنظر : أخبار شعراء الشيعة ، تحقيق وتعليق محمد هادى الأميني ، ط١ منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٨ ، ص ٩ .

٣ـ انظر في ذلك مثلا : آدم متز ، الحضارة العربية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، وشوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ، ط ٤ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨١ . ومحمود السمرة : القاضي الجرجاني ، الفصل الخاص بالحياة الثقافية في القرن الرابع ، ص ٢٣ .

٤ـ تاريخ بغداد ، جـ٣ ، ص ١٣٥

٥ـ شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ١١١

٦ـ العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٧

٧ـ وفيات الاعيان ، جـ٤ ، ص ٣٥٤

٨ـ معجم الادباء ، جـ ١٨ ، ص ٢٦٨

٩ـ انباه الرواة ، جـ ٣ ، ص ١٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الشهادات إقرار بسعة محفوظات المرزباني من مادة التراث العربي الاسلامي ، وخاصة الأدبي منه . وهي سعة جمعت، إلى جانب ذلك حسن المحاضرة والمذاكرة ، وحسن الاستماع إلى الشيوخ الذين روى عنهم ، وإلا لما كان منزله محجة طلاب العلم ، مع رحابة صدر وكرم يسبغه على الوافدين إليه ، فالصيمري يقول : " وأكثر أهل الأدب الذين روى عنهم ، سمع منهم في داره "(١) ، ويزكي هذا أيضا قول الخطيب البغدادي : " كانت داره مقصد طلاب العلم ، يأخذ منهم ، ويعطيهم "(٢) .

ومعظم إنتاج المرزباني تبدو عليه نزعة الرواة الأخباريين ، من ذلك مثلا كتاب " أخبار الشعراء "(٣) ، وكتاب " أخبار النحاة " وكتاب " أخبار المتكلمين " وكتاب " أخبار المتيمين " ، وكتاب " أخبار الغناء والأصوات " ، وكتاب " أشعار النساء " ، وكتاب " معجم الشعراء "(٤) ... الخ .

وتتضارب الآراء بعد ذلك في الثقة بالمرزباني ، فأبو علي الفارسي يقول إنه " من محاسن الدنيا "(٥) وقال ابن الأهدل : " المرزباني ... ثقة في الرواية "(٦) ، وقال الخوانساري : " المرزباني .. المحدث الأمين ، والمؤدب المتين .. وكان ثقة في الحديث "(٧) ، وقال الذهبي : " المرزباني الكاتب الصدوق "(٨) . وإذا كان هؤلاء العلماء قد شهدوا للمرزباني بأنه ثقة صدوق أمين ، فان علماء آخرين قد نعتوه بالكذب وبعدم تحري الدقة فيما يروي ، فالأزهري يقول : " ما كان ثقة " ، وأبو عبيد الله الكاتب يقول : أشرفت منه على أمر عرفت به أنه كذاب "(٩) وقد أبان الأزهري عن سبب نعته المرزباني بأنه لم يكن ثقة عندما قال : " ليس حال أبي عبيد الله عندنا الكذب ، وأكثر ما عيب به المذهب ، وروايته عن إجازات الشيوخ له من غير تبيين الإجازة "(١٠) وفصّل ابن

---

١ — تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٦
٢ — المصدر نفسه ، ص ١٣٦ ، وانظر أيضا : الصفدي الوافي بالوفيات ، جـ ٤ ، ص ٢٣٦ .
٣ — انظر: الفهرست ، ص ١٤٦ الوافي بالوفيات ، جـ ٤ ، ص ٢٣٦
٤ — تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٥
٥ — شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ١١١
٦ — روضات الجنات ، جـ ٧ ، ص ٣٣٨
٧ — المغني ، جـ ٢ ، ص ٦٢٠
٨ — تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٦
٩ — المصدر نفسه ، ص ١٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوزي هذا الأمر أكثر ، فقال : " كانت آفته ثلاثا : الميل إلى التشيع ، وإلى الاعتزال وتخليط المسموع بالإجازة ، وإلا فليس بداخل في الكذابين "[1].

وسيتضح لدى الحديث عن مصادر الموشح ، أنه كان يتحرى الدقة كثيرا ، وأنه مع ذلك كان يخلط الإجازة بالسماع ، ولكن ، لا بأس من إيراد القولة التالية ، ففيها دلالة على دقة المرزباني : " قال ابن أيوب : سمعت أبا عبيد الله يقول : سودت عشرة آلاف ورقة ، فصح لي منها ثلاثة آلاف "[2] ، فهو إذن كان يعاود النظر فيما كان سوّده ، فأسقط منه ما تبين له أنه غير صحيح على ضخامته ، وعلى ما كان قد بذل فيه من جهد ووقت ، ومال أيضا .

ومن الصفات البارزة في المرزباني أنه كان في أول الأمر ، رجلا يشرب الخمر في كل حين ، فقد ذكر أنه كان يضع بين يديه قارورة خمر ، وقارورة حبر ، فما يزال يشرب ويكتب[3] . كما كان رجلا يحب الوفاء ، ويذم خلة النكث بالأصدقاء ، والتنكر لهم بعد وفاتهم ، أو بعد انقطاع أسبابهم بأسبابه ، ويشهد على هذه الخصلة الحميدة فيه زمه الشديد للبحتري ، إذ لا حظ أن هذا الشاعر .. هجا نحوًا من أربعين رئيسًا ممن سبق له أن مدحهم ، ونال عطاياهم ، فقال : " وحاله في ذلك تنبئ عن سوء العهد وخبث الطريقة "[4] . كما لاحظ أن من سوء خلق البحتري وقلة وفائه لمن مدحهم أن وجده " قد نقل نحوا من عشرين قصيدة من مدائحه لجماعة توفر حظه منهم عليها إلى مدح غيرهم ، وأمات أسماء من مدحه أولا ..."[5] .

ويبدو أنه كان يكره العبث إذا مس عقيدته الاعتزالية ، فقد روى أبو حيان التوحيدي أن جارية تدعى خلوب غنت أبياتًا للعباس بن الأحنف يقول فيها :

إذا أردْتُ سُلُوًّا كان ناصرُكم ... قلبي ، وما أنا من قلبي بمنتَصِر
فأكثروا أو أقِلّوا من إساءتكم ... فكلُّ ذلك محمولٌ على القَدَر
وضعت خَدّي لأدْنى من يُطيفُ بكم ... حتى اختُقِرْتُ ، وما مثلي بمحْتَقَر

---

١ — المنتظم ، جـ ٧ ، ص ١٢٧ .
٢ — تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٥
٣ — المصدر نفسه .
٤ — الموشح ، ص ٥١٥
٥ — المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال أبو حيان : " وأبو عبد الله المرزباني شيخنا إذا سمع هذا جنّ واستغاث ، وشقّ الجيب ، وحولق ، وقال : يا قوم ، أما ترون إلى العباس بن الأحنف ، ما يكفيه أن يفجر حتى يكفر ؟ متى كانت القبائح والفضائح ، والعيوب والذنوب محمولة على القدر ؟ ومتى قدّر الله هذه الأشياء ، وقد نهى عنها ؟ ولو قدرها ، كان قد رضي بها ، ولو رضي بها لما عاقب عليها ، لعن الله الغزل إذا شيب بمجانة ، والمجانة إذا قُرنت بما يقدح في الديانة . ورأيت أبا صالح الهاشمي يقول له : هوّن عليك ياشيخ ، فليس هذا كله على ما تظن . القدر يأتي على كل شيء ، ويتعلق بكل شيء ، ويجرى بكل شيء ، وهو سر الله المكتوم . . . وما هذا التضايق والتحارج في هذا المكان ، والشاعر يهزل ويجد ، ويقرب ويبعد . . . ولا يؤاخذ بما يؤاخذ به الرجل الديان ، والعالم ذو البيان "[1].

ونحن إذا سلمنا بصحة هذا الخبر ، وأنه ليس من مبتدعات ذهن التوحيدي[2] ، استطعنا أن نقول : إن المرزباني كان متشددا في اعتزاله ، لا يقبل شيئا يناقض عقيدته ، ولو كان مقصودا به الهزل .

هل نظم المرزباني الشعر ؟

ما كنت لأعقد هذا الفصل لولا الأوهام التي لحقت هذه الناحية من نشاطات المرزباني ، ومجمل القول فيها أن كتب التراجم والأدب التي تحدثت عن المرزباني لا تذكر أنه كان شاعرا ، كما لا تذكر أن له بين بين ما خلف من انتاج ضخم ديوان شعر .

وقد يتوهم متوهم حين يقرأ قول التوحيدي في البصائر " : أنشدني المرزباني[3] فيظن الشعر له ، ولكن صيغة " أنشدني " تبعد نسبة ذلك عنه . وورد في الوافي بالوفيات قول الصفدي : " إن مجلس عزاء حضره أبو حيان التوحيدي وأبو عبيد الله المرزباني ، فجلس إلى جانب المرزباني خراساني يرجع إلى مال كثير ، عليه قباء مبطن ، له رائحة منكرة فقام المرزباني . . . وجلس ناحية أخرى ، وقام بقيامه من ذلك خلق كثير ، فقيل له : أيها

---

١ — الامتاع والمؤانسة ، جـ ٢ ، ص ١٧٧

٢ — انظر المقدمة التي كتبها الأستاذ احمد أمين : الامتاع والمؤانسة ، ص ، ع — ف وانظر: عبد الرزاق محيي الدين ، أبو حيان التوحيدي ، سيرته وآثاره ، ص ٢٩ .

٣ — البصائر والذخائر ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيخ ، ما حملك على ذلك ؟ فذكر قصته ،وشرح حاله ،وأنشأ يقول :

هلْ لَكَ في مالي وأهلي معا ... وجُلّ ما يَملِكُ جيرانيّهْ
تأخذُهُ نافِلةً جملـــــةً ... أحسبك المحْسِنُ في شانِيَهْ
فاذهبْ إلى أبعدِ ما يُنْتَوى ... لا ردَّك اللهُ ،ولا مالِيَهْ .(١)

وليس في سياق هذا الخبر ما يدل على أن هذه الأبيات من نظم المرزباني ، والأقرب للتصور أنه تمثل بها ، ولو ثبت أن هذه الأبيات الخمسة من نظمه ، ولو ثبت أن لـــه أبياتا أخرى ،فذلك لا يسلكه في عداد الشعراء .

وزعم آغابزرك الطهراني أن للمرزباني ديوان شعر فقال :" ديوان المرزباني لأبـــي عبدالله محمد بن عمران الكاتب المرزباني ،والخراساني ، البغدادي ، ترجم في " معالم العلماء " و " أمل الآمـل " ، ويكثر النقل عنه الشريف المرتضى في الغرر ، وديوانـــه في المراثي كما ذكره ابن النديم ."(٢)

أما أن يكون ابن النديم قد ذكر للمرزباني ديوان شعر في المراثي فهذا مالا وجـود له في الفهرست ، الا أن يكون الطهراني قد اطلع على نسخة مخطوطة للفهرست غيـــر النسخ التي اعتمدها من حقق الكتاب المطبوع ، وأما قول الطهراني " يكثر النقل عنـه الشريف المرتضى " فهو قول فيه لبس إذ قد يفيد أن الشريف المرتضى ينقل عن المرزبانـي ومؤلفاته ، وهذا صحيح ،فقد تجاوز عدد المـرات التي نقل فيها الشريف المرتضى فـي كتابه " الغرر " عن المرزباني السبعين مرة .(٣) كما قد يفيد أنه ينقل من ديوان المرزبانـي وهذا غير صحيح ، لأنا لا نجد في هذه المـرات السبعين بيتا واحدا نظمه المرزبانـــي .

وأورد ابن خلكان في ثنايا ترجمته للمرزباني أن أبا عبيد الله المرزباني " هو أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، واعتنى به ، وهو صغير الحجـــم

١ــ الوافي بالوفيات ،جـ٤ ،ص ٢٣٧ ،ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، مخطوط بمكتبـــة حافظ الأسد ،رقم ٣٤٠٨ ،جـ٦ ،ص ٢٣٣ .

٢ــ آغابزرك : الذريعة الى تصانيف الشيعة ،ط١ ،النجف ،العراق ،القسم الثالث من الجزء التاسع ،ص ١٠٢٩ ، وانظر : محسن الأمين : أعيان الشيعة ،مطبعة الانصاف ، بيروت ، ١٩٥٣ ،جـ ٤٦ ، ص ١٧٨ .

٣ــ انظر: الشريف المرتضى : أمالي المرتضى ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،ط١ ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٥٤ ، فهرست الأعلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدخل في مقدار ثلاث كراريس ، وقد جمعه من بعده جماعة . وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له[١] " الى أن يقول . . . " وشعر يزيد ، مع قلته ، في نهاية الحسن ، ومن أطايب شعره الأبيات العينية التي منها :

إذا رُمْتُ من ليلى على البُعْدِ نَظْرَةً ... تُطَغّي جوًى بيْنَ الحشا والأضالِعِ
تقولُ نساءُ الحيِّ تَطْمَعُ أن ترى ... محاسنَ ليلى ؟ مُتْ بِداءِ المطامِعِ
وكيف ترى ليلى بعَيْنٍ ترى بها ... سواها ؟ وما طَهّرْتَها بالمدامِعِ
وَتلْتَذُّ منها بالحديثِ، وقد جرى ... حديثٌ سواها في خُروقِ المسامع
أُجِلُّكِ يا ليلى عن العَيْنِ، إنما ... أراكِ بقلْبٍ خاشِعٍ لَكِ خاضِعِ

ومن لطيف شعره قوله :

ولي وَلَها إذا الكاساتُ دارَتْ ... رُقَى سِحْرٍ يَفُكُّ عُرَى الهُمُومِ
معاتبةً ألذُّ من الأماني ... وبَثُّ جوًى أرقُّ من النسيمِ[٢]

فوهم باحثان معاصران هما مصطفى الشكعة[٣] ، ومنير سلطان[٤] ، فظنا أن البيتين الأخيرين من شعر المرزباني ، وأحالا الناظر في كتابيهما في هذا الصدد إلى " وفيات الأعيان "[٥] .

والواضح بلا أدنى ريب أن البيتين ليزيد بن معاوية بنص ابن خلكان ، وبنص ابن شاكر الكتبي كذلك .

كما وهم من قبلهما السيد حسن الصدر فنسب الأبيات العينية الخمسة الأولى إلى المرزباني إذ قال في معرض ترجمته للمرزباني : " قال اليافعي في تاريخه : أخذ عن ابن دريد ، وابن الأنباري العلوم الأدبية . . . ثقة في الحديث ، قائل بمذهب التشيع وشعره قليل ، ولكنه من الجيد ، ومن محاسن شعره :

إذا رُمْتُ من ليلى على البُعْدِ نَظْرَةً ... تطغي جوى بين الحشا والأضالع[٦] "

١ــ وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٣٥٤
٢ــ المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥
٣ــ انظر : مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٢٧١ .
٤ــ انظر : المرزباني والموشح ، ص ٤٩
٥ــ انظر فوات الوفيات ، جـ٤ ، ص ٣٣١ .
٦ــ حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١ ص ٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثبت الأبيات الخمسة نفسها ، ثم قال : " وذكره ابن خلكان بمثل ما ذكره اليافعي بلا تفاوت حتى في التشيع ."(١)

وقول السيد حسن الصدر دليل على التسرع والجهل معا لسببين :

الأول أن الذي في " مرآة الجنان " منقول من " وفيات الأعيان " لأن اليافعي توفي سنة ٧٦٨ هـ ، في حين توفي ابن خلكان في سنة ٦٨١ هـ .

الثاني أن الذي في " مرآة الجنان " ، وهو المصدر الذي أشار اليه الحسن الصدر ، هذا نصه :" محمد بن عمران العرزباني ، البغدادي المولد ، صاحب التصانيف المشهورة والمجاميع الغريبة ، كان راوية للأدب . . . وهو أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان ، وهو صغير الحجم ، يدخل في مقدار ثلاث كراريس ، وجمعه جماعة من بعده ، وزاد وافيه أشياء ليست له ، وشعره مع قلته في نهاية من الحسن ، ومن محاسن شعره الأبيات التي منها قوله :

اذا رمت من ليلى . . ."(٢) الأبيات الخمسة نفسها . ونجده بعد هذا الاستطراد في الحديث عن ديوان يزيد يقول:" رجعنا إلى ذكر العرزباني . . ."(٣)

ومع إقرارنا بوضوح نسبة هذه الأبيات إلى العرزباني في هذا التعبير الذي أورده اليافعي ، فإننا نؤكد بوجود هذه الأبيات منسوبة إلى يزيد بن معاوية في الحماسة البصرية " ، و " ثمرات الأوراق "(٤) .

ويأتي بعد هذا الذي بيناه كله باحث آخر ليقول إن العرزباني " نظم الشعر حتى بلغ في نظمه مبلغا محمودا ."(٥) مع أنه يقول بعد ذلك بقليل دونما استشهاد أو بينة : " وفضلا على أن شعر العرزباني قد انتشر في بعض المعاجم ، وكتب التراجم ، فان له — لا شك — ديوان شعر مخطوط لم يطبع — كما اعتقد — وكله رقيق لطيف ."(٦)

---

١ — تأسيس الشيعة ، ص ٩٤ .

٢ — اليافعي : مرآة الجنان ، مطبعة المعارف النظامية ، حيدرآباد الدكن ، ١٣٣٨هـ. جـ٢ ، ص ٤١٨ .

٣ — المصدر نفسه ، ص ٤١٩

٤ — صلاح الدين البصري : الحماسة البصرية ، عالم الكتب ، بيروت ، جـ٢ ، ص١١٨ ؛ ابن حجة الحموي : ثمرات الأوراق ، تحقيق مفيد محمد قمحية ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨٨ ؛ شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، جمع صلاح الدين المنجد ط١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٠ .

٥ — هو محمد هادي الأميني ، انظر : أخبار شعراء الشيعة ، مقدمة التعليق ، ص ١١

٦ — المصدر نفسه ، ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونتساءل : كيف تسنى لهذا الباحث أن يحكم على ديوان لم يره بأنه كله رقيق لطيف وهو الذى لم يورد بيتا واحدا منه ، ولم يشر بنص صريح إلى كتب المعاجم والتراجم التي زعم أن شعر المرزباني انبث فيها ؟ يا للعجب !!

المرزباني بين التشيع والاعتزال :

تتضارب الآراء في مذهب المرزباني السياسي ، وانتمائه الفكرى ، فمن قائل إنه فيه اعتزال وتشيع ، ومن قائل إن فيه اعتزالا وحسب ، أو تشيعا وحسب .(١) (٢) (٣)

فأما الذين قالوا بالرأى الأول فهم بعض معاصري المرزباني ، فقد روى الخطيب البغدادى أن محمد بن أبي الفوارس قال : " كان فيه — في المرزباني — اعتزال وتشيع." وقال العتيقي : " وكان مذهبه التشيع والاعتزال ."(٤) ، وأوردنا في غير هذا الموضع أن ابن الجوزى الذى عاش في القرن السادس الهجرى ، أى بعد المرزباني بقرنين تقريبا ، ذكر أن في المرزباني ثلاث آفات ، منها تشيعه ، واعتزاله .(٥)

وحاول بعض العلماء أن يعلل عدّه المرزباني من أعلام المعتزلة ، دون أن يعلل قوله عنه إنه شيعي ، فهذا السمعاني يقول : " كان معتزليا ، وصنف كتابا جمع فيه أخبار المعتزلة ، وكان فيه تشيع أيضا ."(٦) وإذن فحجته في اعتزالية المرزباني نابعة من تأليف المرزباني كتابا في أخبار المعتزلة ، والا لما نصّ على هذا الكتاب في هذا السياق دون سواه من مؤلفاته الأخرى ، على كثرتها .

---

١ — من القائلين بذلك انظر : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ؛ والمنتظم ، جـ ٧ ، ص ١٧٧ ؛ الأنساب ، جـ ١٢ ، ص ١٩٠ ؛ والبداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٣١٤ .

٢ — من القائلين بذلك انظر : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ؛ وانباه الرواة ، جـ ٣ ، ص ١٨١ ؛ ومعجم الأدباء ، جـ ١٨ ، ص ٢٦٨ ؛ وسير أعلام النبلاء ، جـ ١٦ ، ص ٤٤٨ ؛ وميزان الاعتدال ، جـ ٣ ، ص ٦٧٣ ؛ ولسان الميزان ، جـ ٥ ، ص ٣٢٧ ؛ وشذرات الذهب جـ ٣ ، ص ١١١ .

٣ — من القائلين بذلك انظر : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٣٥٤ ؛ وروضات الجنان ، جـ ٧ ، ٣٣٨ ؛ والتاج المكلل ، ص ١٢٤ ؛ وأعيان الشيعة ، جـ ٤٦ ، ص ١٧٨

٤ — تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ .

٥ — انظر : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ١٧٧ .

٦ — الأنساب ، جـ ١٢ ، ص ١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما جل الذين أخذوا بالقول الثاني فلم تتعد حجتهم حجة السمعاني ،إذ يقرنون بين ذكرهم اعتزالَ المرزباني ،وتأليفَهُ كتابا في أخبارهم ، فالأزهري يقول : كان أبو عبيد الله معتزليا ، وصنف كتابا جمع فيه أخبار المعتزلة .(١)

وقال الذهبي : " المرزباني العلامة المعتزلي ،صنّف أخبار المعتزلة ".(٢)

وقال القفطي : " كان معتزليا " صنف كتابا في أخبار المعتزلة كبيرا .(٣)

واعتمد الذين قالوا إن في المرزباني تشيعا على حجتين :

الأولى : تزعم أن المرزباني ألف كتاب " مانزل من القرآن في علي " اعتمادا على ماأورده ابن شهر اشوب المازندراني في كتابه " معالم العلماء "(٤) والمازندراني مؤلف متأخر نسبيا عن عصر المرزباني ، فهو متوفى سنة ثمان وثمانين وخمسمئة للهجرة ، ولابن شهراشوب المازندراني كتاب آخر بعنوان " مناقب آل أبي طالب " ورد فيه قوله : " وأجاز لي أبو بكر محمد بن مؤمن الشيرازي رواية كتاب ما نزل من القرآن في علي ".(٥) دون أن يذكر اسم مؤلف هذا الكتاب ، كما عقد فيه فصلا لما نزل من القرآن في علي(٦) ولم يرد فيه شيء من كتاب " ما نزل من القرآن في علي " المنسوب إلى المرزباني . ولدى استقرائنا لكتب التراجم والتاريخ والأدب(٧) التي تحدثت عن المرزباني لم نعثر في أي منها على اسم هذا المؤلف ،ولما جاء بعض كتاب الشيعة المتأخرين(٨) ذكروا ذلك الكتاب اعتمادا على كتاب المازندراني الآنف الذكر .

١ــ تاريخ بغداد ، جـ٣ ،ص ١٣٦ .
٢ــ العبر ،جـ ٣ ،ص ٢٧ .
٣ــ انباه الرواة ،جـ ٣ ،ص ١٨١ .
٤ــ انظر : معالم العلماء ،تحقيق محمد كاظم الكتبي ،المطبعة الحيدرية ،النجف ،١٩٦٠ ، ص ١١٨ .
٥ــ مناقب آل أبي طالب ،تحقيق محمد كاظم الكتبي ،المطبعة الحيدرية ،النجف ،١٩٥٦ ، ص ١٢ .
٦ــ انظر : المصدر نفسه ،ص ٢٤٠ .
٧ــ انظر في ذلك مثلا : الفهرست ،ص ١٤٦ ؛الوافي بالوفيات ،جـ٤ ،ص ٢٣٥ ؛الأنساب ، جـ١٢ ،ص ١٨٩ ؛معجم الأدباء ،جـ١٨ ،ص ٢٦٩ ؛عيون التواريخ ،جـ٦ ، ص ٢٣٤ . وقد ورد في الفهرست اسم كتاب " ما نزل من القرآن في الحسين بن علي " لأبي جعفر محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري ، انظر ،ص ٢٧٧
٨ــ انظر في ذلك : روضات الجنان ،جـ ٧ ،ص ٣٣٨ ؛أمل الآمل ،القسم الثاني ،ص ٢٩٢ ؛ أعيان الشيعة ،جـ ٤٦ ،ص ٣٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثانية : تستند إلى منطق ضعيف هو رواية الشريف الرضي عن المرزباني حديثين نبويين ،الأول قوله عليه السلام:" من كنت وليه فعلي وليه " . والثاني قوله :" علي ولي كل مؤمن بعدي "[١].

والحق أن الحديث الأول جاء برواية الشريف الرضي عن المرزباني هكذا "أخبرنا بهذه الرواية خاصة ، وهي أشهر الروايات ،أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ." أما الحديث الثاني فلم يشر الشريف الرضي — كما زعم الخوانساري — الى أنه من مروياته عن المرزباني[٢].

ووقف على قضية تشيع المرزباني واعتزاليته باحثان معاصران ،

الأول : هو المستشرق "رودلف زلهايم" محقق كتاب "نور القبس" إذ اعتبر تشيع المرزباني واعتزاليته سببين من أسباب ضياع مؤلفاته وخمول ذكر كتابه "المقتبس" ، يقول : لم يكن المرزباني "ليخفي مذهبه ، بل على النقيض من ذلك يسعى للجهر به في كل حين ، وكان يذكر إلى ذلك ،روايات ما كان ليرى الجمهور من أهل السنة فيها إلا خروجا عن الدين ، منها روايته تفسيرًا لآيات من القرآن لأبي عبيدة كان جمهور المفسرين قد امتنع عن الأخذ بها ،ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه إلى رواية خرافات عن فضائل علي ،مثل القصة التي وردت في ترجمة سليمان الأعمش[٣]." وملخص القصة التي وردت في ترجمة سليمان الأعمش أن أخوين كان أحدهما يحب عليا ،فأكرمه الله ، وكان الآخر يكرهه فعاقبه الله بأن أحال رأسه ويديه إلى رأس خنزير ويدي خنزير[٤].

أما تفسير أبي عبيدة الذي رواه عنه المرزباني ، والذي ادعى "زلهايم" أن جمهور المفسرين من أهل السنة قد امتنع عن الأخذ به ، فهو إشارة إلى ما دار بين الفضل بن الربيع وأبي عبيدة من حديث في تأويل معنى قوله تعالى " طلعها كأنه رؤوس الشياطين "[٥].

---

١ — المجازات النبوية ،تحقيق محمود مصطفى ،مطبعة البابي الحلبي بمصر ،١٩٣٧ ،ص١٦٥

٢ — انظر : المجازات النبوية ،ص ١٦٥ وروضات الجنان ،ج ٧ ،ص ٣٣٩

٣ — نور القبس ،ص ٣١

٤ — انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٥١

٥ — سورة الصافات ،الآية ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ قال الفضل لأبي عبيدة : " إنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله ، وهذا لم يعرف " فقال أبو عبيدة : " إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرىء القيس :

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به ."(١)

وحقا قيل إن رد الفعل على تأليف أبي عبيدة مجاز القرآن كان حادا ، فالفراء قال : " لو حمل لي أبو عبيدة لضربته عشرين في كتاب المجاز "(٢) وأن الأصمعي انتقده لأنه يفسر كتاب الله برأيه "(٣) ولكن هذا لا يقوم حجة على ضياع مؤلفات المرزباني فمجرد رواية المرزباني عن أبي عبيدة بعض الأخبار عن الفكر المعتزلي ليست سببا كافيا يدفع أهل السنة إلى الازورار عن مؤلفاته ، لأنه لو صح ذلك لكان الأولى أن يهمل كتاب " تاريخ بغداد " لأن مؤلفه لا يكاد سيل رواياته عن المرزباني ينقطع ، ولكان الأولى بالطمس كذلك كتاب " مجاز القرآن " نفسه .

أما قول " زلهايم " ان المرزباني روى في المقتبس بعض الخرافات عن فضائل علي وآله ، فهو حقا مؤشر دال على تشيعه ، يعضده قول المرزباني في الموشح أيضا " تحامل الزبير بن بكار على كثيّر — فيما جمعه من أخباره ، وبيّن عليه من سرقاته — ظاهر ، وهو خصم لا يقبل قوله على كثيّر لهجاء كثير لولد عبد الله بن الزبير، وانحراف الزبير عن أهل البيت عليهم السلام."(٤) فهو يدافع عن كثيّر المعروف عنه تشيعه لآل البيت"(٥)

وأما الثاني فهو منير سلطان ،فقد ذهب الى أن المرزباني وظف قلمه للدفاع عن بني بويه لاشتراكه معهم في التشيع ، وربط احترام عضد الدولة له بوقوفه

---

١ — تاريخ بغداد ،ج ١٣ ،ص ٢٥٤ . ولم يرد لهذه الآية تأويل في " مجاز القرآن"، انظر : أبو عبيدة ، معمر بن المثنى : مجاز القرآن ،تحقيق محمد فؤاد سزكين ط١ ، مصر ، ١٩٥٤ ، ج ٢ ،ص ١٦٦ .

٢ — تاريخ بغداد ،ج ١٣ ،ص ٢٥٥ .

٣ — أنظر المصدر نفسه ،ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ،ففيه حديث شائق ممتع عن هذه القضية .

٤ — الموشح ، ص ٢٤٥

٥ — فنظر في ترجمة كثير : الأغاني ،ج٩ ،ص ٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— بسبب رابطة المذهب — مدافعا بقلمه عن البويهيين (١)

وأقول : إن أيا من مؤلفات المرزباني لا يمس الدولة البويهية ، فضلا عن أن يقدم لها خدمة . أما مؤلفاته " أخبار شعراء الشيعة " وأخبار فاطمة " ، " وما نزل من القرآن في علي " ، فهي مؤلفات لم يذكرها ابن النديم ، والبغدادي ، والسمعاني ، وياقوت والقفطي (٢).

وانفرد بذكرها بعض كتاب الشيعة المتأخرين (٣). وهي — إن صح أنها من مؤلفات المرزباني ، لا تخدم الفكر السياسي للشيعة البويهيين .

وأما حديث منير سلطان عن اعتزالية المرزباني فقد اعتمد فيه على ماأشار إليه القدماء (٤) ، وهو تأليفه كتابا في أخبار المعتزلة ، وقوله في كلام عام : فالمرزباني " معتزلي في تشعب ثقافته الأدبية والدينية والفلسفية ، معتزلي بفكره المنظم المنسق ، معتزلي بميله إلى الوضوح واحترام عقل المخاطب ، معتزلي بإدراكه للعامل النفسي عند قارئه ، فنراه يدخل عنصر الفكاهة في بحثه بعد طول الجد مع العلماء ومآخذهم (٥) ولكن لا أدري لماذا اعتمد النصوص التي تحتوى على الخرافات ، وكثيرا ما سخر منها كبار المعتزلة . "(٦)

---

١ — اثناء اندفاع سلطان لاثبات تشيع المرزباني قال في البويهيين " يجاورهم منافسهم سيف الدولة الحمداني السني " (المرزباني والموشح ص ٥٢) وهذا وهم لا يقوم على تدقيق أو تحقيق ، لأن الحمدانيين كانوا شيعة أيضا ، وفي قصائد الشعراء الذين مدحوا سيف الدولة وغيره من الحمدانيين مايدل على ذلك . ومما يؤكد ذلك المسكوكات النقدية لسيف الدولة فقد كتب على أحد وجهيها بعد ذكر الله والرسول " أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فاطمة الزهراء ، الحسن ، الحسين ، جبريل عليهم السلام " (مصطفى الشكعة : فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص ٨٠) .

٢ — انظر : الفهرست ص ١٤٦ ؛ تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ ؛ الأنساب ، جـ ١٢ ، ص ١٨٨ ؛ معجم الأدباء ، جـ ١٨ ، ص ٢٦٩ ؛ إنباه الرواه ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ .

٣ — انظر في هذه القضية : المرزباني والموشح ، ص ٧٨ — ٧٩
وأما كتاب " مانزل من القرآن في علي " فقد ذكر في روضات الجنات ، جـ ٧ ، ص ٣٣٨ ؛ والذريعة ، جـ ١ ، ص ٣١٥ ؛ وأعيان الشيعة ، جـ ٤٦ ، ١٧٨ ؛ ومعالم العلماء ، ص ١٠٥ ؛ وأمل الآمل ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢ .

٤ — انظر : المرزباني والموشح ، ص ٥٤

٥ — أشار منير سلطان الى ماورد في الموشح ، ص ٥٢٢

٦ — المرزباني والموشح ، ص ١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست أنكر أن المرزباني كان معتزليا ، ولكن ليس الدليل على ذلك تشعب ثقافته الأدبية والدينية والفلسفية ، إذ لم تتعد ثقافته حدود الرواية للتراث الأدبي على وجه الخصوص ، وليس له في الثقافة الفلسفية غير كتابه في أخبار المعتزلة ، وعنوانه دليل على نزعة مؤلفه الأخبارية ، ولم يعرف عنه أنه صاحب فكر اعتزالي مميز كالجاحظ أو النظام أو واصل بن عطاء ، ثم ليس ما ورد في الموشح من بعض الطرائف الأدبية مؤشرا دالا على اعتزالية صاحبه ، لأنه سيكون كل كتاب فيه طرائف أدبية كتاب اعتزال ، وأما ما ورد في الموشح من روايات خرافية فأمر توضيحها بيّن ، اذ كان المرزباني قد اتخذ منهجا محددا ، هو إيراد ما سمع عن شيوخه من أخبار نقدية ذات مساس بالشخصية التي يتحدث عنها دون مناقشة ، لأن هذا دأبه في جل الكتاب .

وعلى أية حال ، فإن منير سلطان كان ينقل حكما أورده عبد الحكيم بلبع في كتابه " أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجرى "[1] تحدث فيه مؤلفه عن هذه الخصيصة في أدب المعتزلة ، اعتمادا على قول الجاحظ : " ولم أعب الرواية — رواية الخرافات — وإنما عبت الإيمان بها ، والتوكيد لمعانيها "[2] وقول الجاحظ هذا يظهره مفكرا اعتزاليا متميزا ، وسكوت المرزباني عن التعليق على مثل هذه الأخبار ، يظهره رجل رواية وأخبار ، ويؤكد ما سبق أن قررناه ، وهو أنه لم يكن صاحب منزع اعتزالي متميز .

والراجح لدي أخيرا في قضية تشيع المرزباني ، واعتزاليته ، أن أبا عبيد الله المرزباني كان شيعيا ولكنه لم يكن من غلاة الشيعة ، ولا منظرا سياسيا لهم ، وكان معتزليا ، يحمل أفكار المعتزلة ، ولكنه ليس صاحب فكر مميز مستقل في الاعتزال .

ولنا على اعتزاله دليلان ، إضافة الى الدليل الذى اعتمده القدماء بأنه صنف في أخبار المعتزلة كتابا :

الأول : —

ماأورده أحمد بن يحيى المرتضي (ت سنة ٨٤٠هـ) في كتابه " طبقات المعتزلة "

---

١ — انظر : عبد الحكيم بلبع أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجرى ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ص ٢٨٩ — ٣١٦ .

٢ — الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٣ ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ج١ ، ص١٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقلا عن المرزباني ،وهو قوله : " قال المرزباني : أبو بكر ،وأبو الحسن بن المنجم ، كان هذان الشيخان آخر من شاهدنا من رؤساء من بقي من المتكلمين ،وعليهما ،وفي مجالسهما كان اعتماد المتكلمين ببغداد ، وانتفع بهما خلق كثير ، إلا أن أبا بكر زاد على غيره بما صنفه من الكتب ،وأودعه إياها ، ولم يطل عمره ، ولو طال أظهر علوما كثيرة ،لكنه توفي سنة عشرين وثلاثمئة ، وكان عمره حينئذ ستا وخمسين سنة ".(١)

وقال المرتضى أيضا في صدر حديثه عن الطبقة الثانية عشرة ،من طبقات المعتزلة " الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي . . أخذ عن قاضي القضاة . . وعبد النصيبيني والمرزباني ".(٢)

ونستطيع أن نستنتج من الخبر الأول أن المرزباني تتلمذ على شيخين من شيوخ المعتزلة ببغداد ، واطلع على تآليف المعتزلة فأدرك أن أبا بكر "زاد على غيره بما صنفه من الكتب ،وأودعه إياها".

كما نستطيع أن ندرك ،من الخبر الثاني ، أن المرزباني غدا معتزليا يتلقى العلم عليه علم من أعلامهم كالشريف المرتضى .

الثاني : غضب المرزباني لدى سماعه المغنية التي غنت ببعض شعر العباس بن الأحنف الذي يناقض مضمونه مبدأ من مبادئ المعتزلة هو مسئولية الإنسان عن أفعاله خيرها وشرها.(٣) ففضب المرزباني صادر من فكر المعتزلة الذين يرون "أن العبد قادر خالق لأفعاله ،خيرها وشرها ،مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة ،والرب تعالى ، منزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم ، كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا ".(٤)

وإذا كنا قد تبينا أن المرزباني كان معتزليا ،واحتججنا لذلك بحجتين ، فإن لنا حجتين أخريين تضعانه في عداد معتنقي الفكر الاعتزالي وحسب ، دون أن

١ــ طبقات المعتزلة ، تحقيق سوسنه ديفلد فلزر ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،لبنان (١٩٦١ ،ص ١٠٠ ، ولعل هذا النص أن يكون من كتاب المرزباني "أخبار المعتزلة".

٢ــ المصدر نفسه ،ص ١١٧

٣ــ انظر : أحمد أمين ،ضحى الاسلام ،ط ٧ ،مكتبة النهضة المصرية ،١٩٣٦ ،ج ٣ ص ٤٥.

٤ــ الشهرستاني : الملل والنحل ،تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ،دار الاتحاد العربي القاهرة ،١٩٦٨ ،ج ١ ،ص ٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتعدى ذلك إلى درجة حسبانه من أعلامهم المميزين :

أما الحجة الأولى فهي عدم تخصيص أحمد بن يحيى المرتضى ترجمة للمرزباني في كتابه " طبقات المعتزلة . " وأما الحجة الثانية فهي قول أبي حيان التوحيدي في معرض حديثه عن بعض شيوخ المعتزلة : " أما المرزباني ، وابن شاذان وابن القرمسيني وابن حيّويه ، فهم رواة ، وحمله ، ليس لهم في ذلك — علم الكلام — نقط ولا إعجام ، ولا إسراج ، ولا إلجام . "(١)

ونحسب أن الجمع بين الاعتزال والتشيع قد بت فيه الأقدمون(٢) ، ومع ذلك فلا بأس من التوضيح :

يروي الشهرستاني أن الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كانوا معتزلة ، لأن إمامهم زيد بن علي كان يجيز أن يكون الإمام من أولاد الحسن ، أو من أولاد الحسين ، رضي الله عنهم أجمعين ، وأن قوما منهم جوزوا " إمامة محمد وابراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور ، وقتلا على ذلك ، وجوّزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة ، وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يُحَصِّل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم ، فتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء . . . . رأس المعتزلة ورئيسهم . "(٣) ثم انتشر أتباع هذا المذهب من الشيعة المعتزلة في بلاد الديلم والجبل . "(٤)

ويقول المقدسي إنه اطلع على مؤلّف من مؤلفات الشيعة هو كتاب الدعائم فوجدهم فيه ، " يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول . "(٥) وقال متز : " الشيعة هم ورثة المعتزلة

---

١ — الامتاع والمؤانسة ، جـ١ ، ص ١٣٤

٢ — ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ، تحقيق زكريا علي يوسف ، طـ٢ مطبعة الامام ، ١٣٨٠هـ ، جـ٢ ، ص ٨٣ ، وانظر من المحدثين : أدب المعتزلة ، ص ١٦٣ شارل بلات : الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ترجمة ابراهيم الكيلاني ، ص ٢٩٠

٣ — الملل والنحل ، جـ١ ، ص ١٥٦

٤ — المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ١٥٦

٥ — المقدسي : أحسن التقاسيم ، تحقيق دي غويه ، نسخة مصورة عن الطبعة الثانية ، بريل ، ١٩٠٦ ، ص ٢٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا بد أن تكون قلة اعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة مما لاءم أغراض الشيعة ، ولم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهب كلامي خاص بهم ، فنجد أن عضد الدولة ، وهو من الأمراء المتشيعين ، يعمل على حسب مذهب المعتزلة .(١)

وعلى هذا يكون المرزباني من أتباع الشيعة المعتزلين في آن معا .

أما أن يكون المرزباني شيعيا اعتزاليا ويشرب النبيذ فأمر لا تناقض فيه ، ولا يثير الغرابة التي تصورها مصطفى الشكعة .(٢)

وفاة المرزباني :

إن الخلاف في تحديد السنة التي توفي فيها المرزباني ليس سوى خلاف طفيف ، فقد ورد في الفهرست أن المرزباني توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمئة للهجرة ، وهذا من الزيادات اللاحقة لأن ابن النديم قال قبل ذلك : " ويحيا إلى وقتنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ، ونسأل الله له العافية والبقاء بمنه وكرمه "(٣) وعلى هذا يكون تاريخ الوفاة مما دونه ابن النديم من بعد ، أو دونه أحد المعلقين على كتابه .

وقال ثلاثة من تلامذة المرزباني إنه توفي ليلة الجمعة أو يوم الجمعة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمئة .(٤)

وكان القاضي أبو القاسم التنوخي — أحد هؤلاء التلاميذ الثلاثة — أكثر تحديدا إذ قال : توفي المرزباني في ليلة الجمعة ، لليلتين خلتا من شوال ، ثم ذكر أنه صلى عليه هو والفقيه أبو بكر الخوارزمي سنة أربع وثمانين وثلاثمئة ، ودفن في داره بشارع عمر الرومي في الجانب الشرقي من بغداد .(٥)

وذكر ياقوت أن المرزباني توفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة ، ثم قال : وقال الخطيب سنة أربع وثمانين وثلاثمئة .(٦)

---

١ — الحضارة الاسلامية ، جـ١ ، ص ١٠٦

٢ — انظر مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ص ٢٧١

٣ — الفهرست ، ص ١٤٦

٤ — انظر تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٣٦

٥ — انظر المصدر نفسه

٦ — انظر : معجم الأدباء ، جـ ١٨ ، ص ٢٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر ابن خلكان التاريخين جميعا ،ثم قال :" والأول أصح "[١] يعني سنه ٣٨٤. والتاريخ الأول ، وهو سنة ٣٨٤ هـ ، هو المرجح لأنه ورد عن تلاميذه ومعاصريه.

مؤلفات المرزبانـــــي :

١ــ اتجاهات التأليف عنده .

تبين لنا في غير هذا الموضع أن المرزباني كان منقطعا للتأليف عاكفا عليه ، وأن داره كانت محجة طلاب العلم ومريديه ، يختلف إليها الشيوخ فيسمـــــع منهم ، والتلاميذ فيسمعون منه . ونضيف هنا أن قسما كبيرا من مؤلفاته كان يكتبـه بيده ، مع حرص شديد على تنقيح ما يكتب ،فهو القائل :" سودت عشرة آلاف ورقـة ، فصح لي منها مبيضا ثلاثة آلاف ورقة."[٢] وقال معاصره ابن النديم في ذلك أيضـــا : " وقف من أصوله التي بخطه نيفا وعشرين ألف ورقة ."[٣] وقال كذلك ، وهـــــو يعدد كتب المرزباني ،" كتاب الزهد وأخبار الزهّاد بخطه أكثر من مئتي ورقة ،"[٤]

وشهد من ترجم للمرزباني من القدماء بسعة ذرعه في التأليف ،ولعلهم بالغوا عندما قالوا إنه أحسن تصنيفا من الجاحظ ،[٥] أو لعلهم أرادوا بذلك حسن التبويب والتنويـــع في فنون التأليف ،وهذا ماقد يوضحه قول البغدادي " كان أبو عبيد الله المرزباني حسن الترتيب لما يجمعه ، وقد صنف كتبا كثيرة "[٦] وقول ابن كثير " صنف كتبا كثيرة في فنون مستحسنة ."[٧] وقول السمعاني كذلك :" كان صاحب أخبـــار ورواية للآداب ،وصنف كتبا كثيرة في أخبار الشعراء المتقدمين والمحدثين علـــى طبقاتهم ،وكتبا في الغزل والنوادر ،وغير ذلك ، وكان حسن الترتيب لما يجمعه."[٨]

١ــ وفيات الأعيان ،جـ٤ ،ص ٣٥٥
٢ــ تاريخ بغداد ، جـ٣ ،ص ١٣٥
٣ــ الفهرست ،ص ١٤٩
٤ــ المصدر نفسه ،ص ١٤٨
٥ ــ تاريخ بغداد ،جـ ٣ ،ص ١٣٥
٦ــ المصدر نفسه، جـ٣ ،ص ١٣٥
٧ــ البداية والنهاية ،جـ ١١ ،ص ٣١٤
٨ــ الأنساب ،جـ ١٢ ،ص ١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألف المرزباني نيفا وخمسين كتابا ، ورد ذكرها كلها أو بعضها في كثير من كتب التراجم والتاريخ . وقد وهم بعض الدارسين عند ما نسبوا اليه تأليف كتاب " تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب. "(١) كما أننا نتشكك في نسبة كتب أخرى إليه من بينها " العدد في الشعراء المعدودين "(٢) وكتاب " أخبار فاطمة "(٣) وكتاب " ما نزل من القرآن في علي "(٤) وذلك لأنها لم ترد ضمن ثبت مؤلفات المرزباني لدى الموثوقين من أصحاب التراجم القدامى .

ويمكن لنا بعد هذا كله أن نبلور اتجاهات التأليف لدى المرزباني في مايلي :

— من المؤلفات ما كان في أخبار الشعراء والنحاة واللغويين ، ومن تلك الكتب نذكر : " الكتاب المستنير " في أخبار شعراء الجاهلية والاسلام من أصحاب الكنى والألقاب ، والكتاب " الموشح " وهو في أخبار الشعراء المشهورين من الجاهليين ، بدءا بامرئ القيس وطبقته ، والمخضرمين ومن تبعهم من الإسلاميين حتى انتهى بابن هرمة وطبقته ، ومن يستشهد بشعره منهم " ومعجم الشعراء " ، والمقتبس في أخبار النحاة " .

— ومنها ما كان في الشعر ودراسته كالموشح ، " والمفضل " الذي بسببه قال عنه الشيخ عباس القمي " أول من أسس علم البيان ودونه ، وإن عد الشيخ عبد القاهر المؤسس."(٥) وكتاب " الشعر " الذي وصف بأنه جامع لفضائله .(٦)

— ومنها ما كان في النوادر ككتاب " المستظرف في الحمقى "

حـ١١ ، ص ٣١٤

١ — ذكر ذلك ابن كثير ، انظر : البداية والنهاية ، وقد تبين أن هذا الكتاب من تأليف محمد بن خلف المرزباني ، ونشره الأب لويس شيخو في مجلة المشرق ، مجلد ١٢ سنة ١٩٠٩ ، وأعاد نشره محققا ابراهيم يوسف بالقاهرة ، سنة ١٣٤١هـ . وانظر : بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ .

٢ — ذكر في هدية العارفين ، جـ٢ ، ص ٥٤ .

٣ — ذكره ميرزا محمد : انظر : ريحانة الأدب ، جـ ٥ ، ص ٢٨٢

٤ — انظر مثلا : معالم العلماء ، ص ١٠٥ ، وأمل الآمل ، جـ٢ ، ص ٢٩٢ .

٥ — الكنى والألقاب ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٧٠ ، جـ٣ ، ص ١٧٧ ، وقد ذكره الصفدي " بالمفضل " أنظر الوافي ، جـ٤ ، ص ٢٣٦ .

٦ — الوافي ، جـ٤ ، ص ٢٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ومنها ما كان ذا صبغة تاريخية ككتاب " أخبار البرامكة " وكتاب " أخبار أبي حنيفة وأصحابه " وكتاب " أخبار الأجواد " ، وأخبار عبد الصمد بن المعذل " ،

ـ ومنها ما كان في الشؤون والعادات الاجتماعية ككتاب " التهاني " و " التسليم والزيارة " و " التعازي " و " المراثي " ، و " المديح في الولائم والدعوات والشراب " و " الهدايا " ، و " العيادة " .

ـ ومنها ما اصطبغ بصبغة دينية واضحة ككتاب " المواعظ وذكر الموت " و " المعلمي في فضائل القرآن " و " المشرف في حكم النبي وآدابه " ، و " المنير في التوبة والعمل الصالح " .

ـ ومنها ما يمكن أن يندرج في ميدان الثقافة العامة ، ككتاب " الأزمنة " ، وإن بدا من خلال وصف ابن النديم له كتاب جغرافيا وفلك وتاريخ ، وكتاب " الأنوار والثمار " .

الى غير ذلك من مؤلفات في أخبار الشعراء فرادى وجماعات . وأشرنا من قبل الى كتابه الكبير في أخبار المعتزلة وهو كتاب " المرشد " الذى قال عنه ابن النديم فيه أخبار المتكلمين ، وأهل العدل والتوحيد (١)

وذكر المرزباني في الموشح أسماء ثلاثة من مؤلفاته هي :

١ـ المفيد ، وهو كتاب في أخبار الشعراء ، ذكر فيه عيوبهم النفسية والجسمية والخلقية .

٢ـ كتاب الشعر ، ذكر فيه فضائل الشعر ، ووصف محاسنه ومعايبه ، وما يتعلق في ذلك من حديث عن سرقات المعاني الشعرية .

٣ـ رسالة في الاحتجاج للشعراء على مآخذ العلماء ، وعد بتأليفها في مقدمة " الموشح " حيث قال : " ولولا أنه لا يجوز أن نبني قولا على شيء بعينه ، ثم نعقّب بنقضه فني

١ـ انظر الثبت الكامل لمصنفات المرزباني في : الفهرست ، ص٤٦ ـ ١٤٩ ؛ الوافي بالوفيات ، جـ٤ ، ص٢٣٥ ـ ٢٣٧ ؛ عيون التواريخ ، جـ٦ ، ص٢٣٢ ؛ معجم الأدباء ، جـ ١٨ ، ص٢٦٨ ؛ انباه الرواه ، جـ٣ ، ص١٨٢ ؛ هدية العارفين ، وكالة المعارف ، استانبول ، ١٩٥٥ ، جـ ٢ ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تضاعيفه ، لذكر الاحتجاج للشعراء في هذا الكتاب ، ولكنا نفرد له رسالة ان شاء الله .»[1]

أما المؤلفان الأولان فكان قد انتهى من تأليفهما قبل البدء بتأليف الموشح وفي ذلك يقول في عبارة واضحة : « سألت ... أن أذكر لك طرفا مما أنكر على الشعراء في أشعارهم من العيوب ... فأجبتك إلى ما سألت .. وأودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده ... من ذكر عيوب الشعراء التي نبه عليها أهل العلم .. من اللحن ، والسناد والإيطاء ... وغير ذلك من سائر ما عيب على الشعراء قديمهم ومحدثهم في أشعارهم خاصة ، سوى عيوبهم في أنفسهم وأجسامهم ، وأخلاقهم وطبائعهم ... وغير هذه الخصال من معايبهم ، فإنا قد استقصيناه في كتابنا الذي لقبناه بـ « المفيد » ، وغيره من كتبنا التي ضمناها أخبار الشعراء ... وسوى سرقات معاني الشعر ، فإنها أحد عيوبه ... فإنا قد أتينا بكثير من ذلك في (كتاب الشعر)[2] الذي نبهنا فيه على فضائله ، ووصف نعوته وعيوبه .»

ومن مؤلفات المرزباني التي كانت مصدرا من مصادر التأليف لدى تلاميذه كتاب (الفرج) . وذكره من المترجمين ياقوت والقفطي ، وسماه الصفدي (الفرج القريب) .

ولعل هذا الكتاب هو الذي أوحى إلى التنوخي فكرة تأليف كتابه المعروف بـ (الفرج بعد الشدة) إذ نجد في هذا الكتاب الأخير بعض روايات رواها التنوخي عن المرزباني[3] تماما كما كانت مؤلفات المرزباني الأخرى وحلقات درسه قد اتخذت لها طريقا إلى مؤلف التنوخي الثاني « نشوار المحاضرة »[4].

ولكن معظم هذا الانتاج الضخم ضاع ، ولم يبق منه في حدود ما نعلم إلا ستة كتب ، هي : معجم الشعراء ، أشعار النساء ، الموشح ، نور القبس المختصر من المقتبس ، شعراء الشيعة ، أخبار السيد الحميري .

والكتب الثلاثة الأولى صحيحة النسبة إلى المرزباني ، أما الثلاثة الأخرى فلها خصوصيتها مما سنفصله كله .

١ـ الموشح ، ص١ وفيها ورد ذكر المؤلفين الآخرين ، المفيد ، وكتاب الشعر .
٢ـ المصدر نفسه .
٣ـ انظر : الفرج بعد الشدة ، جـ١ ، ص١٧٩ ، جـ٥ ، ص٦٠
٤ـ انظر : القاضي التنوخي : نشوار المحاضرة ، تحقيق عبود الشالجي ، مطابع دار صادر بيروت ، ١٩٧١ ـ ١٩٧٣ ، جـ٧ ، ص٧ ، ١٩ ، ٤٥ ، ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ـ وصف مؤلفات المرزباني الباقية :

أ ـ معجم الشعراء :

ورد اسم هذا المؤلف في عدد من كتب التراجم ، وقيل عنه إنه في نحو ألف ورقة تضم نحوا من خمسة آلاف شاعر مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم .

ولكن الناظر في الكتاب اليوم لا يعثر إلا على خُمْس هذا العدد من أسماء الشعراء ، فهو يبدأ بذكر من اسمه عمرو ، ومعنى ذلك أن الشعراء الذين تبدأ أسماؤهم بالحروف الهجائية التي قبل (عمرو) فقدت ترجمتهم ، كما سقط من النسخة التي اعتمدت في التحقيق أوراق تضم حرف الغين والنون والواو ، عدا الساقط من بعض الاسماء الأخرى .

ويؤخذ على المرزباني في تصنيفه الشعراء على حروف المعجم مأخذان :

الأول : أنه لم يكن يراعي في الترتيب غير الحرف الأول من حروف المعجم ، وعلى هذا نجد أن من اسمه عمرو قد ورد ذكره قبل من اسمه عثمان أو عدي .

الثاني : أنه اعتمد الأسماء الشخصية للشعراء ، ولم يعتمد الألقاب أو الكنى التي اشتهر بها بعض الشعراء ، من ذلك مثلا أن ترجمة طرفة بن العبد جاءت تحت باب من اسمه عمرو ، (x) وترجمة الفرزدق جاءت تحت باب من اسمه همام .

وطريقة المرزباني في " المعجم " تتفق مع طريقته في " الموشح " و " أشعار النساء " من بعض الوجوه ، فهو يذكر الروايات المتعددة للخبر الواحد ، وهو يفسر ما قد يتراءى له أنه بحاجة الى تفسير ، ويوضح من الأحداث ما يحتاج إلى توضيح ، ولم يشذ عن منهجيته العامة في مؤلفيه الآخرين إلا في حذف سلسلة السند ، وترجمات الشعراء في المعجم مقتضبة ، لأن هذا الحشد الضخم من أسماء الشعراء والرجاز لو بسطا القول فيهم لغدا الكتاب في غاية الضخامة ، وهذا ما يفسر أيضا سر انصراف المرزباني عن ذكر

---

x ـ معجم الشعراء ، ص ٤٦٥ ، وانظر : عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية في التراث الأدبي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلاسل الأسانيد ، ولعل في تسمية الكتاب بالمعجم ما يجلي سبب هذا الاقتضاب ، إذ أراد صاحبه أن يكون كشانا وحسب ، وقد صرح المرزباني بذلك تصريحا حين قال معللا اكتفاءه بذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين ، والأعراب المغمورين: " وقد ثبتت أخبارهم وأشعارهم في الكتاب "المفيد" ، فاقتصرت في هذا الموضع على ذكر كناهم ، وقبائلهم وسقتهم على حروف المعجم ."(١)

طبع كتاب " معجم الشعراء " مرتين ، وقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الكتاب على الطبعة الثانية التي حققها عبد الستار أحمد فراج ، ونشرت عن دار إحياء الكتب العربية ، سنة ١٩٦٠م . كما قام الأستاذ إبراهيم السامرائي بجمع ما تناثر من أشعار وأخبار في كتب كان مصدرها " معجم الشعراء " ، ولكنها لم ترد في النسخة التي اعتمدها عبد الستار فراج في تحقيقه .(٢)

ب ـ أشعار النساء:

ورد ذكر هذا الكتاب أيضا في عدد من كتب التراجم ، وقد قال ابن النديم وياقوت(٣) عنه : انه في نحو من ستمئة ورقة ، في حين قال القفطي(٤) إنه في نحو من خمسمئة ورقة . ولعل هذا الاختلاف في تحديد عدد أوراق هذا الكتاب يعود إلى أن النسخة التي اطلع عليها ابن النديم وياقوت هي غير النسخة التي اطلع عليها القفطي .

وهذا الكتاب ، على ما ذكر بروكلمان ، لم يصل إلينا سالما ، فهو لم يتضمن إلا تراجم ثمان وثلاثين شاعرة " أغلبهن لا ذكر لهن في الكتب المطبوعة ."(٥)

حقق الكتاب الأستاذان سامي مكي العاني ، وهلال ناجي ، وصدر عن دار الرسالة للطباعة في بغداد ، وذلك سنة ١٩٧٦ . ويرجح المحققان أن النسخة التي اعتمداها

---

١ ـ معجم الشعراء ، ص ٥٠٧

٢ ـ انظر: إبراهيم السامرائي : من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني ، الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ ، وقد فات الدكتور السامرائي عدد كبير ممن ترجم لهم المرزباني ، وأسماؤهم مبثوثة في كتب تراجم لم يطلع عليها من مثل تاريخ مدينة دمشق

٣ ـ انظر الفهرست ، ص١٤٦ ؛ معجم الادباء ، جـ ١٨ ، ص٢٦٩

٤ ـ انظر: انباه الرواة ، جـ٣ ، ص١٨٢

٥ ـ أشعار النساء ، ص٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في التحقيق لا تشكل إلا قطعة من الجزء الثالث من الكتاب ، وأنها قد كتبت في القرن الخامس الهجرى (١).

ومنهج المرزباني في "أشعار النساء" يتطابق تماما مع منهجه في "الموشح" فهو يسند الأخبار إلى مصادرها ، وطرق روايته لهذه الأخبار هي ذاتها طرقه في الموشح ، إذ نجد سند كل خبر يبتدئ بقوله : كتب إلي .. أو حدثني ، أو حدثنا .. أو وجدت بخط ... الخ

وشيوخه الذين روى عنهم أو سمع منهم أو أولئك الذين كاتبوه ، أو وجد بخطهم هم أعينهم في الكتابين ، ثم هذا التعدد في الأسانيد للخبر الواحد ، وهذه الإشارة إلى ما بين الروايات من اختلاف طفيف أو كبير تظهر في الكتابين بالصورة نفسها ، وأخيرا هذا الحرص على تفسير بعض الألفاظ في الأبيات التي يرويها ماثل في الكتابين جميعا .

ولكتاب "أشعار النساء" أهمية خاصة ، فهو من أقدم المصنفات التي عنيت بأدب المرأة . والظاهر أن السيوطي لم يقف على هذا الكتاب عندما ألف كتابه "نزهة الجلساء في أخبار النساء" (٢) كما لم يفطن إليه محقق "نزهة الجلساء" في حين نجد ابن حجر العسقلاني ينقل عنه في ترجماته لبعض النساء في مؤلفه "الإصابة" كما نقل عنه عبد القادر البغدادي ، وعده من جملة المصنفات التي استقى منها مادة كتابه "خزانة الأدب" (٣) جـ: أخبار شعراء الشيعة :

لم يذكر هذا الكتاب أحد من القدامى غير الصفدي وابن شاكر الكتبي وقد أسمياه "شعراء الشيعة" (٤).

١ــ أشعار النساء ، ص ٢٣

٢ــ حققه الاستاذ صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٨ ، وانظر مقدمة التحقيق .

٣ــ انظر في ذلك مثلا ترجمة عمرة بنت الحارث بن أبي عمف ، قال ابن حجر : "ذكرها المرزباني مع أختها وأمها البرصاء" الاصابة في تمييز الصحابة ، مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٩٣٩ ، جـ٤ ، ص ٣٥٥ وانظر : خزانة الأدب ، جـ١ ، ص ٢٢

٤ــ انظر : الوافي بالوفيات ، جـ٤ ، ص ٢٣٧ ، عيون التواريخ ، جـ٦ ، ص ٢٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر السيد محسن الأمين العاملي أنه قام بتلخيص مادة هذا الكتاب من نسخة خطية فقدت منه . والكتاب ، بعد ، ترجمة لسبعة وعشرين شاعرا ، ممن كان ذا ميل شيعي كالفرزدق ، أو كان شيعيا مذهبا وانتماء كالكميت بن زيد . والغريب أن يسلك أبو نواس في عداد الشعراء الشيعة فقال المرزباني عنه " كان شيعيا اماميا حسن العقيدة "(١) ودلل على ذلك بأبيات قالها أبو نواس في علي بن موسى الرضا منها قوله :

قيلَ لي أنت أوْحَدُ الناسِ طُـرّاً ... في فنونٍ من الكلام النبيـه
فَعلامَ تركْتَ مدحَ ابنِ موسـى ... والخصال التي تجمعن فيه
قلتُ : لا أهتدي لمَدْحِ إمـامٍ ... كان جبريلُ خادمًا لأبيه.(٢)

وهذه الأبيات لم ترد في أيٍ من طبعات ديوان أبي نواس .

وعلى أية حال ، فإن هذا الكتاب لا يشبه أسلوب المرزباني في مؤلفاته الأخرى الثابتة النسبة إليه ، فلا أسانيد ، ولا تعدد في الروايات فيه ، ولا تظفر فيه كذلك بشروح أو توضيحات كما هي العادة التي عوّدناها المرزباني .

د ـ أخبار السيد الحميري :

كتاب " أخبار السيد الحميري " كُتِبَ عدة صفحاته إحدى وأربعون صفحة من القطع الصغير ، حققه ، وعلق عليه محمد هادى الأميني ، ونشرته مطبعة النعمان في النجف سنة ١٩٦٥م .

وهذا الكتاب لم يرد ذكره في كتب التراجم التي ترجمت للمرزباني ، ويبدو أنه جزء من كتاب المرزباني الموسوم بـ " المفيد " الذى قال عنه ابن النديم : " والكتاب المفيد فيه عدة فصول . . . الفصل الأخير يذكر فيه من ترك قول الشعر في الجاهلية تكبرا ، وفي الإسلام تدينا ، ومن ترك المديح ترفعا ، والهجاء تكرما ، والغزل

---

١ ـ أخبار الشعراء الشيعة ، ص ١١٣ .

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعففا ، ومن أنفذ شعره في معنى واحد كالسيد الحميري ، والعباس بن الأحنف . . . وهو أكثر من خمسة آلاف ورقة . "(١)

غير أن محقق (٢) ديوان السيد الحميري أشار الى أن في مكتبة الحسين بكربلاء مخطوطة بأخبار السيد الحميري من تأليف محمد بن عمران المرزباني ، فإذا صح ذلك فان هذا الكتاب يكون من المؤلفات التي لم يذكرها مترجمو المرزباني الأولون . خاصة أن في عباراتهم ما يشي بأن للمرزباني كتبا لم يسموها ، كقول ياقوت في أعقاب ذكره لمؤلفات المرزباني التي أحصاها " وله غير ذلك "(٣) وقول ابن شاكر الكتبي كذلك في ختام حديثه عن مؤلفات المرزباني : " وله كتب غير ذلك بدأها ولم يتمها . "(٤)

هـ ـ نور القبس المختصر من المقتبس :

ألف المرزباني كتابا ضخما في أخبار النحاة البصريين والكوفيين هو كتاب " المقتبس " الذى قال عنه ابن النديم : " فيه أخبار النحويين البصريين ، وذكر أول من تكلم في النحو ومن ألّفه ، وأخبار القراء ، والرواة من أهل البصرة ، والكوفة ، ومن نزل منهم بمدينة السلام نحو ثلاثة آلاف ورقة . "(٥)

وأشار ياقوت إلى هذا الكتاب في موضعين ، قال في الأول : " الكتاب المقتبس في أخبار النحويين البصريين ، وأول من تكلم في النحو ، وأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة نحو ثمانين ورقة ".(٦)

وقال في الموضع الثاني : " صنف أبو عبيد الله المرزباني كتابا حفيلا كبيرا على عادته في تصانيفه ، إلا أنه حشاه بما رووه ، وملأه بما وعوه فينبغي أن يسمى مسند النحويين ، وقد وقفت على هذا الكتاب ، وهو تسعة عشر مجلدا ، مع أنه أيضا

---

١ ـ ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٤٦ ، وانظر مقدمة صامي العاني ، وهلال ناجي ، أشعار النساء ، ص ٢٢ .
٢ ـ ديوان السيد الحميري : تحقيق شاكر هادى شكر ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، انظر قائمة مصادر التحقيق ومراجعه .
٣ ـ معجم الأدباء ، جـ ١٨ ، ص ٢٧٢ .
٤ ـ عيون التواريخ ، جـ ٦ ، ص ٢٣٣
٥ ـ الفهرست ، ص ١٤٧ .
٦ ـ معجم الادباء ، جـ ١٨ ، ص ٢٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قليل التراجم بالنسبة إلى كبر حجمه ."[1] والراجح أن اشارة ياقوت الأولى كانت الى جزء من الكتاب الكلي .

وقال القفطي إنه في نحو ثلاثة آلاف ورقة ،يقارب العشرين مجلدا " وورد في أثنائه من المسائل النحوية ،والألفاظ اللغوية ما يعد به من أكبر أهله ."[2]

والكتاب ، على أية حال ،مفقود ، ولكن هذه الأقوال ،على مابينها من اختلاف ، تشهد على ضخامته ،وسعة ثقافة صاحبه في ميداني اللغة والنحو،إلى جانب سعة اطلاعه على أخبار علماء الأدب ،وأعلام الشعر .

وقد حفظ لنا جزءا من مادته الشيخ اليفموري الذي يقر بأنه لم يطلع على المقتبس وإنما كان مصدره " الشهاب القبس " لمؤلفه الشيخ الحافظ بشير بن أبي بكر حامد بن سليمان الجعفري التبريزي (ت سنة ٦٤٦هـ) . والشهاب القبس هو اختصار لكتاب " المقتبس " للمرزباني .

والمقتبس والشهاب مفقودان ،وسلم للتراث اللغوي والنحوي " نور القبس " لليفموري (ت ٦٧٣هـ) .

ويبدو أن ضخامة " المقتبس " هي التي حجبته عن الأنظار ،فقد قال اليفموري : " سمعت مشيختنا يقولون : لا يوجد من هذا الكتاب نسخة سوى الأصل الذي هو بخط المصنف ، وهو ثمانية عشر مجلدا ، في وقف الوزير نظام الملك في مدرسته بمدينة السلام "[3]

ونجد اليفموري يقر بشيء بالغ الأهمية في الدلالة على منهج المرزباني في مؤلفاته ، هو ذكره أسانيد أخباره التي قام اليفموري بحذفها ،يقول :" وقد حذفت الأسانيد والطرق وما لا يتعلق به كبير غرض وفائدة ."[4]

يشتمل كتاب نور القبس على مئة وخمس وعشرين ترجمة لعلماء اللغة والنحو ،ولبعض القراء موزعين على النحو التالي :

١ــ معجم الأدباء ،جـ١ ،ص ٤٧ .
٢ــ انباه الرواة ،جـ٣ ،ص ١٨٠
٣ــ مقدمة محقق نور القبس ،ص ١٨
٤ــ المصدر نفسه ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسعة وخمسين ترجمة لعلماء النحو والرواة من البصريين أولهم أبو الأسود الدؤلي ، وأخرهم عمر بن شبة .

ثلاثين ترجمة لرواة الكوفة ، وعلمائها ، وقرائها ، بدأ بقبيصة الأسدي وانتهاء بابن الأعرابي .

ستا وثلاثين ترجمة لعلماء بغداد ، ونحاتها ، ورواتها ، بدأ بابن اسحق ، وانتهاء بوهب بن منبه .

حقق كتاب نور القبس المستشرق رودلف زلهايم ، ونشرته دار نشر فرانتس شتاينر بفيسبادن ، وذلك سنة ١٩٦٤م .

هذه هي الكتب التي ظهرت للنور من مؤلفات المرزباني ، أما سائر كتبه التي لم تصلنا فليس بمغن كثيرا أن أعيد إثباتها نقلا عن ابن النديم وياقوت والقفطي وغيرهم ، ولكني أحببت أن انوه بكتابين منها ، إذ أوقفني الأستاذ الفاضل إحسان عباس على نصين مقتطفين من ذينك الكتابين ، أحدهما من " المستنير " والثاني من كتاب " أخبار أبي نواس " والنصان موجودان في كتاب بغية الطلب " لابن العديم . أما كتاب المستنير فقد تردد ذكره في بعض كتب التراجم (١) ، في حين لم يرد فيها ذكر لكتاب " أخبار أبي نواس " ولكن العبارة التي كان يختتم بها بعض كتاب التراجم ترجمتهم للمرزباني ، والتي أشرنا اليها في موضع سابق من هذه الدراسة ، لا تمنع أن يكون هذا الكتاب من جملة مؤلفاته غير المسماة .

وقد ارتأيت أن أورد النصين على حالهما التي وردا فيهما في كتاب ابن العديم استكمالا للفائدة (٢) .

---

١ — انظر : الفهرست ، ص ١٤٦ ، فقد ذكر ابن النديم أن هذا الكتاب يحوى أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من الشعراء المحدثين ومختار أشعارهم على أسنانهم وأزمانهم ، أولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز ، وهو في ستة آلاف ورقة وبخط المرزباني في ستين مجلدا سليمانيا .

٢ — نقل ابن العديم عن المستنير نقولا أخرى في ترجمة أبي العتاهية ، ولكني لم أستطع الحصول على تلك النقول ، وكذلك نقل في الترجمة المذكورة عن كتب أخرى من كتبه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النص الأول

من أخبار أبي نواس لأبي عبد الله المرزباني

" حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال: أخبرني أبي ، قال : أتى أبو المغلفل الشاعر ، وهو رجل من تنوخ من حلب ، أبا نواس عند قدومه من مصر يجتديه فطال اختلافه جدا ، قال ، فأمر أبو نواس غلاما له فحلق رأسه وكتب عليه أربعة أبيات وقال : إذا جاء أبو المغلفل فقل له ، يقول لك مولاى : اقرأ ما على رأسه ، فكان ما على رأسه :

وأشْمَطَ دلاّجٍ عليّ ورائحٍ ... يُطالِبُ نَيْلاً لو يُعَانُ بُجودِ

وإنيّ وإيّاهُ لقرنان نصطلي ... من المَطْلِ ناراً غيرَ ذاتِ خُمودِ

زَوَيْتُ له وجْهًا قَطُوبًا عن الندى ... وأقْصَيْتُه من نائلي بوعيـــد

ويروى : وألبسته من وعده بوعيد

فإنْ كنتُ لا عن سوءِ رأيك مقلعا ... فدونَكَ فاستَظْهِرْ بنعْلٍ حَديد

فعندِيَ مَطْلٌ لا يَطيرُ غُرابُـــه ... عَتيدٌ ، ولا يُدْعى له بولـــيد

أخبرني محمد بن يحيى أن أبا نواس خاطب بهذه الأبيات أبا المغلفل الشاعر ، قال: ويقال إنه قالها للأبزارى " (١)

النص الثاني / من كتاب المستنير للمرزباني

" حدثني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله الشاعر الرصافي الحلبي ، وهو مولى لبني أمية ، قال : كان دعبل مولعا بالهجاء ، وكان لا يمدح أحدا الا أقل ذاك ، لا لأن ذلك لم يكن في طبعه ، ولكنه كان يرفع نفسه عنه ، فإذا اضطر إلى المديح قال البيت أو البيتين أو الأبيات القلائل ، وكانت له نفس عجيبة . . .

قال : واجتاز بحفص بن عمر ، وهو يتولى ديار مضر ، فلم يعطه حفص شيئا ، وأراه على أن يمتدحه ليعطيه على المديح ، فلم يفعل ، وقال له : عرضت لي نفسك طمعا في أن أهجوك كما هجوتُ الخلفاء ومن يتلوهم ، فيقال : إن دعبلا هجا فلانا أمير المؤمنين وهجا حفص بن عمر ، هيهات أن أفعل ذلك . " (٢)

---

١ — بغية الطلب ، ٩ / ١٩٨

٢ — المصدر نفسه ، ٩ / ١٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثانـــي

كتـــاب الموشـــح :

١ــ تحقيق الاســـم

٢ــ سبب التسميـــة

٣ــ دوافع تأليفـــه

٤ــ هل احتذى فيه مؤلفه على مثال سابق ؟

٥ــ شيوخ المرزباني "دراسة في مصادر الموشح"

٦ــ منهج المرزباني في الموشح :

أ ــ مقدمتـــه

ب ــ مدى تطبيق خطة الكتاب

جـ ــ تقسيم الشعراء فيـــه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتـــاب " الموشـــح "

أـ تحقيق الاســم :

كتاب الموشح هو الكتاب الوحيد الذى وصل إلينا تاما من بين مؤلفات المرزبانـي الأخرى . وأول من ذكره ممن ترجموا للمرزباني ابن النديم ، قال:" الموشح ،وصف فيـه ماأنكره العلماء على بعض الشعراء في أشعارهم ، من الكسر ، واللحن ، والسنـــاد ، والايطاء ، والاقواء ، والاحالة ، والاضطرار في القول ، وهلهلة النسج ، وغير ذلك مـن عيوب الشعر ، وهو أكثـر من ثلاثمئة ورقة . "(١)

وورد اسمه في معجم الادباء " الموشّع فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر ، ولحن ،وعيوب الشعر ،وقال أيضا : هو في ثلاثمئة ورقة . "(٢)

وتسميته بالموشّع تصحيف ظاهر ،أخذ به محقق " معجم الشعراء " الأستاذ عبـــد الستار أحمد فراج .(٣) واعتبر مصطفى الشكعة الموشح غير الموسع ،إذ نجده بعـد أن يذكر مؤلفات المرزباني المشهورة ، ومنها الموشح ، يقول : من مؤلفات المرزباني فـــي مجالي اللغة والنقد كتاب " الموسع فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر ،ولحن ، وعيوب في الشعر . "(٤) ولو أنه نظر في الموشح ،وقابل ذلك بالقول : الموسع فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء . . . الخ ، لأدرك أن الموشح هو ذاته الموسع(أى الموشّع) وظن صلاح الدين الصفدى أن كتاب الموشح مقصور على دراسة عيوب الشعر الجاهلي ، وذلك حين يقول : " كتاب الموشح ، صنف فيه ما أنكره العلماء على بعض الشعراء الجاهليين . "(٥) لأن الشعراء الذين عدّ المرزباني عيوبهم فيه كانوا جاهليين ،ومخضرمين ،وإسلاميين وعباسيين .

١ــ الفهرست ،ص ١٤٧

٢ــ انظر معجم الادباء ،جـ ١٨ ،ص ٢٧٢ ،وقال بروكلمان: سماه ياقوت بالموشع ،انظـر تاريخ الادب العربي ،جـ٢ ،ص ٢٤٣ ،للمؤلف ، والتوشيح والتوشيح متقاربان فـي الدلالة ولهذا لا يستبعد أن تكون التسمية التي وردت لدى ياقوت اصيلة أيضـا . وللصفدى كتاب سماه توشيع التوشيح يقول في مقدمته : " أما بعد حمد الله . . . . . على نعم وشيع برودها ، ووشح بالجواهر قدورها " . توشيع التوشيح : تحقيق البيـر حبيب مطلق ، ط ١ ،دار الثقافة ،بيروت ،سنة ١٩٦٦ ،ص ١٩ .

٣ــ انظر : معجم الشعراء ،مقدمة التحقيق ،ص " ر "

٤ــ مناهج التأليف عند العلماء العرب ،ص ٢٧٤

٥ ــ الوافي بالوفيات ،جـ٤ ،ص ٢٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب — تعليل تسميته بالموشح

لم يقف أي من الدارسين ، قدامى ومحدثين ، في حدود ما أعلم ، على محاولة تعليل تسمية المرزباني كتابه هذا بالموشح ، أو الموشع . ولعل في تسمية عدد من أعلام الرواة والأخبار مصنفاتهم بالمحبر والمنمق والموشح ، ما يدل على الرقي الحضاري الذي صارت اليه الحياة العربية الاسلامية في العصر العباسي ، فأخذ فريق من المصنفين يسمون مصنفاتهم بأسماء أنماط من الأزياء المزركشة الموشاة ، في مقابل ما كانت عليه الصورة في الحياة العربية الجاهلية والاسلامية الأولى عندما كانوا يسمون أبناءهم بأسماء السباع ، وعندما اختار الخليل بن أحمد مصطلحات علم العروض من هيكل بيت الشعر — بفتح الشين — وأجزاءه من أجزائه ، فاختار المرزباني لكتابه هذا اسم الموشح ، كما اختار غيره هذا الاسم وما يشاكله من صنوف القماش الموشعة والموشحة عناوين لمصنفاتهم + أو لعل المرزباني أراد أن يقول للشعراء على زمانه ومن تبعهم ، إن ما في كتابي هذا من صنوف الملاحظات النقدية يجب أن تأخذوا بها حتى يكون شعركم رائقا معجبا منمقا وموشحا بوشاح الحسن .

جـ — دوافع تأليف المرزباني للموشح .

يرى منير سلطان ، أن الذي حدا بالمرزباني إلى تأليف كتابه "الموشح" هو رغبته في التقرب به الى عضد الدولة البويهي ، وليصبح واحدا من ندمائه ، ولكن معاقرة المرزباني للخمرة جعلت عضد الدولة ينفر من أن يكون في مجلسه رجل معتزلي خمير ، وافترض افتراضا آخر فقال : قد يكون خوف المرزباني من جرائر الساسة والسياسيين هو

+ — في فهرست ابن النديم ذكر لأربعة من أعلام الرواة صنف كل منهم كتابا باسم الموشح ، وهم : محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) ، وأبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥) ، ومحمد بن أحمد بن اسحاق الأعرابي تلميذ ثعلب والمبرد ، وعلي بن عبيدة الريحاني صاحب الخليفة المأمون . انظر : الفهرست ، ص ٨٣ ، ٩٤ ، ١١٩ ، ١٣٣ ، وهذه المصنفات مفقودة ، غير أن لابن حبيب كتابين في التاريخ والأنساب وهما المحبر والمنمق ، ولا صلة في الواقع بين هاتين التسميتين وطبيعة مادتهما ، ولكنه فيما يبدو اتجاه عام قد يرجح ما ذهبت اليه ، وانظر : محمد بن حبيب : المحبر ، تحقيق ليختن شتيتر ، طبع دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٩٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذى أبعده عن فكرة ملازمة عضد الدولة .

ويقول أيضا في كلام مضطرب متناقض : " والسؤال الذى يلح علينا الآن : لمن صنف المرزباني هذا الكتاب ؟ لم يفصح هو ، ولم يشر إلى ذلك أحد من تلاميذه ، ولا أحد من المؤرخين له . وأظن ظنا أن هذا الكتاب صنف لعضد الدولة البويهي الذى كان يقف بباب المرزباني ، وينتظر حتى يخرج إليه ، ويسأله عن حاله ، أظن ظنا ، فليس بعيدا أن يتطلع المرزباني لمجالسة عضد الدولة علما من أعلام الأدب والنقد كالمرزباني ، ولكن السياسة هي التي حالت — إذا رقي هذا الظن الى درجة الحقيقة — فالمعروف عن المرزباني معاقرته للخمر مما كان عاملا من عوامل نفور العلماء منه . وأعتقد — بناء على ظني — أنه عضد الدولة ، وهو الأمير الذى حرص (في الأصل : حرس) على تزيين مجلسه بالعلماء خشي أن يفقد السلطة هيبتها أمام الناس ، وأمام اقرانه أمراء الديلات الأخرى ، فخلى بينه وبين رغبته في ضم المرزباني إلى مجلسه ، بالرغم من أن الدلائل تدل على أن المرزباني قد اختط لنفسه طريق استاذه الصولي العالم الأديب ، نديم الخلفاء ، فتزود بكافة العلوم والأدب ليكون جديرا بمنصب النديم ، ولكنه كان معتزليا خميرا ، فبعد الأمل ، ولم يتحقق الرجاء . قد يكون هذا ، وقد يكون الصولي نفسه ومالاقاه في حياة المنادمة من رخاء تبعه عسر ، وصفاء لحقه كدر ، واستقرار خلفه تقلب ، قد تكون هذه الحياة المضطربة التي عاناها الصولي من جوار الخلفاء ومجالستهم هي المانع للمرزباني أن يكون نديما لعضد الدولة أو لغيره ممن يتمنى أن يجالسه المرزباني ، فصار نديما لنفسه ، مجالسا لكتبه ، مسامرا لتلاميذه ، واكتفى بإهداء الموشح لمن طلب منه تأليفه . "(١)

وتصورات الأستاذ سلطان هذه مبنية على جملة مغالطات أولها أنه افترض أن عضد الدولة لم يكن يشرب الخمر ، مع أن الثابت قطعا أن عضد الدولة نفسه كان من معاقرى الخمرة ، يشربها في مجالس أنسه ولهوه ، جاء في اليتيمة قول الثعالبي : " حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء الظرفاء . . ولا يحضر شيء من الطعام والشراب ، وآلاتهما وغيرها الا وأنشد فيه لنفسه ، أو لغيره شعرا حسنا . "(٢)

---

١ — المرزباني والموشح ، ص ٤٣

٢ — يتيمة الدهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣ جـ٢ ، ص ٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأورد الثعالبي قطعة من شعره في نعت الخمر ، إلى جانب ما فيها من كفـــر استحق عليه لعنة ابن كثير ، ومنها قوله :

ليس شُرْبُ الكاسِ إلا في المَطَـرْ ... وغِناءٌ من جَوارٍ في السَّحَـرْ
غانياتٍ سالباتٍ للنُّهـــــى ... ناعماتٍ في تضاعيفِ الوَتَـرْ
مبرزاتِ الكأسِ من مَطْلَعِهـــا ... ساقياتِ الراحِ من فَاقِ البشر
عضدِ الدولةَ وابنِ رُكْنِهـــــا ... مَلِكَ الأملاكِ غَلَّابَ القـدر (١)

وافترض ثانيا أن عضد الدولة لم يكن ليرضى أن يكون من بين ندمائه معتزلي ، مع أن عضد الدولة كان معتزليا قطعا . (٢)

وافترض ثالثا أن معاقرة المرزباني للخمر نفرت العلماء منه ، والثابت قطعا أن منزل المرزباني كان محجة طلاب العلم ومريديه ، وأن أكثر أهل الأدب الذين روى عنهـــم سمع منهم في داره ، كما قال تلميذه الصيمري ، وأنه كان قد هيأ لطلاب العلم خمسين مابين لحاف ودواج للمبيت عنده . (٣) ثم افترض أخيرا أن المرزباني كان راغبا في صحبة الأمراء ، الا أنه خشي أن تجر عليه صلته بهم المصائب ، فآثر السلامة ابتداء حتى لا تكون حاله كحال أستاذه الصولي الذي شقي بعد نعيم ، والواقع أن الصولي لم يشق بسبب صلته بالأمراء ، وإنما جر عليه الخطر ماقيل عن روايته لخبر في حق علي بن أبي طالب " فطلبته الخاصة والعامة لتقتله فلم تقدر عليه ، وكان قد خرج من بغداد لإضاقـــة لحقته . " (٤)

وهذه الافتراضات جميعا لا أساس لها من الوقائع التاريخية ، وتتجاهل أمرا مهما هو أن المرزباني كان قد ألف كتاب " الموشح " قبيل عام ستة وستين وثلاثمئة للهجرة ،

١ــ اليتيمة ، جـ٢ ، ص ٢١٧ ، وانظر البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص ٢٩٩
٢ــ أنظر: أحسن التقاسيم ، ص ٤٣٩ ، وعن تبني بني بويه لمذهب الاعتزال انظـر: مختصر الصواعق المرسلة ، جـ٢ ، ص ٨٣ .
٣ــ تاريخ بغداد ، جـ٣ ، ص ١٣٦ .
٤ــ وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٣٦٠ ، الصولي : أخبار البحتري ، تحقيق صالح الأشتر ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٤ ، مقدمة التحقيق ، ص ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أوضحنا ذلك من قبل ، في حين أن الذى تجمع عليه كتب الأدب والتاريخ التي تحدثت عن عضد الدولة البويهي هو أن دخوله مدينة بغداد كان بعد انتصاره على ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، وذلك في حدود سنة سبع وستين وثلاثمائة للهجرة ، وأن اسمه لمع وتلقب بشاهنشاه بعد هذا التاريخ (١) . وهذه المعلومات تدفعنا إلى القول إن المرزباني لم يؤلف كتابه هذا ليتقدم به إلى عضد الدولة وأن الدافع الحقيقي لهذا التأليف كان دافعا تعليميا أفصح عنه المؤلف في خطبة الكتاب بصورة جلية لا تدع مجالا للظن والتخمين ، فقد لاحظ المرزباني تفشي جملة من العيوب في الشعر فآثر أن يضع بين أيدى شعراء زمانه ، وشعراء العصور التالية مادة كتابه ليجنبهم جميعا آفات وعيوبا ما كان يتأتى لهم أن يقفوا عليها بأنفسهم ، لأنها متناثرة في تضاعيف المؤلفات اللغوية والنحوية والعروضية والنقدية ، وفي ذلك يقول : " سألت ، حرس الله النعمة عليك ، وأسبغ الموهبة لديك ، أن أذكر لك طرفا مما أنكر على الشعراء في أشعارهم من العيوب التي سبيل أهل عصرنا هذا ، ومن بعدهم أن يجتنبوها ، ويعدلوا عنها ، فأجبتك الى ما سألت ، وعملت فيه بما أحببت ، وأودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده ، وأمكن جمعه ، وقرب متناوله من ذكر عيوب الشعراء التي نبه عليها أهل العلم ، وأوضحوا الغلط فيها ، من اللحن والسناد ، والإيطاء ، والإقواء .. والإحالة والتناقض ، واختلاف اللفظ ، وهلهلة النسج ..." (٢)

وقوله : " سألت — حرس الله النعمة عليك — قد يشير إلى أنه أنزل عند رغبة من سأله التأليف في هذا الموضوع ، ولكن هذه العبارة كثيرا ما كانت " تقليدا " تفتتح به المؤلفات دون أن يكون هناك سائل حقيقي . وهب أن ثمة سائلا طلب من المرزباني تخصيص كتاب لموضوع مآخذ العلماء على الشعراء ، غير أنه من المستبعد أن يكون عضد الدولة هو هذا السائل لأنه ليس لظنون الأستاذ سلطان وافتراضاته محمل من الواقع التاريخي .

---

١ — انظر : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٩٩ ، ابن خلدون : كتاب العبر ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٧ ، جـ ٣ ، ص ٨١٧

٢ — الموشح ، ص ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د ـ هل احتذى فيه مؤلفه على مثال سابق ؟

في المكتبة العربية القديمة عدد كبير من المؤلفات التي عني أصحابها فيها برصد مظاهر الخطأ لدى العوام من مثل : " ما تلحن فيه العوام " للكسائي (ت ١٩٢هـ) ، و " البهاء فيما تلحن فيه العامة " للفراء (ت ٢٠٧هـ) ، و " ما تلحن فيه العامة " لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) .

وعنيت طائفة أخرى من العلماء برصد مظاهر الخطأ لدى الخاصة من العلماء والشعراء والكتاب ، نذكر منها " مالحن فيه الخواص " لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٨٢هـ) ، وكتاب " لحن الخاصة " لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) وكتاب " درة الغواص في أوهام الخواص " للحريري (ت ٥١٦هـ) (١) .

وهذه المؤلفات جميعا ، ما كان منها معنيا بأخطاء العوام ، أو ما كان منها معنيا بأخطاء الخواص ، ركز مؤلفوها فيها على تسجيل مظاهر الأخطاء النحوية واللغوية .

والى جانب هذه المؤلفات المتخصصة برصد مظاهر الخطأ التي يقع فيها الخواص والعوام ، نجد مقدارا كبيرا من أمثال تلك الملاحظات النحوية واللغوية تبرز جنبا الى جنب مع الملاحظات النقدية الطائرة في كثير من كتب التراجم ، وهي أكثر بروزا في المؤلفات النقدية المتخصصة .(٣)

ولكنا لم نجد كتابا واحدا يعنى صاحبه فيه برصد أخطاء كل شاعر بعينه على النحو الذي يعرضه كتاب " الموشح " ، ومن هنا تبرز قيمة الكتاب الخاصة ، التي لم يسبقه الى التأليف فيها كاتب قبله ، ولم ينسج على منواله أحد بعده ، فظل الموشح من هذه الناحية ذا خصوصية متميزة . وسيتضح لنا من خلال الحديث عن مصادر المرزباني في تأليفه كتابه

---

١ ـ لمزيد من الايضاح في دراسة التأليف في ظواهر لحن العوام والخواص ، انظر : رمضان عبد التواب ، لحن العامة والتطور اللغوي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ففيه دراسة وافية لذلك ، وانظر على وجه الخصوص من هذا الكتاب : ص١١٣ ـ ١١٩ .

٢ ـ انظر مثلا : الشعر والشعراء ، ترجمة الفرزدق ، الأغاني ، ج٩ ، ص٣٢٤ .

٣ ـ انظر مثلا : الوساطة ، ص٤ ـ ١٠ ، الباقلاني : اعجاز القرآن مطبوع بهامش الاتقان في علوم القرآن ، ط٣ ، مصر ، ١٩٥١ ، ج ٢ ، ص٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنه راجع عددا كبيرا من كتب النحو واللغة والعروض، ومن كتب أخبار الشعراء ، ومن كتب النقد المتخصصة ... الخ ، وأن تلك المراجعات كانت ضرورية له لكي يحصر ماقيل عن كل شاعر من الشعراء الذين وقف على عيوبهم في نظم القريض .

شيوخ المرزباني
دراسة في مصادر " الموشح "

تقديم :ـ

لم يكن الهدف من الترجمة لبعض شيوخ المرزباني من باب التعريف بأولئك الشيوخ ، بل لأن هذه الترجمات ستقود إلى محاولة جادة في تحديد مصادر كتاب " الموشح " فمن هؤلاء الشيوخ ، استقى المرزباني أخباره فيه ، وعلى مؤلفاتهم ، أو مؤلفات شيوخهم عوّل في تصنيفه له .

ولما كان عدد كبير من المؤلفات التي قرأها المرزباني على شيوخه ، أو سمعها منهم بقراءة غيره[1] قد ضاع لأسباب معروفة[2] لدى المطلعين على مسيرة التراث العربي ، فإننا ، من خلال النظر في ترجمات هؤلاء الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ، قادرون على تلمس تلك المؤلفات .

أما المؤلفات الباقية التي قرأها المرزباني ، أو سمعها من شيوخه ، فقد حاولنا رصد ما جاء منها في الموشح .

وإذا كان هذا الرصد جزءا من صميم عمل المحقق ، فقد ارتأيت أنه جزء من الجهد في دراسة " الموشح " وهو جهد إذا انضاف إلى جهود الأستاذ البجاوي محقق الموشح ـ وأخذ بعين الاعتبار لدى طبع الموشح طبعة جديدة ، جاء الكتاب بصورة أكمل وأشمل وأدق .

ولزيادة التثبت والتحري والتدقيق ، فقد وقفت على جملة من الأخبار جاءت في " الموشح " وهي بعينها واردة في كتاب معاصر لكتاب " الموشح " هو كتاب " الأغاني " لأبي الفرج الأصفهاني ، وسأكتفي بالاشارة الى مظان هذه الأخبار في الكتابين معا في أعقاب الحديث عن شيوخ المرزباني .[3]

---

١ ـ انظر في طرق الأخذ والتحمل: السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، جـ١ ، ص١٤٤ .

٢ ـ الكتب التي تحدثت عن أسباب ضياع كتب التراث كثيرة : أنظر مثلا: مقدمة نور القبس، ص٢ ـ ٢٣

٣ ـ ان اصدار طبعة جديدة مدققة محققة منقحه يقتضي ذلك ، إذ إن أغلب ما سيرد هنا من أخبار لم يقف عليه الأستاذ البجاوي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيوخ المرزباني

أوردت الكتب التي ترجمت للمرزباني أسماء سبعة من شيوخه هم : أبو القاسم عبيد الله بن محمد البغوي ، وأبو حامد محمد بن هارون الحضرمي ، وأحمد بن سليمان الطوسي، وأبو بكر بن دريد ، وأبو عبد الله نفطويه ، وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو بكر بن داود السجستاني .(١)

ولكن الناظر في مؤلفات المرزباني الباقية ، وعلى الأخص في كتابي "الموشح" و "أشعار النساء" يظفر بأسماء عدد كبير من أولئك الشيوخ يربو على الستين .

ولما كانت الترجمة لهذا العدد الجم من الشيوخ قد تخرج دراستنا عن أهدافها نستكفي بالترجمة لأكثرهم دورانا في "الموشح" وهم :

١ــ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت سنة ٣٣٦هـ)(٢) : أديب ظريف جماع للكتب ، نادم من الخلفاء الراضي ، والمكتفي ، والمقتدر ، وكان أحد العلماء بفنون الأدب ، حسن المعرفة بأخبار الملوك ، وآثار الأشراف ، وطبقات الشعراء ، وقد قيل عن حبه في جمع الكتب : كان له بيت عظيم مملوء بالكتب ، وهي مصفونة ، وجلودها مختلفة الألوان ، كل صنف من الكتب لون .. وكان يقول : هذه الكتب كلها سماعي .

وقيل عن الثقة فيه " كان حسن الاعتقاد ، جميل الطريق ، مقبول القول ".(٣)

ومع ذلك فقد اتهمه ابن النديم بالانتحال فقال في موضع : " وله من الكتب : كتاب الأوراق في أخبار الخلفاء والشعراء ، ولم يتمه ، .. وأخبار سديف ومختار شعره ، وهذا الكتاب عوّل في تأليفه على كتاب المرّثدي في الشعر والشعراء ، بل نقله نقلا وانتحله ...(٤)

١ــ انظر : تاريخ بغداد ، جـ٣ ، ١٣٥ ، وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص ٣٥٤ ، عيون التواريخ جـ٦ ، ص ٢٣٣ .

٢ــ انظر ترجمته في : الفهرست ، ص ١٦٧ ، معجم الأدباء ، جـ٧ ، ص ١٣٦ ، تاريخ بغداد ، جـ٣ ، ص ٤٢٧ ، معجم الشعراء ، ص ٤٣٠ ، انباه الرواة ، جـ٣ ، ص ٢٣٣ ، المنتظم ، جـ٧ ص ٣٥٩ ، نزهة الألباء ، ص ٢٠٤ ، العبر ، جـ٢ ، ص ٢٤١ ، وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص ٣٥٦ ، نور القبس ، ص ٣٤٦ .

٣ــ تاريخ بغداد ، جـ٣ ، ص ٤٢٧

٤ــ الفهرست ، ص ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في موضع ثان في ترجمته للمرتدى ، " له من الكتب الأنواء ، أشعار قريش، وعليه عوّل الصولي في الأوراق ، وله انتحل ."[١]

أما تلميذه المرزباني فإنه يقول فيه : " شيخنا رحمه الله تعالى ... واسع الرواية ، حسن الحفظ للآداب والانتتان بها ، حاذق بتصنيف الكتب ، ووضع الأشياء منها مواضعها ."[٢]

وقال أيضا : " غزير الرواية ، كثير العلم ، حسن المذاكرة حافظ للأخبار والأشعار والملح والنوادر ."[٣]

ألف الصولي عددا كبيرا من الكتب نذكر منها : أخبار أبي تمام ، وأخبار البحتري، وكتاب الأوراق ، وأخبار ابن هرمة ، وأخبار اسحاق بن ابراهيم ومختار شعره ، وأخبار السيد الحميري ، والعباس بن الأحنف ومختار شعره .

ولدى مقابلة ما جاء في " الموشح " من أخبار بما جاء في كتابي الصولي : " أخبار أبي تمام " ، وأخبار البحتري " ، تبين أن جزءا كبيرا مما في الكتابين موجود بنصه في الموشح[٤]. ومع ذلك فان جزءا آخر غير يسير مما رواه المرزباني عن الصولي لا وجود له في كتب الصولي المطبوعة . وهذا ما يدفع إلى الظن بأنه في المؤلفات المفقودة . وقد نقل المرزباني من الصولي في أكثر من مئة مرة في " الموشح " وحده ، وهذا النقل هو الذى حدا بالمستشرق " ج . هيورث دن " الى القول بأنه يكاد يكون كتابه — المرزباني — الموشح من عمل الصولي ، وإنما المرزباني راوية له ، إذ نجد على رأس كل خبر من الأخبار التي وردت فيه : " حدثنا الصولي ، أو حدثنا أبو بكر ، أو محمد بن يحيى الصولي "(٥) ، وهو نفسه الذى حدا بمنير سلطان إلى القول : " فما من صفحة الا ولأبي بكر خبر فيها أو رأى ."[٦]

---

١ — الفهرست ، ص ١٤٣
٢ — معجم الشعراء ، ص ٤٣٠
٣ — نور القبس، ص ٣٤٦
٤ — انظر مثلا : أخبار البحتري ، ص ٦٠ وقابله بما ورد في الموشح ص ٥٠٧ ، ص ٦٢ من أخبار البحتري ، وقابله بما في الموشح ، ص ٥٠٨ ، ص ١٠١ من أخبار أبي تمام ، ص ٦٢ من أخبار البحتري ، وقابله بما في الموشح ، ص ٥٠٦ — ٥٠٧ ، ص ١٠٣ من أخبار أبي تمام وقابله بما في الموشح ، ص ٥١١ ، ص ١١٢ ، من أخبار البحتري وقابله بما في الموشح ، ص ٥١٥ ، ص ١٢٣ ، من أخبار البحتري وقابله بما في الموشح ، ص ٥٢٢ ، ص ١٣٨ من أخبار البحتري ، وقابله بما في الموشح ، ص ٥١٨ ، وانظر حاشية الموشح : ص ٥٠٢ — ٥٠٧
٥ — الأوراق ، ص، ط من مقدمة التحقيق .
٦ — المرزباني والموشح ، ص ٢٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أن يكون " الموشح " من عمل الصولي ، وأن المرزباني راوية له ، فهو قول باطل ، ففي الموشح صفحات كثيرة جدا لم يرو فيها المرزباني عن الصولي، ويكفي للتدليل على بطلان قولي " هيورث " ومنير سلطان أدنى نظر في الكتاب .(١)

وفي " الموشح " أخبار رواها الصولي عن شيخه ثعلب ، من بينها أبيات لا مرئ القيس متبوعة بشرح ثعلب اللغوي لها ، والأبيات نفسها والشرح نفسه موجودان في مجالس ثعلب .(٢) كما أورد المرزباني عن الصولي رسالة يحيى بن علي المنجم في الموازنة بين العتابي والعباس بن الأحنف ، وقد أفرد لها بدراسة مستقلة في الحديث عن قضية المفاضلة بين الشعراء .

٢ــ ابو بكر محمد بن الحسين بن دريد .(ت ٣٢١هـ) (٣)

ولد في البصرة ، وطوّف في عُمان وفارس وبغداد ، ثم استقر في بغداد الى أن مات .

كان عالما باللغة ، وأشعار العرب ، أخذ علمه عن جلة علماء البصرة من أمثال أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) ، والتوزي ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وروى عنه خلق كثير منهم أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) وأبو بكر بن شاذان (ت ٣٨٣هـ) ، والمرزباني . وكان مضرب المثل في سعة علمه باللغة ، وفي قوة حفظه .

سئل عنه الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) فقال: " تكلموا فيه(٤) وهي إشارة توحي بالتشكيك في أمانته العلمية ، ومع ذلك فإنه قيل عنه ، وقد مات هو والجبائي المعتزلي في يوم واحد ، ودفنا في ساعة واحدة : " مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي ." كما كان يقال عنه : " ابن دريد أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء ."(٥)

أما تلميذه المرزباني فقد قال عنه : " شيخنا ... كان رأس أهل العلم والمقدم في الحفظ للغة والأنساب ، وأشعار العرب ، وهو غزير الشعر ، كثير الرواية ، سمح الأخلاق ."(٦)

١ــ انظر مثلا ، ص٣ ــ ٢٤ ، ص١٦٢ ــ ١٧٨ .

٢ــ انظر مجالس ثعلب ، ص١٠٢ ، والموشح ص٤٤ ، ولم يشر محقق الموشح إلى ذلك .

٣ــ انظر في ترجمته : الفهرست ص٦٧ ، تاريخ بغداد ، جـ٢ ، ص١٩٥ ، معجم الشعراء ، ص٤٢٥ ، نور القبس ص٣٤٢ ، المحمدون من الشعراء ص٢٠١ ، معجم الأدباء ، جـ٧ ، ص١٣٦ ، المنتظم جـ٧ ، ص٢٦١ ، انباه الرواة ، جـ٣ ، ص٩٢ ، نزهة الألباء ، ص١٩١ ، وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٣٢٣ ، العبر ، جـ٢ ، ص١٨٧ ، مرآة الجنان ، جـ٢ ، ص٢٨٢ ، بغية الوعاة ، ص٣٠ .

٤ــ انباه الرواة ، جـ٣ ، ص٩٢

٥ــ تاريخ بغداد ، جـ٢ ، ص١٩٥

٦ــ معجم الشعراء ، ص٤٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال القفطي : " وقيل انه كان يتسامح في الرواية عن المشايخ ، فيسند إلى كل واحد ما يخطر له ."(١)

أكثر مؤلفاته شهرة كتابه " الجمهرة " في علم اللغة . وله : " الاشتقاق " و " المقتبس" وكتاب "اللغات " و " غريب القرآن " و " أدب الكتاب " وكتاب " فعلت وأفعلت " .

وقد روى المرزباني عن ابن دريد في سبعة وخمسين موضعا في " الموشح " وفي خمسة مواطن في كتاب " أشعار النساء " . وجل هذه المرويات في ما رواه أبو حاتم السجستاني من مآخذ أخذها الأصمعي على الشعراء ، كما روى عن الرياشي ، وثعلب ، والاشناندانـي وعبد الرحمن بن أخـي الأصمعي .

أما روايات المرزباني عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي فإن جلها موجـود بنصه في كتاب "فحولة الشعراء " ، وقد تكفل محققا هذا الكتاب برصد مواطن التشابه والتطابق بين ما جاء في الموشح وما جاء في الفحولة.(٢)

٣ـ ابراهيم بن محمد بن شهاب العطار (ت سنة ٣٥٦هـ)(٣)

كنيته أبو الطيب ، كان أحد متكلمي المعتزلة ، حدث عن أبي مسلم الكجـي (ت ٢٩٢هـ) ومحمد بن يونس الكديمي (ت ٢٨٦هـ) . له من الكتب كتاب " مجالس الفقهاء ومناظراتهم " ويبدو أن صلته بالمرزباني كانت وطيدة جدا ، إذ قال المرزباني : "كان أبو الطيب .. أحد مشايخ المتكلمين والفقهاء على مذاهب العراقيين ، عاشرني في منزلي أربعين سنة أو أكثر منها ، معاشرة متصلة غير منقطعة ..."(٤)

ويشهد الموشح على هذه الصلة الوطيدة بين الرجلين ، فقد روى عنه المرزباني نيـف خمسا وأربعين مرة ، وروى عنه في " أشعار النساء " خبرا واحدا .(٥)

والسؤال الذي لا بد من إيراده هنا هو : هل إبراهيم بن شهاب الذي يروي نـبي "الموشح " عن الفضل بن الحباب الجمحي (ت ٣٠٥ هـ) هو نفسه إبراهيم بن محمـد العطار الذي يروي عن الحسن بن عليل العنزي (ت ٢٩٠هـ) ؟

١ـ انباه الرواة جـ ٣ ، ص٩٢
٢ـ انظر : فحولة الشعراء ، ص١٦ ـ ٤٨
٣ـ انظر في ترجمته : الفهرست ، ص٢٢١ ؛ تاريخ بغداد ، جـ٦ ، ص١٦٧
٤ـ تاريخ بغداد ، جـ٦ ، ص١٦٧
٥ ـ انظر : أشعار النساء ، ص ٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغلب الظن أنهما اسمان لشخص واحد ، ولنا على ذلك البينات التالية.

١— ورد اسم هذا الشيخ في الفهرست وفي تاريخ بغداد على هذا النحو : " ابراهيم بن محمد بن شهاب ،أبو الطيب العطار " (١)

٢— ورد اسم إبراهيم بن محمد العطار في موضعين من الموشح ،يروى فيهما عن الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام الجمحي . (٢)

٣— ماأوضحناه في غير هذا الموضع من دراستنا من أن المرزباني لم يكن ينتهج شكلا واحدا في ذكر أسماء شيوخه الذين روى عنهم .

وعلى هذا كله يكون الترجيح بأن إبراهيم بن شهاب هو نفسه إبراهيم بن محمد العطار معقولا . (٣)

وبعد ،لما كان ابراهيم بن شهاب ،أو ابراهيم بن محمد بن شهاب ،أبو الطيب العطار هو أحد رواة كتاب طبقات فحول الشعراء عن أبي خليفة الفضل بن الحباب،فان المرزباني هو هو أحد رواة كتاب الطبقات عن إبراهيم بن شهاب ،وفي ذلك يقول الأستاذ محمود محمد شاكر : " وأسانيد المرزباني إلى ابن سلام ،أكثرها عن إبراهيم ابن شهاب ،وبمراجعتي ما جاء في الموشح ،تبين لي أن كل ما فيه عن طريق إبراهيم ابن شهاب ،موجود بنصه في كتاب الطبقات . " (٤)

ولهذا كان " الموشح " من مصادر التحقيق المهمة التي اعتمد عليها الأستاذ محمود محمد شاكر في تحقيق " طبقات فحول الشعراء " (٥) فقد تطابق ما في الموشح عن محمد بن سلام الجمحي مع ما في " طبقات فحول الشعراء " في أكثر من ثلاثين موضعا .

ومع ذلك ففي الموشح أخبار بسند متصل الى ابن سلام ولكنها لم ترد في " طبقات (٦)

١— أنظر ،الفهرست ،ص ٢٢١ ؛تاريخ بغداد ،جـ٦ ،ص ١٦٧ .

٢— انظر ،الموشح ، ص ٢٠٥ ، ١٦٠

٣— انظر ،المصدر نفسه ،ص ٦٣٩ ،واذا صح ذلك كان محقق الكتاب واهما حين ظنهما شخصين .

٤— طبقات ابن سلام ،ص ٤٥ من مقدمة التحقيق .

٥— انظر قوله في ذلك ،ص ٤٥ — ٤٦ من مقدمة التحقيق ،وللتدليل على هذا التطابق بين ما في طبقات ابن سلام وما في الموشح انظر مثلا الأخبار ذوات الأرقام : ٤٤ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١٧٠ ، ٢٤٥ ، ٨٣١ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ .. وقابلها بما ورد في الموشح في الصفحات : ١٠٥ ، ٤٥ ، ١٧ ، ١٠٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ،على الترتيب

٦— انظر مثلا : الموشح ،ص ٥٥٨ ، ٣٤٢ ، ٣٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحول الشعراء " وهذا قد يعني أحد أمرين : فإما أن يكون مصدرها كتبا أخرى من كتب ابن سلام الضائعة ، وإما أن يكون مصدرها " الطبقات " نفسه ،في نسخة غير النسخ التي اعتمدها الأستاذ محمود محمد شاكر في التحقيق .

٤ــ أبو عبد الله محمد بن أحمد الكاتب البصري[١] (ت ٣٢٧هـ)

لقب بالمفجع بيت قاله ، وهو شاعر مكثر ، عالم أديب . وقيل إن اسمه محمد ابن محمد بن عبد الله .

كان المفجع صديقا لابن دريد ، وكان يقوم مقامه بالبصرة في التأليف والإملاء. امتنع المفجع حينا من الدهر من الجلوس للتدريس في الجامع بالبصرة ،لسبب لحقه من بعض من حضره ،فخوطب في ذلك ، فقال : لو استطعت أن أنسيهم أسماءهم لفعلت .

وكان المفجع شيعيا ، وقد اشتهرت له قصيدة عرفت بذات الأشباه" وفيها مدح على ابن أبي طالب ، ومطلعها :

أيُّها اللائمي لحبي عليًا قُمْ ذَميمًا إلى الجحيم خزيًا .

ألف المفجع مؤلفات عدة منها : " الترجمان في معاني الشعر " الذى قال عنه القفطي إنه " أجمل كتاب "[٢] وكتاب " المنقذ في الإيمان " الذى قال عنه ياقوت إنه يشبه كتاب " الملامة " لابن دريد ، الا أنه أكبر منه ،وأجود وأتقن ،[٣] وله كذلك " أشعار الجوارى " و " عرائس المجالس " وكتاب " غريب شعر زيد الخيل الطائي" .

وقد اختلف في سنة وفاته فقال المرزباني انه توفي في سنة قبل الثلاثين وثلاثمئة ، وأورد ياقوت أنه توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمئة ،في حين قال السيوطي إنه توفي سنة عشرين وثلاثمئة .

١ــ انظر في ترجمته ، معجم الشعراء ،ص ٤٢٩ ؛ يتيمة الدهر ،جـ٢ ،ص ٣٦٢ ؛انباه الرواة ،جـ٣ ،ص ٣١٢ ؛القفطي ، المحمدون من الشعراء ، تحقيق حسن معمرى ، منشورات دار اليمامة ،الرياض ، ١٩٧٠ ،ص ٣٠ ؛معجم الأدباء ،جـ١٧،ص ١٦٠ ؛ بغية الوعاة ،ص ١٣ .

٢ــ انباه الرواة ،جـ٣ ،ص ٣١٢

٣ــ انظر : معجم الادباء ،جـ ١٧ ،ص ١٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روى المرزباني عن المفجع البصري في ثمانية وثلاثين موضعا في "الموشح" وفي عشرة مواطن في "أشعار النساء". وشيوخ المفجع في جل تلك الروايات هم: محمد بن موسى البربري (ت ٢٩٤هـ) الذي يروى كثيرا عن ابن سلام (ت ٢٣٢هـ) ومحمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) وأحمد بن يحيى ثعلب(ت٢٩١هـ)الذي يروى عن الزبير ابن بكار (ت٢٥٦هـ) حينا،وعن ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ) حينا آخر، وجل الشيوخ الذين تنتهي سلسلة أسانيد المرزباني بهم فيما رواه عن المفجع البصري هم: ابن سلام الجمحي، والزبير بن بكار، وابن الأعرابي، ومحمد بن يزيد المبرد.(١)

ويبدو من أسانيد المرزباني إلى الزبير بن بكار عن طريق محمد بن أحمد الكاتب عن ثعلب أن مصدرها كتاب الزبير "أخبار كثير" وهذا الكتاب مفقود، وقد أشار المرزباني إلى هذا الكتاب في "الموشح" عندما قال: "تحامل الزبير بن بكار على كثير — فيما جمعه من أخباره وبين عليه من سرقاته — ظاهر..."(٢)

٥— أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب. (ت سنة ٣٣٦هـ)(٣).

سمع أحمد بن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ) وأبا قلابة الرقاشي (ت ٢٧٦هـ). وروى عنه أبو الحسن الدارقطني، وأبو عمر بن حيويه (ت ٣٦٦هـ) والمرزباني.وقيل عنه: إنه ثقة إلا أنه يروى المناكير.

له من الكتب كتاب "خلية الأدباء" وهو كتاب يشتمل — كما قال ياقوت — على أخبار ومحاسن وأشعار، وكتاب "سقط الجوهر" وكتاب "الشباب".

وقد روى المرزباني عن أبي عبد الله الحكيمي ثلاثين خبرا في "الموشح" وعشرة أخبار في "أشعار النساء".

وصدر المرزباني رواياته عنه في تسعة وعشرين موضعا بمثل قوله: حدثني أبو عبيد الله الحكيمي، وورد اسم الحكيمي كاملا هكذا: محمد بن أحمد الحكيمي،في موضع

١— انظر في ذلك: الموشح، الصفحات ٦٣، ١٩٩، ٢٧٧، والصفحات ١٧٣، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، والصفحتين ٢٠٦، ٢٥٠.

٢— الموشح، ص ٢٤٥. وقد ورد اسم كتاب الزبير في كثير في ترجمة كثير: انظر: جمهرة نسب قريش، ص ٧١.

٣— انظر في ترجمته: تاريخ بغداد، جـ١، ص ٢٦٧؛ معجم الادباء، جـ ١٧، ص ١٣٥؛ المنتظم، جـ٧، ص ٣٥٩؛ العبر، جـ٢، ٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحد . ولهذا وَهَمَ محقق " الموشح " فظن هنا أيضا أن أبا عبد الله الحكيمي هو شيخ آخر غير محمد بن أحمد الحكيمي .(١)

ومن تتبع روايات المرزباني عن الحكيمي تبين أن شيوخ الحكيمي هم : محمد بن موسى البربرى ، وأحمد بن يحيى ثعلب ، ويموت بن المزرع (ت ٣٠٣هـ) وأحمد بن أبي خيثمة ، وميمون بن هارون الكاتب . وأن هؤلاء الشيوخ كانوا تلاميذ ابن سلام الجمحي ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى الشيباني ، وعمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ) ، والمبرد ، والأصمعي (ت ٢١٥هـ) ، وهشام بن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، واسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت ٢٣٥هـ) والزبير بن بكار ، ومصعب بن عبد الله الزبيرى (ت ٢٣٦هـ)

ويبدو أن كتابه الذى كان عمدة المرزباني فيما حدثه ، هو كتاب " حلية الأدباء " الذى ذكره ياقوت ، ولعله ، حلية الأدباء ، بالحاء المهملة فذلك أقرب لنعت ياقوت له بأن فيه أخبارا ومحاسن وأشعارا .(٢)

٦ — محمد بن إبراهيم الكاتب .(٣)

روى المرزباني عنه ستة وعشرين خبرا في " الموشح " وثلاثة أخبار في " أشعار النساء " .

وتبين من هذه الروايات جميعا أن محمد بن إبراهيم الكاتب كان قد تتلمذ على عدد من الشيوخ أشهرهم ، وأكثرهم ذكرا في " الموشح " هم : أحمد بن أبي خيثمة ، وعبد الله ابن أبي سعيد الوراق ، وأحمد بن يحيى ثعلب ، ومحمد بن يزيد المبرد ، كما تبين أن بعض هؤلاء الشيوخ كان يروى عن ابن سلام الجمحي ، وعن الزبير ابن بكار .

ومحمد بن إبراهيم الكاتب هو محمد بن ابراهيم بن يوسف بن أحمد بن يوسف الكاتب . ولد سنة إحدى وثمانين ومئتين ، وكان شافعيا في الظاهر ، شيعيا إماميا في الباطن — كما يقول ابن النديم — وكان لذلك فقيها على المذهبين ، وكتب مصنفات عدة في الفقهين الشافعي والشيعي .

---

١ — انظر : الموشح ، ص ٦٦٠ ، ٦٧٤

٢ — انظر : معجم الادباء ، جـ١٧ ، ص ١٣٥ .

٣ — انظر ترجمته في : الفهرست ، ص ٢٠٢ (طبعة الاستقامة) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي المعروف بنفطويه (ت ٣٢٣هـ)[1]. كان يسكن في بغداد، وكان عالما باللغة والحديث. تتلمذ على ثعلب والمبرد رأسي الكوفيين والبصريين في زمانه، ولذا قال عنه القفطي "خلط نحو الكوفيين بنحو البصريين."[2]

وعرف عنه حسن المجالسة والصدق في الرواية، وكان فقيها ظاهريا، كما كان مسندا في الحديث، حافظا للسير والأخبار، وأيام الناس، والتواريخ والوفيات. وقد جلس لإقراء القرآن أكثر من خمسين سنة.

وأخذ عنه أبو عمر بن حمدوية، وأحمد بن إبراهيم بن شاذان، والمرزباني، وقد شهد له جل العلماء بالصدق وحسن الأخلاق، فالمرزباني يقول عنه: "وكان من طهارة الأخلاق وحسن المجالسة، والصدق فيما يرويه على حال ما شاهدت عليها أحدا ممن لقيناه..."[3] وكان مسندا في الحديث ثقة صدوقا... وكان حسن المجالسة للخلفاء والوزراء..."

ألف نفطويه مصنفات عدة منها: "التاريخ" "غريب القرآن" "المقنع في النحو" "الرد على من قال بخلق القرآن".

ونجد اسم هذا العالم يتكرر في "الموشح" في ثلاثة وعشرين موضعًا، روى في ثلاثة منها عن ثعلب، وهي في نقد شعر جرير وجميل وكثير، وخبرين آخرين عن عبيد الله بن إسحاق بن سلام في ذم أبيات لكثير بن عبد الرحمن، وعمر بن أبي ربيعة.[4] أما الباقي فكان يروى فيها عن محمد بن يزيد المبرد، وهي أخبار في نقد أبيات من أشعار طرفة وجرير، وأبي العتاهية، والعباس بن الأحنف، والفرزدق وذي الرمة، وعمر بن أبي ربيعة

١- انظر في ترجمته: تاريخ بغداد، جـ٦، ١٥٩؛ معجم الأدباء، جـ١، ص٣٠٧؛ انباه الرواة، جـ١، ص١٧٦؛ المنتظم، جـ٧، ص ٢٧٧؛ مرآة الجنان، جـ٢، ص ٢٨٧؛ بغية الوعاة، ص١٨٨؛ العبر، جـ٢، ص١٩٨؛ نزهة الألباء، ص١٩٤؛ وفيات الاعيان جـ١، ص٤٧؛ نور القبس، ص ٣٤٤.

٢- انباه الرواة، جـ١، ص ١٧٦

٣- المصدر نفسه، جـ١، ص ١٧٦

٤- انظر: الموشح، ص٢٠٨، ٢١٢، ٢٣٠، وانظر كذلك، ص٢٤١، ٢٢٢، على التوالي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأحوص ، وأبي نواس ، وأبي تمام .[١]

واللافت للنظر أنه على الرغم من كثرة روايات نفطويه عن المبرد في "الموشح" فإننا لم نظفر بخبر واحد منها في كتب المبرد الباقية ، وهي "المقتضب" و"الفاضل" و"الكامل" و"المذكر والمؤنث" ما عدا الخبر الذي ورد في الموشح بهذا الإسناد ، وهو "كتب إلي أحمد بن عبد العزيز ، أخبرنا عمر بن شبة ، وأخبرني إبراهيم بن محمد ابن عرفة النحوي ، ومحمد بن أبي الازهر ، قالا : حدثنا محمد بن يزيد النحوي ، وحدثني أبو عبد الله الحكيمي عن أحمد بن يحيى النحوي عن بعض رجاله ، وحدثني علي بن عبد الرحمن ، قال : أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه ، قال : حدثني إسحاق ابن إبراهيم الموصلي ، قال : حدثني عثمان بن حفص الثقفي ، وأخبرني عمر بن داود العثماني"[٢]

فقد ورد متن هذه الأسانيد في "الكامل" بصورة مشابهة لا مطابقة وسبب ذلك — فيما هو بين — توحيد المرزباني لمتن هذه الأسانيد المتعددة .[٣]

٨ — أبو الحسن علي بن هارون المنجم[٤] (ت ٣٥٢ هـ)

كان والده هارون ، المتوفى سنة ثمان وثمانين ومئتين للهجرة ، قد ألف كتاب "البارع" وهو اختيار شعر الشعراء المحدثين ، ولكنه لم يستقص ذكرهم — على ما يقول ابن النديم. وله كتاب "أخبار الشعراء" ولم يتمه ، والذي خرج منه بشار وأبو العتاهية وأبو نواس ، وله أيضا "كتاب النساء" وما جاء فيهن من الخبر ، ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر.

أما أبو الحسن ابنه فقد كان راوية للشعر ، كما كان شاعرا أديبا طريفا متكلما خيرا ، نادم جماعة من الخلفاء العباسيين ، وله من الكتب "الرد على الخليل في العروض" و"كتاب اللفظ المحيط" وفيه يعارض أحد مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني .

---

١ — انظر الموشح : ص ٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٥٦ ، ٢٧٦ ، ٢٩٦ ، ٣٩٨ ، ٢٧٨ ، ٣١١ ، ٤٠٥ ، ٤١٤ ، ٤٤٦ ، ٤٦٨ ، ٤٥٧ .

٢ — الموشح ، ص ٢٥٦

٣ — انظر : المبرد ، الكامل ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، جـ٢ ، ص ١٥٥ — ١٥٧ ، وقابل ذلك بما ورد في الموشح ، ص ٢٥٦ ، — ٢٦٠ .

٤ سانظر في ترجمته : معجم الشعراء ، ص ١٥٦ ؛ الانساب ، جـ ١٢ ، ص ١٦١ ؛ الفهرست ، ص ١٦٠ ؛ وفيات الاعيان ، جـ٣ ، ، ص ٣٧٥ ؛ يتيمة الدهر ، جـ٣ ، ١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روى المرزباني عن علي بن هارون المنجم في عشرين موضعا في كتاب "الموشح" وروايات علي بن هارون المنجم توزعت على النحو التالي : خمسة أخبار رواها عن عمه يحيى بن علي المنجم، المتوفى سنة ثلاثمئة للهجرة، صاحب كتاب "الباهر" في أخبار مخضرمي الدولتين وأشعارهما.(١)

وثلاثة أخبار عن أبيه هارون، وخبران عن جده أبي الحسن علي بن يحيى المتوفى سنة خمس وسبعين ومئتين، صاحب كتاب "الشعر والشعراء" من الإسلاميين القدماء الذي قال عنه ابن النديم : روى فيه عن محمد بن سلام الجمحي "،(٢) وله كتاب آخر في أخبار إسحاق بن ابراهيم الموصلي. وروى خبرين عن علي بن مهدي الكسروي الذي كان مؤدبا لأبيه هارون.(٣) وخبرا واحدا عن ثعلب، وآخر عن وكيع، وثالثا عن المفضل بن سلمة صاحب الفتح بن خاقان.(٤)

وأورد المرزباني أربعة أخبار عن علي بن هارون لنفسه انتقد فيها التضمين في شعر النابغة، والابتداء في قصائد إسحاق الموصلي، والبحتري، وعلي بن الجهم.(٥)

٩ــ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الكاتب (ت ٣٤٧)(٦)

كوفي، كان مولى زيد بن علي بن الحسين، ثم دخل بغداد، وحدث عن جماعة، وروى عنه الدارقطني وابن رزقويه، توفي ببغداد، وحمل إلى الكوفة.

ويبدو من خلال النظر في الواحد والعشرين خبرا التي رواها المرزباني عنه في "الموشح" أنه تتلمذ على يحيى بن علي بن يحيى المنجم، لأن هذه الأخبار جميعا جاءت بروايته عنه. وقد قلنا في غير هذا الموضع إن ليحيى بن علي بن يحيى المنجم كتابا في أخبار مخضرمي الدولتين وأشعارهما هو كتاب "الباهر". ومع ذلك فإن الشعراء

١ــ انظر : الفهرست، ص ١٦٠
٢ــ المصدر نفسه
٣ــ انظر : بغية الوعاة، ص ٣٥٦
٤ــ انظر في ترجمته : بغية الوعاة، ص ٣٩٦
٥ــ انظر : الموشح، ص ٤١، ٤٦١، ٥١٧، ٥٢٧، على التوالي
٦ــ انظر في ترجمته : المنتظم، جـ٦، ٣٨١؛ العبر، جـ٢، ص ٢٢٧؛ النجوم الزاهرة جـ٣، ص ٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين عيبوا في هذه الأخبار ليسوا مخضرمين،إذ منهم الأعشى أبو بصير،وبشر بن أبي خازم الجاهليان ، ومنهم حسان بن ثابت الشاعر المخضرم ، ومنهم جرير وابنه نوح ، والأخطل ، وكثير ، وعمر بن أبي ربيعة ،وذو الرمة ، ونصيب ، والكميت من الشعراء الإسلاميين . وليس بينهم أيّ شاعر من شعراء مخضرمي الدولتين . فما معنى ذلك ؟

يبدو لي بظن راجح أن هذه الأخبار لم يكن مصدرها كتاب يحيى بن علي بن يحيى ، وانما كان مصدرها كتاب أبيه علي بن يحيى بن المنجم الذى ذكره ابن النديم ، وهو كتاب " الشعر والشعراء " من الإسلاميين القدماء ، وخاصة(١) أن ابن النديم يذكر أن علي بن يحيى المنجم أخذ بعض علمه عن إسحاق الموصلي . إذ نجد أن ثلاثة عشر خبرا من هذه الأخبار الواحد والعشرين جاءت برواية يحيى بن علي بن المنجم عن إسحاق ابن ابراهيم الموصلي ، وروايات المرزباني لهذه الأخبار تجرى على هذا النسق: "حدثني علي بن عبد الرحمن ،قال : حدثني يحيى بن علي بن يحيى المنجم ، عن أبيه ،قال: حدثني إسحاق بن ابراهيم ..."(٢)

أما الأخبار الأخرى الباقية ففيها رواية لعلي بن يحيى عن أبي هفان(٣) أحد تلاميذ الأصمعي ، وعن محمد بن عمر الجرجاني تلميذ هشام ابن الكلبي(٤) (ت ٢٠٦ هـ) وعن ابن سلام الجمحي شيخ علي بن يحيى المنجم نفسه .(٥)

١٠ــ يوسف بن يحيى بن علي المنجم

لم أعثر على ترجمة كافية ليوسف بن يحيى المنجم ،وغاية ما وقفت عليه من ترجمته هو قول الخطيب البغدادى عنه : " يوسف بن يحيى بن علي المنجم حدث عن أبيه ، وروى عنه أبو عبيد الله المرزباني ."(٦)

١ــ انظر : الفهرست ،ص ١٦٠

٢ــ انظر : الموشح ،ص ٨٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ .

٣ــ انظر : الموشح ،ص ٦٦ ، ٥٥٠ ، ٥٥١

٤ــ انظر : المصدر نفسه ،ص ٨٥

٥ــ انظر : المصدر نفسه ،ص ١١٠

٦ــ تاريخ بغداد ،ج ١٤ ، ٣٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الموشح ثمانية عشر خبرا رواها المرزباني عن يوسف بن يحيى بن علي المنجم منها خبر واحد رواه يوسف بن يحيى عن محمد بن القاسم بن مهرويه بسند متصل إلى الأصمعي [١] والأخبار الباقية برواية المرزباني عن يوسف بن يحيى عن أبيه ، ثم تفترق أسانيدها بعد ذلك إلى شعب هكذا :

- "حدثني يوسف بن يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه ، عن جده عن إسحاق بن إبراهيم" [٢]

- "أخبرني أبو القاسم يوسف بن يحيى بن علي المنجم عن أبيه ، قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه ..." [٣]

- "وأخبرني أبو القاسم يوسف بن يحيى بن علي المنجم ، عن أبيه ، قال : أخبرني ابن مهرويه ، قال : حدثني العباس بن ميمون بن طابع ، قال : سمعت الأصمعي .." [٤]

وتتوقف عند يحيى بن علي بن يحيى المنجم ، الأب في الأخبار الباقية [٥]

ورواية يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه أو عن جده ترجح أن هذه الأخبار مصدرها كتابا "الباهر" و "الشعر والشعراء" اللذان ألف الأول منهما يحيى بن علي ، وألف الثاني علي بن يحيى ، على ما أوضحنا من قبل . فالشعراء الذين ذكرت تلك الأخبار عنهم يكادون ينحصرون في إطار الدولة الأموية ، إلى جانب بعض شعراء مخضرمي الدولتين ، ومن أولئك وهؤلاء نذكر مروان بن أبي حفصة ، والفرزدق والراعي ، وابن هرمة ، وابن ميادة والحكم الخضري ، وبشار بن برد [٦]

١ــ انظر : الموشح ص ٧٤

٢ــ انظر : نفسه ، ص٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٧١

٣ــ المصدر نفسه ، ص٣٠٦

٤ــ المصدر نفسه ، ص٣٩١

٥ــ انظر : المصدر نفسه ، ص ٣٥٠ ، ٥٥٥ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٥٠ .

٦ــ انظر : المصدر نفسه ، ص٧٤ ، ٧٥ ، ١٧٥ ، ٢٥٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١ - محمد بن أبي الأزهر (ت سنة ٣٢٥هـ)[١]

هو أبو بكر محمد بن أحمد بن مزيد النحوي . كان أديبا شاعرا ، كما كان يستملي لأبي العباس المبرد .

حدث ابن أبي الأزهر عن جماعة منهم : الزبير بن بكار ، والمبرد ، وأبي كريب محمد ابن العلاء . وروى عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه كتاب " الأغاني " .

وروى عن ابن أبي الأزهر جماعة منهم أبو بكر بن شاذان ، وأبو الحسن الدارقطني وغيرهما.

ولم يكن ابن أبي الأزهر ثقة إذ قال الخطيب البغدادي " كان غير ثقة ، يضع الأحاديث على الثقات "[٢] وقال آخرون: " كذب أصحاب الحديث ابن أبي الأزهر "[٣] وبين الصولي السبب في تكذيبه ، فقال : " كذبه أصحاب الحديث لادعائه السماع من أبي كريب ، وسفيان بن وكيع ، وإسحاق بن الضيف ونظرائهم "[٤]

عُمّر بن أبي الأزهر طويلا ، ومات بعد أن تجاوز الثمانين ، إذ زعم أنه من مواليد سنة ٢٣٣ هـ .

وقد ورد ذكر محمد بن أبي الأزهر سبع عشرة مرة في " الموشح " ، وست مرات في " أشعار النساء " .

وهو في المواضع السبعة عشر يروى فيها عن المبرد .

ولدى مقابلة ما جاء في الموشح برواية محمد بن أبي الأزهر عن المبرد بما في كتاب

---

١ - انظر في ترجمته : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص٢٨٨ ؛ معجم الشعراء ، بتصحيح "كرنكو" ص٤٦٤ ؛ انباه الرواة ، جـ٣ ، ص٧٠ ؛ سير أعلام النبلاء ، جـ ١٥ ، ص٤١ ، أخبار الراضي والمتقي ، ص٨٨ ؛ البغية ، ص٢٠٤ .

٢ - تاريخ بغداد ، جـ٣ ، ص٢٨٨

٣ - المصدر نفسه .

٤ - أخبار الراضي والمتقي ، ص ٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الكامل) تبين لي التطابق في أحد عشر خبرا كالآتي [1]

	موضع الخبر في الموشح	موضع الخبر في الكامل
١ـ	١٦١ ـ ١٦٣	١ : ٢٧ ـ ٢٩
٢ـ	٩٤ ـ ٩٥	١ : ١٢٩ ـ ١٣٠
٣ـ	٣٨٣	١ : ١٨١
٤ـ	٢٩٩ ـ ٣٠٠	١ : ١٨٣
٥ـ	٣٨٠	١ : ٢٩٤
٦ـ	٢٨١ ـ ٢٨٢	٢ : ٥٣
٧ـ	١٦٧	٢ : ٥٨ [2]
٨ـ	٢١	٢ : ١٠٧ ـ ١٠٨
٩ـ	٣٠٦	٢ : ١٦٠
١٠ـ	٢٣٩	٣ : ١١٥ ـ ١١٦
١١ـ	٣٠٨	٣ : ٣٠٩

١٢ ـ ابو الحسن بن سليمان الأخفش الأصغر (ت سنة ٣١٥) [3]

قرأ على ثعلب ، والمبرد ، وأبي العينا ، وقد قال عنه المرزباني : لم يكن متسعا في الرواية للأخبار ، والعلم بالنحو ، وما علمته صنف شيئا ، ولا قال شعرا . وكان إذا سئل عن مسائل النحو ضجر ، وانتهر من يواصل مسألته [4]

ومع ذلك فقد قال ياقوت ، وابن النديم إنه ألف عدة مصنفات منها : شرح سيبويه . والتثنية والجمع ، والمهذب .

---

١ ـ لم يشر محقق الموشح إلى شيء من هذا التطابق .
٢ ـ ورد قول المبرد في هذه القضية أيضا في كتاب المقتضب ، انظره جـ ٢ ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩
٣ ـ انظر في ترجمته : نور القبس ، ص ٣٤١ ؛ معجم الادباء ، جـ ٤ ، ص ١٥٢ ؛ الفهرست ص ٩١ ؛ بغية الوعاة ، ص ٣٣٨ ؛ العبر ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ؛ انباه الرواة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ ؛ نزهة الألباء ، ص ١٨٥ .
٤ ـ انظر : معجم الادباء ، جـ ٤ ، ص ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قدم الأخفش الأصغر مصر، ثم خرج منها إلى حلب ، وكان ضيق الحال .

مات فجاءة ببغداد سنة خمس عشرة ، وقيل سنة ست عشرة ، وثلاثمئة .

روى المرزباني عن الأخفش الأصغر ثماني روايات ، خمس منها في "الموشح" وثلاث في "أشعار النساء" وقد جاءت أربع من هذه الروايات عن أبي العباس ثعلب ، والخامسة الأخيرة عن إبراهيم بن موسى بن جميل الأندلسي بمصر ،[1] وتنتهي سلسلة هذه الرواية بأبي عمر الجرمي (ت ٢٢٥هـ) ، وقد استغرقت هذه الرواية أكثر من عشر صفحات من الموشح ، وموضوعها التعريف ببعض مصطلحات العروض من إقواء وإكفاء وإيطاء وسناد ، ولعلها من كتاب الجرمي "العروض".[2]

أما الأخبار الأربعة الأخرى فهي في نقد شعر النابغة الجعدي ، وأبي العتاهية ، وسليمان بن عبد الله بن طاهر .[3]

١٣ ـ أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي (ت سنة ٣٤٢هـ).[4]

كان العروضي معلم أولاد الخليفة الراضي . لقي ثعلبا وروى عنه ، وحدث عن عبيد ابن عبد الواحد بن شريك البزاز . وروى عنه المرزباني . وكان إماما في علم العروض حتى قال أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) في بعض كتبه ، وقد احتاج إلى الاستشهاد ببيت تكلم عليه في التقطيع : "وقد كفانا أبو الحسن العروضي الكلام في هذا الباب".[5]

أما شخصية أحمد بن محمد العروضي في "الموشح" فقد برزت من خلال ما رواه المرزباني عنه في موضعين ، نقل عنه فيهما جزءا كبيرا من كتابه "العروض" وذلك قرابة الخمس عشرة صفحة .[6]

---

١ ـ انظر : الموشح ، ص٤

٢ ـ ورد اسم هذا الكتاب في بغية الوعاة ص٢٦٨ ، وأشار إليه ياقوت : انظر معجم الأدباء جـ٤ ، ص ٢٣٣ .

٣ ـ انظر : الموشح ، ص٨٩ ، ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ، ٥٤٥ .

٤ ـ انظر في ترجمته : تاريخ بغداد ، جـ٥ ، ص١٤٠ ، معجم الأدباء ، جـ٤ ، ص٢٣٣ .

٥ ـ معجم الادباء ، جـ٤ ، ص ٢٣٣ .

٦ ـ انظر الموشح ، ص ٢٢ ـ ٢٤ ، ١٤٤ ـ ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أورد ياقوت نقرة نقلها من أحد مؤلفات المرزباني المفقودة وفيها يقول العروضي :

" نقلت من كتاب ألفه أبو القاسم عبيد الله بن جرو الأسدى في العروض ... وكان أبو الحسن علي بن أحمد العروضي عمل كتابا كبيرا ، وحشاه بما قد ذكر أكثره ... ونقل كلام أبي إسحاق الزجاج ، وزاد فيه شيئا قليلا ، وضم إليه بابا في علم القوافي ، وذاك علم مفرد مثل علم العروض ، وفيه مسائل لطيفة ، واختلاف كثير يحتاج إلى كشف ، واستقصاء نظر .. ولو نسخ كتاب أبي الحسن الأخفش في القوافي ، لكان أعذر عندى . ثم ضم إليه بابا في استخراج المعمى ، وهذا لا يتعلق بالعروض ، وضم إليه بابا في الايقاع ونسبه ، وغيره به أحذق ، وختمه بقصيدة في العروض ، ولم يفد بها غير التكرير ، وكان ينبغي أن يوفي صناعته حقها ، ولا يخل بشيء منها ."(١)

فهذا التعليق تعليق عالم بصير مطلع ، ولا غرو إذن أن لقب قائله بالعروضي ، وأن يقر بأستاذيته في هذا الباب رجل كأبي علي الفارسي .

١٤ — ابو العباس أحمد بن سليمان الطوسي(٢) (٢٤٠ — ٣٢٢هـ)

حدث عن الزبير بن بكار واقتنى كتاب النسب وغيره من كتب شيخه .

روى عنه أبو بكر بن شاذان والمرزباني وغيرهما . قال الخطيب البغدادى(٣) " كان صدوقا " .

" وكان والد سليمان على بريد مكة ، وكان أبو عبد الله المصعب الزبيرى قد صنع كتاب النسب ، فأهدى سليمان إلى الزبير هدايا بمكة ، فأهداه الزبير كتاب " النسب " فقال له : أحب أن تقرأه علي ، فقرأه عليه ، وسمع ابنه أبو عبد الله أحمد بن سليمان مع أبيه الكتاب ."(٤)

روى المرزباني عن أحمد بن سليمان الطوسي في سبعة مواطن في " الموشح " : ولم يرد في أى من هذه المواطن السبعة شيء في كتاب " جمهرة نسب قريش " ولكن هناك خبر في " الموشح " ورد بتصرف طفيف وهو موجود في " نسب قريش " لمصعب الزبيرى

---

١ — معجم الأدباء ، جـ٤ ، ص٢٣٣ .
٢ — انظر في ترجمته : تاريخ بغداد ، جـ٤ ، ص١٧٧ ، معجم الأدباء ، جـ٣ ، ص٥٢
٣ — تاريخ بغداد ، جـ٤ ، ص ١٧٧
٤ — المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عم الزبير بن بكار ، حيث جاء في الموشح قول المرزباني : "حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني عمي مصعب بن عبدالله ومحمد بن الضحاك ، عن أبيه ، وحدثني محمد بن أحمد الكاتب ، قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة ، قال : حدثنا مصعب بن عبدالله أن أرطاة بن سهية المرى لما قال : "رأيت المرء تأكله الليالي "

وذكروا الأبيات . فبلغت عبدالملك فأشخصه إليه ، وقال : ماأنت وذكرى في شعرك ؟ قال : إنما عنيت نفسي ، أنا أبو الوليد ، فسأل عن ذلك ، فأخبر بحقيقته ، فأفلت منه ، وخلى سبيله ، وكان أعداؤه قد أرجفوا به لما شخص ، فلما رجع إلى أهله قال :

إذا ما طَلَعْنا من ثَنِيَّةِ لَفْلَفٍ ... نُبَشِّرُ رجالاً يَكْرَهون إيابي
وَخَبَّرْهُمُ أني رَجَعْتُ بِغِبْطَةٍ ... أُحَدِّدُ أَظْفاري وأَصْرِفُ نابي
وأني ابنُ حَرْبٍ لا تَزالُ تُهِرُّني ... كِلابُ عدوٍّ أو تَهِرُّ كلابي .(١)

والذي في نسب قريش" هذا نصه : " فولد عبد الملك بن مروان — رحمهما الله — الوليد بن عبد الملك ، وبه كان يكنى ... وقال أَرْطاة بن سُهَيَّة المُرِّي :

رأيتُ المرءَ تأكله الليالي ... كأكلِ الأرضِ ساقطةَ الحديد
وما تَجِدُ المَنِيَّةُ حين تأتي ... على نفسِ ابن آدمَ من مزيد
وأعلمُ أنها ستكُرُّ حتى ... تُوَفِّيَ نَذْرَها بأبي الوليد

فبلغت كلمته عبد الملك فأشخصه ، وقال له : ماأنت وذكرى في شعرك ؟ قال : إنما عنيت نفسي ، أنا أبو الوليد ، فسل عن ذلك ، فأفلت منه فانصرف إلى أهله ، وقال :

إذا ما طلعنا من ثنية لفلف ... الابيات .(٢)

وهذا الاختلاف الطفيف بين نص" الموشح " ونص "نسب قريش" مرجعه — في أغلب الظن — إلى الشيوخ الذين قرأوا كتاب النسب على المرزباني وعلى غيره من طلاب العلم ،

---

١ — الموشح ، ص٣٧٨ — ٣٧٩
٢ — المصعب الزبيري : نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ ، ص١٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو مرده إلى كتابة التلاميذ عن هؤلاء الشيوخ كتابة لم تراع الترتيب والنسق نفسه للخبر في أصل الكتاب . ونجد مصداقا على قولنا البيتان اللذان أوردهما المرزباني، وهو بصدد حديثه عن أبي دهبل الجمحي ، وهما :

يا نَاقُ سيري واشْرَقي ... بِدم إذا جِئْتِ المُغيرةْ
سَيُغيثُني أُخْرى سِواكِ ... وتلكَ لي منهُ يَسيرة

فهذان البيتان نعثر عليهما في " الموشح " رواية عن أحمد بن سليمان الطوسي عن الزبير بن بكار ، والبيتان واردان في " نسب قريش " من جملة أبيات أخرى .(١)

١٥ــ محمد بن القاسم الأنباري (ت سنة ٣٢٨هـ)(٢)

نَحْوي عالم أديب حافظ . كان والده أخباريا علامة ، ألف مصنفات عدة منها: المقصور والممدود " والمذكر والمؤنث " .

وقد وصف ابنه محمد بصفات تدل جميعها على الشهادة له بسعة العلم ، وقوة الذاكرة مع الصدق والزهد والتواضع . فقيل إنه كان يحفظ ثلاثمئة ألف بيت من الشعر ، وانه كان يملي من حفظه ، لا من كتبه ، ولهذا فإنه لم يترك تصانيف تتناسب مع ضخامة هذه المحفوظات .

ومن شيوخ محمد بن القاسم الأنباري ، أبوه ، وثعلب ، وأحمد بن هيثم البزاز .

ومن تلاميذه أبو عمر بن حيويه ، وأبو الحسن الدارقطني ، والمرزباني .

وذكر أصحاب التراجم أنه ألف من إملاءاته " غريب الحديث " و " شرح الكافي " و " الهاءات " و " الجاهليات " و " الأضداد " و " أدب الكتاب " و " شرح المفضليات " و " الأمالي " .

روى محمد بن القاسم الأنباري في " الموشح " عن أبيه عن الحسن بن عبد الله الربعي

١ــ انظر: الموشح ، ص٩٨ ؛ نسب قريش، ص٢٣٤، وهي كذلك في جمهرة نسب قريش ، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨١ ، ص ٣٩٤ .

٢ــ انظر في ترجمته : الفهرست، ص٨٢ ؛ معجم الأدباء ، جـ٧ ، ص٧٣ ؛ تاريخ بغداد ، جـ٣ ، ص١٨١ ؛ إنباه الرواة ، جـ٣ ، ص٢٠١ ؛ سير أعلام النبلاء ، جـ ١٥ ، ص٢٧٤ ؛ نزهة الألباء ، ص١٩٧ ؛ بغية الوعاة ، ص٩١ ؛ نور القبس، ص ٣٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ثلاثة مواطن ، وعن أبيه عن ابن علي الأثرم (ت ٢٣٢هـ) عن الأصمعي في موضعين ، وعن أبيه عن محمد بن عبد الرحمن السلمي عن ابن عائشة في موضع ، والخبر الأخير رواه عن أبيه عن الهيثم بن عدى .(١)

ومن كتب محمد بن القاسم الأنبارى الباقية نذكر ، المذكر والمؤنث (٢)

شيوخ آخـــرون

من شيوخ المرزباني الذين ورد ذكرهم في " الموشح " ولكن رواياته عنهم كانت قليلـة أحمد بن إبراهيم البزاز (ت ٣٣٨هـ) وأحمد بن إبراهيم الجمال ، وأحمـــد ابن محمد بن زياد الأعرابي (ت ٣٤٦هـ) ، وأحمد بن محمد المكي (ت ٣٢٢هـ) ، وأبـو ذر القراطيسي (ت ٣٣٢هـ) ، وأحمد بن محمد الجوهرى (ت ٣٣٣هـ) ، وغـــلام ثعلب أبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ) ، وعبد الله بن مالك النحوى ، وعبيد الله بن يحيى العسكرى ، وعلي بن أبي عبد الله الفارسي ، وعبيد الله بن سليمان الطاهرى ، وعبد الله بن محمد بن أبي سعيد البزاز ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وعلي بن محمد الكاتب ، ومحمد بن مخلد العطار (ت ٣٣١هـ) ، وأحمد بن عيسى الكرخي ، وأحمد بن عبد الله العسكرى ، وعبد الله بن أحمد ، وعبد الله بن جعفر .

وهناك عدد من النقاد ممن صدر المرزباني نقله منهم بقوله : " قال " و " روى " بدون لي ، وهم سبعة : اثنان منهم لم يدركهما ، وأربعة آخرون أدركهم ، وليس بين أيدينا دليل على أخذه منهم بأية صورة من صور الأخذ والتحمل . وواحد أخير لم نستطع أن نقطع بأنه ممن عاصروا المرزباني لأن كتب التراجم سكتت عن تحديد سنة وفاته .

أما اللذان نقل المرزباني منهما مصدرا نقله منهما بقوله " قال " مع أنهما ماتـــا قبل ميلاده ، فهما أحمد بن أبي طاهر ، وعبد الله بن المعتز .

وأما الآخرون الذين أدركوا القرن الرابع الهجرى فهم : أحمد بن عبيد الله بن عمار ، ومحمد ابن أحمد بن طباطبا العلوى ، وأحمد بن محمد بن أبي سهل الحلواني ، وقدامة بن جعفر وأما السابع الأخير فهو بشر بن يحيى النصيبي .

وسنقف على كل شخصية من هذه الشخصيات السبع محاولين تبين الكتب التي ألفوها ، والتي غدت ، من بعد ، مصدرا من مصادر المرزباني في تأليف " الموشح " .

١ــ انظر : الموشح ، ص٢٢٦ ، ٣٧٥ ، ٥٦٨ ، و ص٢٧١ ، ٣٠٢ ، و ٥٦٩ ، و ٢٥٤ على التوالي

٢ــ حققه طارق عبد عون الجنابي ، ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد : ١٩٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- أحمد بن أبي طاهر (ت سنة ٢٨٠ هـ)[١]

هو صاحب: "المنثور والمنظوم"، و"سرقات الشعراء" و"تاريخ بغداد" و"أسماء الشعراء الأوائل" وكتاب "ألقاب الشعراء"، ومن عرف بالكنى، ومن عرف باسمه" وكتاب "سرقات البحتري من أبي تمام" وله أيضا اختيارات كثيرة ومصنفات عديدة.

أكثر المرزباني من النقل من أحد مؤلفات أحمد بن أبي طاهر، والراجح عندنا أنه كان ينقل من كتابه "سرقات الشعراء" لأن الأخبار المنقولة في الموشح محورها العام هو السرقات.

ومن الجدير بالملاحظة أن المرزباني كان يعبر عن روايته عن أحمد بن أبي طاهر بإحدى الطرق التالية:

١- ونيها يقول: "قال أحمد بن أبي طاهر.." ثم يتبع ذلك مباشرة بإيراد تعليق ابن أبي طاهر.[٢]

٢- ونيها يقول "روى أحمد بن أبي طاهر" ثم يذكر سلسلة السند الى أن ينتهي بالراوية الأول.[٣]

٣- نيما يروى المرزباني عن شيخ من شيوخه نيما رواه له عن أحمد بن أبي طاهر.[٤]

٢- عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)[٥]

خلف ابن المعتز ديوان شعر، وكتاب "البديع" وكتاب "طبقات الشعراء المحدثين" وله غيرها كثير.

ونقل المرزباني في "الموشح" من كتابين من كتب ابن المعتز، سمّى واحدا منهما ولم يسم الآخر، والذي سماه هو "رسالة ابن المعتز في محاسن أبي تمام وساويه" وقد ورد من هذه الرسالة في الموشح قرابة العشرين صفحة.

١- انظر في ترجمته: الفهرست، ص١٦٣؛ معجم الأدباء، جـ٣، ص٨٧؛ بروكلمان: جـ٣، ص٢٧
٢- الموشح، ص٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٨
٣- المصدر نفسه، ص١٠٣، وانظر أمثلة أخرى على هذا الضرب، ص٤٨، ١٧٦، ٢٦٩
٤- الموشح، ص٤٣، وانظر أيضا ص٥١٥
٥- الكتب التي ترجمت له كثيرة جدا: انظر منها: الفهرست، ص١٢٩؛ نزهة الألباء: ص١٧٦، المنتظم جـ٦، ص٨٤؛ ونيات الأعيان، جـ٣، ص٧٦ وانظر في مقدمة كتاب: طبقات الشعراء المحدثين؛ وكتاب ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، ص٧١ - ١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول المرزباني في صدر نقله من تلك الرسالة : " قال عبد الله بن المعتز في رسالة نبه فيها على محاسن شعر أبي تمام ومساويه ".[١]

وليس في الموشح من هذه الرسالة إلا الجزء الخاص بمساوئ أبي تمام ، وقد أورد أبو حيان نتفة من تلك الرسالة أيضا في كتابه " البصائر ".[٢]

أما الكتاب الثاني الذي نقل المرزباني منه ولم يذكر اسمه فهو — في أغلب الظن كتاب " السرقات " — وقد اكتفى بتصدير نقله منه بقوله : " قال عبد الله بن المعتز "[٣] وبلغ عدد صفحات ما نقله من هذا الكتاب قرابة الإحدى عشرة صفحة ، وهي كلها في بيان ما أنكر من شعر امرئ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبياني ، والأعشى أبي بصير.[٤]

وإذا أضيف هذا العدد المأخوذ من " سرقات الشعراء " إلى العدد المأخوذ من رسالة ابن المعتز في محاسن أبي تمام ومساويه تجاوز مجموع ما أخذه المرزباني من ابن المعتز الثلاثين صفحة .

٣ — أحمد بن عبيد الله بن عمار (ت سنة ٣١٤ هـ)[٥]

من مصنفاته : أخبار ابن الرومي ومختار شعره ، أخبار أبي العتاهية ، مثالب أبي نواس ، أخبار أبي نواس . وأشار الآمدي في الموازنة " عندما تحدث عن أغاليط أبي تمام[٦] إلى كتاب آخر من كتب ابن عمار أو لعلة كتاب الأغاليط .

والأخبار المنقولة في " الموشح " و المنسوبة إلى ابن عمار تصنف على النحو التالي : خبران في ذم شعر أبي العتاهية ،[٧] وخبر في ذم شعر أبي نواس،[٨] والأخبار الباقية في ذم شعر لامرئ القيس ، والفرزدق ، وبشار .[٩]

---

١ — الموشح ، ص ٤٧٠
٢ — البصائر ، جـ ٢ ، ص ٦٩٨
٣ — انظر الموشح ، ص ٣٨ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٧٥
٤ — المصدر نفسه ، ص ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٥٤ ، — ٥٥ ، ٥٩ — ٦٢ ، ٧٥ — ٧٦
٥ — انظر في ترجمته : الفهرست ، ص ١٦٦ ؛ تاريخ بغداد ، جـ ٤ ، ص ٢٥٢ ؛ معجم الادباء جـ ٣ ، ص ٢٣٢ ؛ وذكره الآمدي في الموازنة ، انظر : الموازنة ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .
٦ — انظر : الموازنة ، جـ ١ ، ص ١٣٦
٧ — انظر : الموشح ، ص ٤٠١ ، ٤٠٣
٨ — انظر : المصدر نفسه ، ص ٤٣٢
٩ — انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٧٩ ، ٢٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان المرزباني يصدر نقله من ابن عمار بقوله : "قال أحمد بن عمار" وقال أحمد بن عبيد الله بن عمار" إلا في موضع واحد جاءت روايته عنه هكذا : "حدثني علي بن محمد الكاتب قال : حدثنا أحمد بن عبيد الله ، قال : مما أنكر على أبي العتاهية ..."[1]

وأحمد بن عبيد الله المذكور في هذا الموضع هو ـ في أغلب الظن ـ أحمد بن عبيد الله بن عمار ، لأن النقد في هذا الخبر هو نقد شعر أبي العتاهية ، وهو يتسق مع ما ورد بعد ،[2] من نقد أحمد بن عمار شعر أبي العتاهية أسلوبا ومضمونا .

٤ـ محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت سنة ٣٢٢هـ)[3]

له من المؤلفات : كتاب العروض ، وكتاب في المدخل في معرفة المعنى من الشعر ، وعيار الشعر ، وديوان شعره .

وليس بين أيدينا ما يدل على أن المرزباني أخذ عن ابن طباطبا أخذا مباشرا مع أنه أدركه ، فوفاة ابن طباطبا كانت في سنة ٣٢٢ هـ .

والراجح أن المرزباني لم يسمع من ابن طباطبا ، ففي ترجمته ما يدل على أن هذا العالم لم يغادر أصبهان ، وفي ترجمة المرزباني ما يدل على أنه هو الآخر لم يغادر بغداد ، وعلى ذلك فإن مافي "الموشح" من مادة منسوبة إلى ابن طباطبا هي مادة منقولة من "عيار الشعر" بلا قراءة على الشيوخ ، أو سماع عليهم . وهذا ما يجعلنا نصف المرزباني بأنه صُحُفي .

وكان دأب المرزباني أن يقول في صدر نقله من عيار الشعر : "قال أبو الحسن محمد ابن أحمد بن طباطبا العلوي ." أو "قال ابن طباطبا ..." أو (قال محمد بن أحمد العلوي" ليوهم أنه أخذ ذلك عن ابن طباطبا سماعا أو قراءة ، والواقع غير ذلك ومثل

١ـ الموشح ص ٤٠١

٢ـ انظر ، المصدر نفسه ، ص ٤٠٣

٣ـ انظر في ترجمته : الفهرست ، ص ٢٠٢ (طبعة الاستقامة) ، معجم الشعراء ، ص ٤٢٧ ، المحمدون من الشعراء ، ص ٢٦ ، معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ١٤٣ ، الوافي بالوفيات ج ٢ ، ص ٧٩ ومقدمة عيار الشعر ، ص ٧ ، ابن طباطبا الأديب الناقد ، رسالة ماجستير مخطوطة ، ابن طباطبا وكتابه عيار الشعر ، رسالة ماجستير مخطوطة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا التعبير يجعلنا أيضا نتهم المرزباني بالتدليس [١] والملاحظ أن المادة المنقولة في " الموشح " من ابن طباطبا موجودة بنصها في " عيار الشعر " بلا أدنى اختلاف [٢] إلا اضافات طفيفة أشرنا إلى بعضها في غير هذا الموطن ، وهي إضافات قد يكون سببها اعتماد المرزباني على نسخة غير النسخة التي نعتمدها اليوم في الدراسة .

بلغ عدد ما نقله المرزباني من " عيار الشعر " قرابة خمس وأربعين صفحة تتناول القضايا التالية : المشاكلة ، الأبيات التي قصرفيها أصحابها عن الغايات، الأشعار الغثة الألفاظ ، التشبيهات البعيدة والشعر الغلق ، الأبيات التي زادت قريحة قائليها على عقولهم ، الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها ، الأبيات المستكرهة الألفاظ القلقة القوافي ، تأليف الكلام ، مفتتح الشعر .

٥ ـ احمد بن محمد بن أبي سهل الحلواني [٣] (ت سنة ٣٣٣هـ)

لم يذكر له من المؤلفات غير كتاب "المجانين الأدباء " مع أن الأخبار التي أوردها المرزباني في " الموشح " ذات صبغة نقدية بحتة ، ومجموع تلك الأخبار خمسة : أربعة منها في نقد شعر أبي نواس ، والخامس الأخير في نقد شعر أبي تمام .

وقد صدر المرزباني أخذه عن أحمد بن أبي سهل الحلواني بقوله في المواضع الخمسة جميعا : " قال أحمد بن أبي سهل الحلواني .. [٤]

وليس بين أيدينا أى دليل على سماع المرزباني من أبي سهل الحلواني أو قراءته عليه ، وهذا مؤشر آخر دال على أن المرزباني كان ضُحيّاه فيوهم أهل العلم بأنه تتلمذ على هؤلاء الشيوخ الذين يكتفي بالأخذ منهم بقوله : "قال " دون ذكر الكتب التي نقل منها .

---

١ ـ انظر في مفهوم التدليس : "اللسان ، مادة دلس، وقال صبحي الصالح : "التدليس قسمان : أحدهما مدلس الاسناد ، وهو الحديث الذى يؤديه الراوى عمن عاصره ولقيه مع أنه لم يصح له سماعه منه ، أو عمن عاصره ، ولكنه لم يلقه موهما أنه سمعه من لفظه .... وهذا أشد قسمي التدليس وأشنعهما وأدلهما على الكذب ... الثاني .. تدليس الشيوخ ، وهو أن يصف راوية بأوصاف أعظم من حقيقته ، أو يسميه بغير كنيته ، قاصدا إلى تعمية أمره " : صبحي الصالح : علوم الحديث ومصطلحه ، ط٣ ، دار العلم للملايين ١٩٦٥ ، ص ١٧٠ ـ ١٧٢ .

٢ ـ انظر : الموشح ، ص٣٧ ، ٥٣ ، ٦٧ ـ ٧٣ ، ١٢٩ ، ٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٢٤٦ ، ٣٧٠ وقابل ذلك بما في عيار الشعر ، ص١٢٩ ، ٩٩ ، ٧١ ، ١٢٦ ١٢٩ ، ٩٣ ، ٩٥ على الترتيب .

٣ ـ انظر ترجمته في : الفهرست ، ص٨٨ ؛ تاريخ بغداد ، جـ ٥ ، ص٧٦ ؛ معجم الادباء جـ ٤ ص ١٨٧ .

٤ ـ انظر : تاريخ بغداد ، جـ ٥ ص ٧٦ الموشح ، ص ٤١٠ ، ٤٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يترجح لدينا قول القائلين فيه : " أكثر علمه اجازة ولكنه يقول : أخبرنا ، وحدثنا وأخبرني ، وحدثني[١] ولا يبين الإجازة من السماع .

٦ — قدامة بن جعفر[٢] (ت في حدود سنة ٣٣٦هـ)

ألف قدامة بن جعفر مؤلفات عدة منها : "الخراج وصناعة الشعر" و "جواهر الألفاظ" وكتاب " نقد الشعر" . ومن هذا الكتاب الأخير نقل المرزباني جزءا كبيرا في "الموشح" وقد صدر المرزباني نقله من هذا الكتاب بقوله : "قال قدامة بن جعفر الكاتب"[٣] دونما ذكر لكتاب " نقد الشعر" تماما كما فعل في النقل من ابن طباطبا ، وابن المعتز ، وأحمد بن عبيد الله بن عمار ، وبشر بن يحيى الكاتب ، وأحمد بن محمد بن أبي سهل الحلواني .

والقضايا المنقولة من نقد الشعر هي : عيوب الوزن ، عيوب المعاني ، عيوب ائتلاف اللفظ والوزن ، عيوب ائتلاف المعنى والوزن ، الإقواء ، أفضل المديح ما قصد به الفضائل النفسية ، من الكلام المستثقل ، من عيوب معاني الشعر ، عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى ، من العيوب العامة للمعاني ، الفرق بين الممتنع والمتناقض ، القافية المستدعاة ، حوشي الكلام .

ويتجاوز عدد صفحات هذا النقل في الموشح الثلاثين صفحة ، وفي هذا مايدل على مدى اتكاء المرزباني على آراء قدامة النقدية .

٧ — بشر بن يحيى النصيبي[٤]

ذكر له من المؤلفات كتاب " سرقات البحتري من أبي تمام " وكتاب "السرقات الكبير" ولكنه توفي قبل أن يتمه ، وله كذلك كتاب " الجواهر" .

ورد ذكر بشر بن يحيى في الموشح مرة واحدة ، نقل فيها المرزباني عنه صفحتين كاملتين ، وهما فيما نرجح من كتاب بشر " سرقات البحتري من أبي تمام" .

---

١ — سبقت الاشارة الى ذلك في حديثنا عن صفات المرزباني وأخلاقه .
٢ — انظر في ترجمته : الفهرست ، ص٤٤١ ؛ تاريخ بغداد ، جـ٧ ، ص٢٠٥ ؛ معجم الأدباء ، جـ١٧ ، ص١٢ ؛ وانظر كتاب بدوي طبانه : قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٣٢ .
٣ — انظر مثلا : الموشح ، ص١٢١ ، ٤١٤ ، ٥٣٩ .
٤ — انظر في ترجمته : الفهرست ، ص١٦٦ ؛ معجم الأدباء ، جـ٧ ، ص ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الذى يدفعنا إلى الزعم بأن مافي الموشح منسوبا إلى أبي الضياء هو من كتاب " سرقات البحترى " فهو السياق العام للنص المنقول ، إذ نجد بشرا يذكر البيت من شعر أبي تمام ثم يتبعه بذكر بيت للبحترى في معنى بيت أبي تمام أو لفظه[١]!

وقال بشر في آخر ما نقله منه المرزباني " وسرقات البحترى من أبي تمام نحو خمسة بيته وإنما ذكرنا منها في هذا الموضع ما قصّر فيه البحترى عن مدى أبي تمام ، أو شاركه في عيبه."[٢] فهذه العبارة تدل بوضوح على أنها من كتاب " سرقات البحترى من أبي تمام ."

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الآمدى وقف وقفة طويلة على كتاب بشر هذا[٣] وذكره بالاسم ، وإن لم يرد في الموازنة شيء من الشعر مما ورد في الموشح من هذا الكتاب .

وبعد ، هؤلاء هم شيوخ المرزباني الذين سمع منهم أو قرأ عليهم ، أو نقل من مؤلفاتهم ممن لم يعاصره منهم ، أو ممن لم يتأكد لدينا أنه حضر مجالس علمهم ممن عاصرهم .

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى شخصية بارزة لم نتوقف عندها ، لأن كتب التراجم لم تسعفنا بالتعرف إليها ، وهي شخصية أحمد بن عبد العزيز الجوهرى الذى يطل علينا في أكثر من أربعين صفحة في " الموشح " هكذا " كتب إليّ أحمد بن عبد العزيز الجوهرى "

وغاية ما استطعنا معرفته عنه هو قول الصولي : "توفي في هذه السنة ـ ٣٢٣هـ ـ أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، صاحب عمر بن شبة ، بالبصرة لخمس بقين من شهر ربيع الآخر ."[٤] وقول محمد بن علي الأردبيلي : " أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، له كتاب السقيفة "[٥] ويبدو من خلال الأخبار التي كتبها أحمد بن عبد العزيز الجوهرى إلى المرزباني ، أنه كان وطيد العلاقة بعمر بن شبه (ت ٢٦٢هـ) فأخباره كلها بروايته عن عمر ، وهي أخبار في جملتها تتناول الشعراء الجاهليين والإسلاميين والأمويين ، ولم تتعدهم إلى شعراء عصر بني العباس . وهذا ما قد يكون مؤشرا على أن لهذا العالم كتابا في أخبار الشعراء الجاهليين والإسلاميين والأمويين .

١ـ انظر : الموشح ،ص ٥٢٢
٢ـ المصدر نفسه ، ص ٥٢٤
٣ـ انظر : الموازنة ،جـ١ ، ص ٣٠٤ ـ ٣٤٣
٤ـ أخبار الراضي والمتقي ، ص ٦٤ .
٥ـ محمد بن علي الأردبيلي ، جامع الرواة ، منشورات دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٨٣ ، جـ١ ، ص ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخلاصة : يمكن حصر مصادر المرزباني في :

١ـ كتب في أخبار الشعراء ، ككتابي الصولي " أخبار أبي تمام " و " أخبار البحتري وكتاب الزبير بن بكار " أخبار كثير .

٢ـ كتب في اللغة والنحو ككتابي المبرد " الكامل " و " المقتضب " وكتاب ثعلب " مجالس ثعلب " .

٣ـ كتب في العروض والقوافي ككتابي أحمد بن محمد العروضي ، وأبي عمر الجرمي .

٤ـ كتب في النقد الفني الخالص، وهي الأكثر بروزا في الموشح ، ككتاب " فحولة الشعراء " للأصمعي ، وكتاب " طبقات فحول الشعراء " لابن سلام ، و " عيار الشعر " لابن طباطبا ، و " نقد الشعر " لقدامة .

٥ـ كتب في سرقات الشعراء ، ككتاب بشر بن يحيى النصيبي ، " سرقات البحتري من أبي تمام " و " سرقات الشعراء " لابن المعتز .

٦ـ رسائل نقدية كرسالة ابن المعتز في محاسن أبي تمام ومساويه ، ورسالة يحيى بن علي المنجم في العباس بن الأحنف والعتابي .(١)

ولكن لم تكن هذه الاتجاهات التي أبرزناها آنفا هي الاتجاهات الوحيدة التي استحوذت على جل اهتمام المرزباني لدى تأليفه " الموشح " فهناك روايات كثيرة جدا لم نستطع أن نتبين مصادره فيها ، وذلك نظرا لضياع عدد كبير من المصادر ، وعلى سبيل المثال ، فإننا نجد المرزباني يروى أخبارا عن أحمد بن محمد الجوهري ، عن الحسن بن عليل العنزي عن علي بن الصباح الكاتب عن هشام بن محمد الكلبي ، وهي ـ لابد ـ منقولة من كتب أخرى لهشام سوى كتابيه " الأنساب " و " الأصنام " والكتاب الأخير وصلنا برواية المرزباني .(٢)

وهذا كله ما يجعل لكتاب " الموشح " منزلة خاصة بين كتب النقد ، بسبب شمولية مادته وتشعبها في آن معا . وسيظل الموشح مصدرا من المصادر المهمة في المرويات الأدبية والنقدية لدى كل من يعمل في ميدان التحقيق .

١ـ انظر : الموشح ، ص٤٤٩

٢ـ انظر : كتاب الأصنام ، ص٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخبار في الموشح وردت بنصها في الأغاني

	الموشح	الأغاني	
	الصفحة	الجزء	الصفحة
١ـ	الخبر عن أبي تمام/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣	١٦	٣٨٣ ـ ٣٨٤
٢ـ	الخبر عن البحتري/ ٥٠٧	٢١	٤٠
٣ـ	خبر الموازنة بين الأعشى ومروان بن أبي حفصة / ٧٤	١٠	٨١، ٨٢
٤ـ	خبر الخصومة بين أبي نواس ومسلم بن الوليد / ٤١٩، ٤٣٦ ـ ٤٣٧	١٩	٣٣ ـ ٣٤
٥ـ	خبر خوف الشعراء من الفرزدق/ ١٧١، ١٧٢	٢١	٣٢٥ ـ ٣٢٦
٦ـ	عود الى الموازنة بين مروان والاعشى/ ٧٤ ـ ٧٥	١٠	٨٢ ـ ٨٣
٧ـ	خبر شراء مروان شعر أعرابي/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤	١٠	٨٣ ـ ٨٤
٨ـ	خبر عن ابن ميادة/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧	٢	٢٦٩
٩ـ	خبر المهاجاة بين ابن ميادة والحكم الخضري/ ٥٧	٢	٢٨٤
١٠ـ	خبر نوح بن جرير ورأيه في شعر الأخطل / ٢٠٨	٨	٢٨٤ ـ ٢٨٥
١١ـ	أبيات الأخطل في سويد بن منجوف البكري وخبرها/ ٢١٣	٨	٣١٠ ـ ٣١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهج المرزباني في الموشح

١ـ مقدمة الكتـــاب :

أبان المرزباني في " الموشح " عن دافعه من تأليفه كتابه ، وهو رغبته في أن يضع بيـــن يدى أهل عصره ، ومن بعدهم طائفة مما أنكر على الشعراء في أشعارهم ، حتى يعدلوا عنها ، ولا يقعوا في مثلها .[١] وهذا ، كما هو واضح ، دافع تعليمي محض .

وهو يقر بأن تلك المآخذ هي مآخذ العلماء على الشعراء ، وأن جهده فيها لم يزد عـن تأليفه بينها بين دفتي كتاب واحد ، ليسهل على المتأدبين الرجوع إليها ، يقول : " وأودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده ، وأمكن جمعه ، وقرب متناوله من ذكر عيوب الشعراء التي نبـه عليها أهل العلم ، وأوضحوا الغلط فيها ."[٢]

وذكر بعد ذلك أنه خصص هذا الكتاب لذكر عيوب الشعر التي وقع فيها الشعراء دون ذكر عيوبهم في أجسامهم وأخلاقهم وطبائعهم ، لأن بيان تلك العيوب الخِلْقية والخُلُقية قد تكفل به مؤلفه " المفيد " وغيره من المؤلفات التي ضمنها أخبار الشعراء "،[٣] ودون الوقوف على سرقات معاني الشعر ، لأنه استوفى ذلك في مؤلفه " كتاب الشعر " الـذى نبه فيه على فضائل الشعر ، ووصف نعوته وعيوبه .

واحتج لابتدائه بالحديث عن القضايا العروضية من سناد واقواء وإيطاء ... " لمـــا جاء فيه من الأشعار المعيبة ، ولأنها إذا نسبت الى رواتها مجتمعة كان أبلغ .. وأقـــرب إلى فهم القارئ وقلب السامع ."[٤]

واستدرك بأن ليس ما في الكتاب من مآخذ نحوية ولغوية هو الرأى الأخير ، فهنـــاك جماعة من النحويين واللغويين يحتجون لكثير من تلك المآخذ ، ويوجبون العذر فيهـــا للشاعر ، ولكنه يعد بألا يذكر غير الوجه المعيب لسببين :

الأول : أنه وعد بوضع رسالة خاصة في الاحتجاج للشعراء .

١ـ انظر الموشح ، ص١
٢ـ المصدر نفسه ، ص١
٣ـ انظر : المصدر نفسه ، ص١
٤ـ : المصدر نفسه ، ص٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : أنه لا يريد أن يخرج عن خطة الكتاب ، فالكتاب في " مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ". فلا يريد أن يبني قولا على شيء بعينه ثم يعقبه بنقضه في تضاعيفه .(١)

وجعل الباب الأخير من الكتاب خاصا بذكر طائفة من الأشعار والأقوال في ذم الشعر الرديء .

٢ــ مدى تطبيق المرزباني خطته في " الموشح "

التزم المرزباني بتطبيق خطته في كتابه التزاما كبيرا ، فالمآخذ التي في الكتاب هي مآخذ العلماء على الشعراء ، وهذا ما يوضحه أدنى نظر في أية صفحة من صفحاته . فالموشح مجموعة ضخمة من الروايات والأخبار والآراء لعلماء النحو واللغة والعروض ، ولأعيان النقد والرواية على امتداد القرون الهجرية الأربعة الأولى .

وأما أن الكتاب مخصص لبيان عيوب الشعر ، ومآخذ العلماء على الشعراء دون الوقوف على عيوب الشعراء الخِلْقية والخُلُقية ، فهذا صحيح ، إذ قلما نعثر على عيوب خلقية وخلقية نعت بها الشعراء ، أو اشتهروا بها ، أما الحديث عن تفريك امرئ القيس ،(٢) وذم خلق البحتري المتقلب ،(٣) فلم يكن حديثا عارضا ، بل كان في سياق وطيد الصلة بشاعرية كل منهم .

أما سرقات معاني الشعر التي وعد بألا يقف عليها ، مع إيمانه بأنها أحد عيوب الشعر ، فإنه لم يلتزم بهذا الوعد ، فأثبت كثيرا من الروايات والأخبار عن انتحال الشعر ، وسرقات الشعراء مما ستوضحه هذه الدراسة في موضع تال .

ومع أن النغمة الغالبة في الكتاب هي ذكر العيوب التي وقع فيها الشعراء دون الاحتجاج لهم ، فإنه كان يراوح في أحايين كثيرة بين ذكر العيب في قول شاعر ، وذكر الاستخدام السليم في بيت شاعر آخر ، ومن الأمثلة على هذا التناظر نقله قول ابن طباطبا العلوي التالي : " من الأبيات التي قصّر فيها أصحابها عن الغايات التي جروا إليها ، ولم

١ــ انظر : الموشح ، ص ٢
٢ــ انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٩
٣ــ انظر : المصدر نفسه ص ٥١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسدوا الخلل الواقع فيها معنى ولا لفظا قول النابغة الذبياني :

ماضي الجِنَانِ أخي صَبْرٍ إذا نَزَلَتْ حَرْبٌ يُوائِلُ فيها كلَّ تِنْبَالِ

التنبال : القصير ، فإن كان أراد ذلك فكيف صار القصير أولى بطلب الموئل من الطويل ؟ وإن جعل التنبال الجبان فهو أعيب ، لأن الجبان خائف وجل اشتدت الحرب أم سكنت ، وأين كان عن قول الهذلي :

يَكُرُّ على المَصَافِ إذا تعادى من الأهوال شجعانُ الرِّجالِ .(١)

وجاء في رواية عن الصولي " كان الأصمعي يعيب قول النابغة يصف ناقة :

مَقْذوفةٌ بدَخيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ (٢)

ويقول : البغام في الذكور من النشاط ، وفي الإناث من الإعياء والضجر ، ألا ترى قول ربيعة بن مقروم الضبي :

كِنازُ البَضِيعِ جِماليَّةٌ إذا ما بَغَمْن تراها كَتُومَا (٣)

ومع ذلك فإن المرزباني كان يكتفي ، في أحيان أخرى ، بذكر الوجه المعيب في أقوال بعض الشعراء ناصا على أن من العلماء من احتج لها ، ولكن دون أن يذكر وجه الاحتجاج ، فهو يقول مثلا في أعقاب إنكار بعض النقاد قول حسان بن ثابت :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضحى وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دَمًا

(٤)

" وقد رد هذا القول — الانكار — واحتج فيه قوم لحسان بما لا وجه لذكره في هذا الموضع .

أما النزعة الغالبة في تسجيل مآخذ العلماء على الشعراء دون الاحتجاج لها ، ودون إقامة تناظر بين ما هو معيب ، وما هو مستحسن ، فيوضحه اجتزاؤه للمواقف النقدية التي تعيب وتجرح ، وإهماله ما نيها من الاحتجاج والدفاع . وللتدليل على ذلك نسوق المثالين التاليين :

١ — أورد الصولي في دفاعه عن أبي تمام مايلي : " وعابوا قوله :

لا تَسْقِني ماءَ المَلامِ فإنني صَبٌّ قد اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكائي

---

١ — الموشح ، ص ٥٣

٢ — المقذوفة : المرمية . الدخيس : اللحم المكتنز الكثير . النحض : اللحم . البازل : البعير يطلع نابه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . الصريف : الصياح من النشاط والفرح ، القعو : البكرة من خشب ، المسد : الحبل المفتول (من حاشية الصفحة ٥١ ، ومن المعجم الوسيط) .

٣ — الموشح ، ص ٥١ ، (والناقة الكناز : المكتنزة اللحم ، والجمالية ، والناقة التي تشبه الجمل في خلقتها وشدتها وعظمها . والبغام ، صوت الابل ، من حاشية الصفحة نفسها)

٤ — الموشح ، ص ٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقالوا : ما معنى ماء الملام ؟ وهم يقولون : كلام كثير الماء ، وما أكثر ماء شعر الأخطل ، قاله يونس بن حبيب ، ويقولون ماء الصبابة ، وماء الهوى ، يريدون الدمع ، قال ذو الرمة :

أإنْ تَرَسَّمْتَ من خَرْقَاءَ منزلةً ماءُ الصَّبابةِ من عَيْنَيكَ مَسْجُومُ؟(١)

فاجتزأ المرزباني من عبارة الصولي هذه الجزء الخاص بموطن العيب وحسب ما فقال : أخبرني الصولي ، قال : عاب قوم على أبي تمام قوله . . . وقوله

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي

وقالوا : ما معنى ماء الملام ؟"(٢)

٢ــ وجاء في أخبار أبي تمام قول الصولي : "حدثني محمد بن موسى بن حماد قال : كنت عند دعبل بن علي أنا والقسروي . . . فذكرنا أبا تمام ، فجعل يثلبه ، ويزعم أنه يسرق الشعر ، ثم قال لغلامه تغنف ، هات تلك المخلاة ، فجاء بمخلاة فيها دفاتر ، فجعل يُمرُّها على يده حتى أخرج منها دفترا ، فقال : اقرأوا هذا ، فنظرنا ، فإذا في الدفتر : قال مكنف أبو سلمى من ولد زهير بن أبي سلمى ، وكان هجا ذافة العبسي بأبيات . . . . . قال : ثم رثاه بعد ذلك ، فقال :

أبَعْدَ أبي العبّاسِ يُسْتَعْذَبُ الدهْرُ وما بَعْدَهُ للدهْرِ حُسْنٌ ولا عُذْرُ

(وبقية الأبيات)

ثم قال : سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها في شعره .

وحدثني محمد بن موسى بهذا الحديث مرة أخرى ، ثم قال : فحدثت الحسن بن وهب بذلك ، فقال لي : أما قصيدة مكنف هذه فأنا أعرفها ، وشعر هذا الرجل عندي ، وقد كان أبو تمام ينشدنيه ، وما في قصيدته شيء مما في قصيدة أبي تمام ، ولكن دعبلا خلط القصيدتين ، إذ كانتا في وزن واحد ، وكانتا مرثيتين ، ليكذب على أبي تمام "(٣)

فماذا اجتزأ المرزباني من هذا الخبر الطويل ؟ لقد اجتزأ المرزباني الرواية الأولى التي تطعن على أبي تمام ، وذلك من قول الصولي " حدثني محمد بن موسى بن حماد " إلى قوله " سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها في شعره . "(٤)

أما باقي الخبر الذي يدفع التهمة عن أبي تمام فلم يورده المرزباني في "الموشح".

١ــ أخبار أبي تمام ، ص ٣٣

٢ــ الموشح ، ص ٤٩٦

٣ــ أخبار أبي تمام ، ص ١٩٦

٤ــ انظر : الموشح ص ٥٠٢ ــ ٥٠٤ (ويلاحظ أن عدد أبيات مكنف في الموشح قد بلغت عشرة أبيات ، وهي في أخبار أبي تمام سبعة فقط ، ولم يلاحظ ذلك الأستاذ البجاوي)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ــ تقسيم الشعراء في "الموشح".

جعل المرزباني الشعراء في مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى الشعراء الجاهليون ، وعددهم اثنان وعشرون شاعرا جاهليا ومخضرما .

والمجموعة الثانية الشعراء الاسلاميون ، وعددهم تسعة وثلاثون شاعرا .

والمجموعة الثالثة الشعراء المحدثون ، وعددهم ثمانية وثلاثون شاعرا .

أما الشعراء الجاهليون والمخضرمون فأولهم امرؤ القيس ، وآخرهم عمرو بن أحمر الباهلي ، عدا من ذكر من الجاهليين في باب " جماعة من الشعراء القدماء " كعمرو بن كلثوم ، والحويدرة (١) ... الخ ، وعدا من ذكر عرضا في ثنايا الحديث عن الشعراء الآخرين ، كالحارث بن حلزة.

ويلاحظ أن المرزباني لم يراع ترتيبا محددا في توزيعه الشعراء داخل هذا الإطار الزمني العام ، فأوس بن حجر مثلا تأخر الحديث عنه ، حيث كان ترتيبه في "الموشح" السابع ، مع أن تلميذه زهيرا جاء ثالثا في الكتاب ، بعد امرئ القيس ، والنابغة الذبياني . وحسان بن ثابت الأنصاري ، الشاعر المخضرم ، تقدم ذكره على أوس بن حجر ، وعدي بن زيد ، وأبي دواد الإيادي ، والمهلهل ، وهؤلاء جميعا أقدم منه .

ونفتقد من الشعراء الجاهليين والمخضرمين شعراء كثيرين كالشعراء الصعاليك ، وكالحطيئة وكعب بن زهير . ونتساءل : ألم يعب النقاد شيئا من أشعار هؤلاء الذين لم يذكروا في "الموشح" أم لم يقف المرزباني على شيء من مآخذ العلماء على أشعارهم . ؟

أغلب الظن أن التصور الثاني هو المقبول ، فالمرزباني قد أخذ على نفسه في خطبة كتابه أن يجعل في الموشح ما سهل وجوده ، وأمكن جمعه " . فلما لم يقع بين يديه شيء من المآخذ عليهم سكت عن ذكرهم ، لأن كتابه ليس كتاب تراجم .

أما الشعراء الإسلاميون فأولهم الفرزدق ، وآخرهم الحسين بن مطير ، وقد تداخل حديثه عنهم بباب " أخبار تشتمل على ذكر جماعة من شعراء الاسلام ." منهم من خصه بدراسة مستقلة ككثير ، وجميل ، وجرير والفرزدق ومنهم من لم يخصص بدراسة مستقلة كابن رميلة والبعيث . (٢)

١ــ الموشح ، ص ١١٩

٢ــ المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ ــ ٢٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الشعراء المحدثون فأولهم بشار بن برد ، وآخرهم ابن الرومي . ويلاحظ في ذكر المرزباني الشعراء المحدثين غياب أسماء لامعة في عالم الشعر العربي يومئذ كالمتنبي وأبي فراس وغيرهما من شعراء القرن الرابع ، وهم شعراء معاصرون للمرزباني ، ولهذا يمكن أن يقال : إن ذكر المعاصرين لم يكن واردا في خطة المؤلف لأنه إنما يجمع في كتابه أقوالا قد ترددت في محافل النقد اللغوي وغير اللغوي واستقرت ، بينما لم يكن شيء من ذلك قد تم بالنسبة إلى الشعراء المعاصرين . .

وفي ختام هذا الحديث عن تقسيمات المرزباني الشعراء في " الموشح " لا بدّ من إيراد الملاحظات التالية :

١ — يفهم من تسجيله مآخذ العلماء على الشعراء جاهليين ، وإسلاميين ومحدثين ، أن الخطأ قاسم مشترك بين الشعراء جميعا في كل عصر ، فنفى بالدليل صفة العصمة التي كان ينظر بها بعض النقاد إلى القدماء .

٢ — يفند ما قاله عبد القادر البغدادي : إن كتاب الموشح من كتب طبقات الشعراء غير صحيح (*)

٣ — تناثرت القضايا النقدية في الموشح على امتداد صفحات الكتاب كلها .

---

* — انظر : خزانة الأدب ، جـ١ ، ص ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الاتجاهات النقدية التي يعكسها الموشح

I ـ النقد اللغوي والنحوي في الموشح

١ ـ في اللفظة المفردة

أ ـ لغات القبائل

ب ـ تجاوز الشعراء بعض قواعد النحو :

(١) الضرائر الجائزة

(٢) الضرائر غير الجائزة

(٣) أخطاء لم يرخص فيها للشعراء بأي وجه .

جـ ـ أثر الاقليم والوسط الاجتماعي في لغة الشعر .

د ـ الألفاظ الأعجمية في الشعر

هـ ـ الألفاظ الحوشية والسوقية

و ـ الألفاظ الشعرية وغير الشعرية

٢ ـ في الأسلوب والصياغة

أ ـ المشاكلة أو استواء النسج

ب ـ قضايا أخرى عن الأسلوب :

(١) الشعر المحكك والشعر المطبوع

(٢) التقديم والتأخير

(٣) الإيجاز

(٤) الحشو

جـ ـ الصورة الشعرية

د ـ الصدق والكذب والمبالغة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقد اللغوي والنحوي في الموشح

يعكس الموشح جانبا كبيرا من وجهات نظر علماء اللغة والنحو ونقاد الشعر في لغة القصيدة العربية حتى منتصف القرن الرابع الهجري تقريبا .

أما علماء اللغة والنحو ، فقد انصب اهتمامهم على ملاحظة ما في لغة الشعراء وأساليبهم من خروج على قواعد اللغة والنحو التي نظمت قواعدهما ، وأرسيت أصولهما في القرون الهجرية الثلاثة الأولى .

وأما نقاد الفن الشعري فقد انصبت اهتماماتهم على دراسة ما في لغة الشعراء من حوشي الألفاظ وغريبها ، وما في لغات بعضهم من ألفاظ أعجمية ، وعلى دراسة أثر البيئة في لغة الشعر ، كما ركز فريق آخر منهم على دراسة الصياغة الشعرية بوجه عام دون الاكتفاء بالوقوف على الألفاظ المفردة .

١ـ في اللفظة المفردة

يمكن تصنيف جهود علماء اللغة والنحو التي يرصدها الموشح في هذا الميدان في الاتجاهات التالية :

أـ لغات القبائل .

لاحظ بعض علماء اللغة خروج بعض الشعراء في أشعارهم على المألوف الشائع في اللغة ، فانبرى لهم فريق آخر من العلماء ، فسوغ للشعراء ذلك الاستعمال بحجة أنه لغة من لغات القبائل . والأمثلة التي توضح ذلك غير قليلة ، من ذلك أنه قيل في بيت امرئ القيس :

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انْجلي بصُبْحٍ وما الإصْباحُ منك بأمْثَلِ

إن إثبات الياء في " انجلي " في الجزم " على لغة طيء " . (١)

وأن انكار أبي عمرو بن العلاء الوقوف على الهاء في قوله تعالى " ماأغنى عني ماليه " (٢)

١ـ انظر : الموشح ، ص ٣٣ .

٢ـ الحاقة ، آية ٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير مقبول ، لأن هذا في لغة قريش ، واحتج لذلك بقول ابن قيس الرقيات :

إنَّ الحوادثَ بالمدينة قد ... أوجَعْنَني وقَرَعْن مَرْوَتَيهْ(١)
وَجَبَبْنَني جَبَّ السَّنام فلم ... يَتْرُكْنَ رِيشًا في مناكِبِيهْ.(٢)

وأن قول العجاج :

ياليْتَ أيامَ الصِّبا رواجِعا

بنصب خبر ليت لغةٌ في بلاد العجاج ، وأنهم يقولون : ليت أباك منطلقا وليت زيدا قاعدا.(٣)

ولما عيب قول العجاج في قصيدته التي مطلعها :

يادارَ سَلْمَى يا اسْلَمي ثم اسْلَمِي

والتي يقول فيها :

فَخِنْدِفٌ هَامَةُ هذا العالَمِ
مُحمدٌ للأنبياء خاتَمِ

لأنه أسس بيتا ، ولم يؤسس آخر وذلك هو السناد ، وهو عيب قلما يجيء .
قيل في الاحتجاج له : إنه كان في لغة العجاج العالَم والخاتَم مهموزان.(٤)

وأن تسكين الواو في الضمير " هُوْ " في قول الحسين بن مطير الأسدي :

يا أيها القلبُ الحزينُ الكائِبُ ... بان الشبابُ والشبابُ ذاهبُ
أوْدَى فلا يثني ولا هُوْ آيبُ

لغةٌ في بني أسد ، حيث يسكنون " هوْ " وحقها التحريك.(٥)

١ــ المروة : حجارة بيض يقدح منها النار / اللسان / مرا
٢ــ انظر : الموشح ، ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥ . وكان عبد الملك بن مروان قد استحسن هذه القصيدة لولا أن الشاعر خنث في قوافيه . فقال له الشاعر : " ما عدوت كتاب الله . " ماأغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانية " الشعر والشعراء ، جـ٢ ، ص ٤٥٢ . وأما طه حسين فقد قال فيها قال فيها : " . . وما أظن الا أنها صنعت للنائحات " . حديث الاربعاء ، جـ١ ، ص ٢٥٦ .
٣ــ انظر : الموشح ، ص ٣٤٠ ، طبقات ابن سلام ، جـ١ ، ص ٧١
٤ــ انظر الموشح ، ص ٣٤١
٥ــ انظر : الموشح ، ص ٣٦٠ ، القزاز القيرواني : ما يجوز للشاعر ، تحقيق المنجي الكعبي ، الدار التونسية ، ١٩٧١ ، ص ١١٦ ، الألوسي : الضرائر ، المطبعة السلفية القاهرة ، ١٣٤١ هـ ، ص ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأن أبا تمام يتعالم فيستخدم في شعره لغات شاذة ،أو ميتة ،مع أنه عباسي فيقول :

سَدِكُ الكفِّ بالندى عائِرُ السمعِ إلى حيثُ صَرْخَةُ المكْروبِ

قال ابن المعتز : " السدك : المولع بالشيء في لغة طيء ." (١)

ب ــ تجاوز الشعراء بعض قواعد النحـــو .

نظر في "الموشح " إلى تجاوزات الشعراء بعض قواعد النحو من زوايا ثلاث ،هي :

(١) الضرائر الجائـزة

(٢) الضرائر غير الجائزة

(٣) أخطاء لم يرخص فيها للشعراء بأي وجه من الوجوه .

أما الضرائر الجائزة فيدخل فيها مايلي :

أ ــ جواز صرف مالا ينصرف ،لأن الصرف يرد اللفظ إلى أصله ،ومثل أحمد بن محمد العروضي على ذلك بقول الشاعر :

لم تَتَلَفَّـعْ بفضْل مِئْزرها دَعْدٌ ولَمْ تُغْذَ دَعْدُ بالعُلَبِ

فصرف الشاعر " دعد " ومنعها من الصرف في بيت واحد . (٢)

ومثل هذا ما وقف عليه المبرد في قول أبي العتاهيـة :

واللهِ ربِّ مِنًى والراقصاتِ بها لأشْكُرَنَّ يزيدا حيثما كُنْـتُ

ما قُلْتُ في فضله شيئا لأَمْدَحَه إلا وفَضْلُ يزيدٍ فوْقَ ما قُلْـتُ (٣)

فقال : " صرف يزيد في موضعين ، لو لم يصرفه فيهما لاستقام الشعر بزحاف ثقيل ."

ب ــ قصر الممدود . قال العروضي : إنه جائز لأنه رد الشيء إلى أصله ، ومثل عليه بقول الشاعـــر :

بَكَتْ عَيْني وحُقَّ لها بُكاهـا وما يُغْني البُكاءُ ولا العويـلُ

" فقصر البكاء ومده في بيت واحد ." (٤)

---

١ ــ الموشح ،ص٤٨٧

٢ ــ انظر : الموشح ،ص ١٤٤ ، وانظر في مناقشة هذه القضية : أوضح المسالك جـ٣، ١٤٧ ،وشرح ابن عقيل ،جـ٢ ،ص ٢٦٧

٣ ــ الموشح ،ص ٤٠٦

٤ ــ المصدر نفسه ،ص ١٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ — الاجتزاء بالضمة من الواو في مثل كأنه ،وله ،وبيناه . ومثل عليه العروضي بقول الشاعر : (١)

له زَجَلٌ كأنه صوتُ حادٍ إذا طَلَبَ الوسيقةَ أو زميرُ (٢)

بقراءة الضمير في " كأنه " بلا اشباع . (٣)

د — حذف بعض الكلمة في البيت ،كإسقاط الياء من " أيدى " في قول الشاعر :

وطِرْتُ بمُنْصُلي في يعمـلاتٍ دوامي الأيدِ يَخْبِطْنَ السريحا . (٤)

وكإسقاط النون من لكن مما هو ألزم وأثبت في قول الشاعر :

فلستُ بآتيه ولا أستطيعُه ولكنِ اسقني إن كان ماؤكَ ذا فَضْلِ (٥)

وأسمى قدامة بن جعفر أشباه هذا بالتثليم ،فقال هو أن " يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض ،فيضطر إلى ثلمها ،والنقص منها . " (٦) ومثل على ذلك ببعض الأمثلة التي انحصر الحذف منها في الأسماء فقط (٧)

وقد حصر العروضي أمثال هذه الضرورة بالسماع ،فلا يقاس عليها .

هـ — تسكين الحروف التي عليها الضمات والكسرات (٨) نحو عضُد ،وفخِذ ،وكبِد ، وعَلِم ، وكَرُم ،وعُصِر ، فقيل فيها : عضْد ،فخْذ ،كبْد .. الخ .

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر :

لو عُصِرَ منها البانُ والمسكُ انْعَصَرْ

وقول الآخر :

آلا رُبَّ مولودٍ وليس له أبٌ وذي وَلَدٍ لم يَلْدَه أبوان

---

١ — هو الشماخ كما في : مايجوز للشاعر ،ص ١١٦ .

٢ — العوشح ،ص ١٤٦ . (الزجل : صوت فيه حنين وترنم . . الوسيقة : الاتان التي يضمها والزمير : صوت المزمار .) من حاشية العوشح ،ص ١٤٦ .

٣ — لمزيد من التمثيل على هذا الاجتزاء ،أنظر : العوشح ،ص ١٤٦ .

٤ — العوشح ،ص ١٤٦ ،مايجز للشاعر ،ص٣٣ ،وذكر محققه أن البيت لعضرس بن ربعي الأسدى يصف فيه أنه أسرع الى سيفه فأعمله في نوقه . . من حاجته اليهن ،وذكر أنهن رواعي الأيدى إشارة إلى أنه في سفر فقد حفين من شدة إدمان السفر والسير ،ودميت أخفافهن فأنعلهن . والسريح : جلود أو خرق تشد على أخفافهن . واليعملات مفردها اليعملة وهي الناقة القوية على العمل . والسريح مشتق من كون الناقة لما تنعل تتسرح وتنبعث في مشيها .

٥ — العوشح ،ص ١٤٧

٦ — نقد الشعر ،ص ٢٤٦

٧ — انظر : نفسه

٨ — انظر : العوشح ، ص ١٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و — جواز أن يضاعف الشاعر مالا يجوز أن يضاعف في الكلام المنثور . ومن أمثلة ذلك قول قعنب :

مهلا أعاذلَ قد جرّبْتِ من خُلُقي
أني أجودُ لأقوامٍ وإنْ ضَنِنُوا (١)

وقول الآخر : (٢)

الحمد لله العليِّ الأَجْلَلِ (٣)

حيث أظهر الشاعران التضعيف .

ز — جواز تضعيف ماحقه التخفيف ، وتخفيف ما حقه التضعيف ، فمن الأول قول أبي نواس .

" أسرعُ من قول قَطَاةٍ قَطّا " (٤)

ومن الثاني قوله كذلك ، وقد هجا أحمد بن روح في قصيدة :

لا رَعَى اللهُ ابْنَ رَوْحٍ وسَّخَ اسْمي بِلُعابِهْ
إنها عامرةُ الإصْـ طَبْلِ من شُهْبٍ دَوابِهْ (٥)

فضعف الطاء في قطّا وحقها التخفيف ، وخفف الباء في دواب وحقها التضعيف .

ح — رد الإعراب إلى أصله في مثل قاضٍ فيقول : قاضيٍ وقاضيٌ .

ومثل العروضي على ذلك بأبيات منها بيت الفرزدق المشهور في هجاء عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي :

فلو كان عبدُ الله مولى هَجَوْتُهُ ولكنّ عبْدَ اللهِ مولى مواليا .

ويدخل في هذا الضرب إثبات الواو والياء في المضارع المجزوم ، ومنه قول الشاعر :

أَلَمْ يأتيكَ والأَنْباءُ تُنْمي بما لاقَتْ لَبُونُ بني زيادِ . (٦)

---

١ — الموشح ، ص ١٤٨ ، وانظر : مايجوز للشاعر ، ص ١٣٢ .
٢ — هو أبو النجم العجلي ، كما في مايجوز للشاعر : ص ١٣٢ ، والضرائر ، ص ١٣٧ .
٣ — انظر : الموشح ص ١٤٨ ؛ المبرد ، المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ١٣١١ هـ ، جـ ١ ، ص ١٤٢ ، ٢٥٣ ؛ مايجوز للشاعر ، ص ١٣٣ .
٤ — انظر : الموشح ، ص ٤٣٢
٥ — انظر : نفسه ، ص ٤٤٣ .
٦ — انظر : نفسه ، ص ١٤٩ ، والبيت لقيس بن زهير العبسي كما في : مايجوز للشاعر ص ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ط — الحاق نون الجمع مع الاسم المضاف الى الضمير الغائب في مثل : الضاربونه والخائفونه ،ومنه قول الشاعـــر :

" هم القائلونَ الخيرَ والآمِرونـــه "(١)

ى — حذف التنوين من الأسماء المنصرفة لالتقاء الساكنين ، ومثل العروضي على ذلك بقول الشاعـــر :

وحاتمُ الطائيُّ وهّابُ المـــئي .(٢)

ك — اضافة حرف إلى الكلمة في مثل مساجد ودراهم فيقال مساجيد ودراهيم ،ومثـل العروضـي على ذلك بقول الشاعـــر :

تَنْفي يداها الحصى في كلِّ هاجرةٍ نَفْيَ الدراهيمِ تَنْقَادُ الصياريـف.(٣)

وقد أسمى قدامة بن جعفر أشباه هذا بالتذنيب ،وعرفه بقوله : " أن يأتي الشاعـــر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها" .(٤)

ل — وأجاز العروضي في الشعر التقديم والتأخير بوضع الكلام في غير موضعه ،ومثـل على ذلك بقول الشاعـــر :

صَدَدْتِ فأطْوَلْتِ الصُّدودَ وقَلَّما وِصالٌ على طُولِ الصُّدودِ يَدُومُ

إذ الأصل أن يقول : وقلما يدوم وصال .(٥)

م — وأجاز المبرد تقديم المكنى على الظاهر ،ومثل عليه بقول حسان بن ثابت في رثـاء مطعم بن عدى :

فلو كان مجد يخلد اليوم واحدا من الناس ابقى مجده اليوم مخلدا

وقال : " وانما جاز هذا لان المظهر يفسر المضمر" .

ن — التصغيـــر .

مثل العروضي على التصغير بأربعة أبيات ،ثلاثة منها لثلاثة من شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين ،وهم امرؤ القيس ،وزهير ،والأعشى ،وعد التصغير في شعرهم ضرورة شعرية ولست أرى رأيه في اعتبار التصغير في قول امرئ القيس :

١— الموشح ،ص ١٤٩

٢— انظر : الموشح ،ص ١٤٩ ،مايجوز للشاعر ،ص ١٠٢ ،والبيت فيه ينشد لا مرأة عامرية أو عقيلية .

٣— انظر: المصدر نفسه ،ص ١٥٠ — ١٥١ ،مايجوز للشاعر ص ٩٧ ،والبيت فيه للفرزدق

٤— نقد الشعر ص ٢٥٠

٥— انظر : الموشح ،ص ١٥٢

٦— المصدر نفسه ،ص ٨٤ — ٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضَليعٍ اذا استدْبَرْتَه سَدَّ فَرْجَه بِضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليس بأعْزَلِ

أو في قول زهيـــر :

فأما فُوَيْقَ (١) العِقْدِ منهـــا فمن أدْمَاءَ مَرْتَعُها خَـــلاءُ

أو في قول الأعشى ،أو في قول أبي زبيد الطائي ، (٢) ضرورة ، فالتصغير خصيصة مـــن خصائص اللغة العربية . ولما كانت قواعد التصغير التي استنبطها النحاة واللغويون مـــن النصوص الشعرية تتسق مع ما ورد في أشعار هؤلاء الشعراء الأربعة ،فان اعتبار مـــا ورد في شعرهم بأنه ضرورة ،بمعنى الخروج على قواعد النحو واللغة ،لا يثبت . وهذا مـــا يفسره أيضا عدم وقوف القزاز القيرواني على التصغير في الشعر ، فلم يخصه بباب في كتابه " مايجوز للشاعر في الضرورة " ، على كثرة ما فرّع من أبواب لدراسة موضوع الضرائر .

س — الترخيم في غير النداء . ومثل العروضي على ذلك بقول امرىء القيس . (٣)

لَنِعْمَ الفتى تَعْشُو الى ضَوْءِ نارِهِ طريفُ بنُ مالِ لَيْلَـةَ الجُوعِ والخَصَرْ.

فقد رخم " مالك " فقال " مال "

ع — جواز تخفيف ياء النسب في قوافي الشعر . ومثل المبرد على ذلك بقول امـــرأة تفخر بأخوالها في اليمن :

هَوْذَةُ خالي ولَقِيطٌ وعلـــيْ . (٤)

ف — جواز جمع " فاعل " على " فواعل ، في المذكر،فقد وقف المبرد على بيـــت الفرزدق :

وإذا الرجالُ رأوْا يزيدَ رأيتَهُمْ خُضُعَ الرِّقابِ نواكِسَ الأبْصَـارِ

وقال: " وفي هذا البيت شيء يستظرفه النحويون ،وهو أنهم لا يجمعون ماكان على " فاعـــل نعتا" فواعل " لئلا يلتبس بالمؤنث . . لأنهم يقولون في جمع "ضاربة " ضوارب . . فلمـــا احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله ،فقال : نواكس الأبصار" ولا يكون مثـــل هذا أبدا إلا في ضرورة ." (٥)

---

١ — هكذا رواية البيت في الموشح ، انظر ،ص ١٥٣ ، والصحيح " فأما ما" حتى تستقيـــم موسيقى البيت ، وانظر ديوان امرىء القيس ،ص ٦٢ .

٢ — انظر : الموشح ،ص ١٥٣ .

٣ — انظر: نفسه ،ص ١٥٥

٤ — انظر: نفسه ،ص ٤١٤ وهذا البيت ينسب أيضا الى المرأة العامرية أو الحنظلية كما في : مايجوز للشاعر في الضرورة ،ص ١٠٢

٥ — الموشح ،ص ١٦٧ ،مايجوز للشاعر ،ص ١١٨ — ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ص — عدم جواز تخفيف ياء النسب في حشو الشعر ، قال بهذا المبرد ، وأخذ على أبي نواس في قولـــه :

فما ضَرّها ألا تكونَ لجَـرْولٍ ولا العزنيّ كَعْبٍ ، ولا لِزيـادِ (١)

تخفيف ياء النسب في " العزني "

هذا هو مجمل ماورد في الموشح عن موضوع الضرائر . وقد رأينا أن المرزبانـي اتكأ فيه على أحمد بن محمد العروضي ، وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد .

ويبدو من الخطة التي وضعها المرزباني في مقدمة الموشح ، أن الغاية من الوقوف على هذه القضية هي رغبة المؤلف في أن يضع بين أيدى شعراء زمانـه ، والشعـــراء التالين لهم ، مادة الضرائر الشعريـة ، فتكون السبيل أمامهم واضحة ، فيعدلـــون عن القبيح منها ، إذ رأى أن " جماعة من شعراء الاسلام ومن تبعهم في أشعارهم عدولهم عما أنكر على من تقدمهم من هذه العيوب ." (٢) فندب نفسه لهذه الغايـة ليبصر الشعراء من أهل عصره ، ومن بعدهم (٣) بمواطن العيب ليجتنبوهـا .

وهكذا عكس الموشح محاولات بعض العلماء في وضع ضوابط عامة للشعـــراء في هذه القضيـــة .

---

١ — انظر : الموشح ، ص ٤١٤ . (وجرول هو الحطيئة ، والعزني كعب : هو كعب ابن زهير بن أبي سلمى ، وزياد هو النابغة الذبياني .)

٢ — الموشح ص ٢ .

٣ — المصدر نفسه ، ص ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢— الضرائـــر غير الجائـــزة

أورد المرزباني فيما نقله من أحمد بن محمد العروضي عددا من الضرائر غيـــر الجائزة ،وأشهرها ما يلـــي :

أ— ترك صرف مالا ينصرف ،لأنه يخرج الشيء عن أصله ، وقد أجازه الأخفش الأكبر ،ومن أمثلته قول العباس بن مرداس السلمي :

فما كان حِصْنٌ ولا حابِـسٌ ... يفوقان مِرْدَاسَ في مَجْمَـعِ

وعلق العروضي على هذا الشاهد بقوله : " ترك صرف مرداس ، وهو اسم منصرف وهذا قبيح ، ولا يجوز ولا يقاس عليه ،لأنه لحن . . "(١)

ب— مد المقصور ، وهو غير جائز ، لأنه خروج عن الأصل ،ومثل العروضي عليه بقول الشاعـــر :

سيُغْنيني الذي أغناكَ عنّي ... فلا فَقْـرٌ يدوم ولا غِنـــاءُ

وقال العروضي : إذا أراد الشاعر الذي يضطر إلى مثل هذه الضرورة أن يخـــرج من هذا العيب ، فان عليه أن يغير أوله ويوجهه إلى مايجوز ، فيقول الغناء بفتح الغين ، لأن معنى الغنى والغناء واحد .(٢)

جـ— حذف الإعراب ، وهو غير حسن ،أنشد سيبويـــه :

فاليومَ أَشْربْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إثْمًا من الله ولا واغِـــلِ

واحتج قوم لامرئ القيس فقالوا : إن رواية البيت : فاليومَ فاشـــربْ .(٣)

د — قطع ألف الوصل ، وهو غير حسن كذلك ،ومن ذلك قول جميل بن معمر :(٤)

ألا لا أرى إثْنين أحسَنَ شيمـةً

١— الموشح ،ص ١٤٤ ، مايجوز للشاعر ،ص ٨٤ ،الضرائر ،ص ١٣٤ .
٢— انظر : الموشح ،ص ١٤٥
٣— انظر : الموشح ،ص ١٥٠ ، مايجوز للشاعر ،ص ١٠٥ ، الضرائر ،ص ١٢٥ .
٤— انظر : الموشح ،ص ١٥٠ ، والضرائر ،ص ٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) — الأخطاء التي لم يرخص فيها للشعراء

أكثر الشعراء الذين رصدت أخطاؤهم ومخالفاتهم قواعد النحو هم شعراء العصرين الأموى والعباسي . ومع ذلك فقد لوحظ أن بعض الشعراء الجاهليين كان يسيء ، وفي ذلك يقول المرزباني فيما رواه عن إبراهيم بن شهاب عن الفضل بن الحباب ، عن ابن سلام : " كان ابن أبي اسحاق ، وعيسى بن عمر يطعنان عليهم ، كان عيسى يقول : أساء النابغة في قولـــه :

فبتُّ كأني ساورتْنـي ضَئيلـةٌ من الرُّقْشِ في أنيابِها السُّمَّ ناقِـعُ

ويقول : موضعه ناقعا ."(١)

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الأموى ، لاحظنا أن ابن أبي اسحاق كان يقف للفـرزدق بالمرصاد فيحصي عليه أخطاءه ، من ذلك أنه لما سمع الفرزدق ينشد مدحته في يزيد بـــن عبد الملك ، والتي منها قوله :

مُسْتقْبلين شمالَ الشامِ تَضْربُهُمْ بِحاصِبٍ كَنديفِ القُطْنِ مَنْثُـورِ
على عمائِنِا تُلْقَىٰ وأرْحُلِنـــا على زواحِفَ تُزْجـى مُخُّهارِيرِ

قال له : " أسأت ، إنما هو ريرُ ، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع ."(٢)

ومع أن يونس بن حبيب قال في هذا البيت : " والذى قال الفرزدق — جائـــز حسن "(٣) إلا أن الفرزدق اضطر تحت إلحاح النقاد الساخرين منه إلى تغييره فقـــال : على زواحف تُزْجيها محاسيـر ".

ويبدو أن علماء النحو المتشددين لم يكونوا يتسامحون أبدا مع أى مظهر من مظاهر اللحن حتى لو كان ذلك زلة لسان . إذ لما كان إنشاد الشاعر شعره هو وسيلة توصيـــل ذلك الشعر إلى المتلقين ، فإن زلة اللسان كانت تحتسب مأخذا يشهر بصاحبها . ومـــن الأمثلة التي توضح ذلك أن الفرزدق أنشد مرة قوله :

فياعجبا حتى كُلَيْبٍ تَسُبُّنـي كأن أباها نَهْشَلٌ ومُجاشِـــعُ

---

١ — الموشح ، ص ٥٠ ، طبقات ابن سلام ، جـ١ ، ص ١٦ ، رقم ٢١

٢ — الموشح ، ص ١٥٦ ، طبقات ابن سلام ، جـ١ ، ص ١٧ ، رقم ٢٢ (والرير المخ الرقيق ، كما فسره الفضل بن الحباب ، ص ١٥٧ ، من الموشح) .

٣ — الموشح ، ص ١٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قيل له : لحنت إذ جعلت " حتى " غاية فخفضت ،[١] إشارة الى أن سياق المعنى يقتضي أن تكون " حتى " ابتدائية ، وتكون " كليبٌ " بالرفع .

وفي العصر العباسي كان أكثر من وسم بميسم اللحن هو أبو نواس ، وفيه يقول المبرد : " كان أبو نواس لحّانة "[٢] وعاب الصولي قوله في مدح الأمين :

يا خَيْرَ مَنْ كان ومَنْ يكونُ إلا النبيَّ الطاهرُ الميمونُ

فقال : " ولَعمْري إن حق الكلام النصب ، إلا النبيَّ الطاهرَ الميمونا ، وقول النحويين في ذلك هو الصواب ." كما عاب قول أبي نواس :

رَشَأٌ تَواصَيْنَ القيانُ به "

لأنه جعل للفعل الواحد فاعليـــن .

لكل ذلك نشبت خصومة حادة بين علماء النحو والشعراء الذين رفضوا التسليم بكـــل ما كان يؤخذ عليهم من أخطاء .

وكان الشعراء الأمويون على وجه الخصوص أكثر الشعراء رفضا لما يؤخذ عليهم من تلك الأخطاء . ولعل ذلك راجع إلى تصورهم أنهم لا يقلّون علما ودراية عن علماء اللغة والنحو .

أما الشعراء العباسيون فكانوا أكثر تسليما بما يؤخذ عليهم ، نستثني منهم شاعريـــن اثنين عرف عنهما سعة العلم بأساليب العرب الفصحاء ، وهما بشار وأبو نواس ، والمقتطفات التالية توضح ذلك وتجليه :

(١) عاب ابن أبي إسحاق قول الفرزدق :

وعضُّ زمانٍ يابْنَ مروانَ لم يَدَعْ من المالِ إلا مُسْحَتًا أو مُجَلَّفُ

لأنه رفع " مجلف " وحقها النصب ، فقال الفرزدق : رفعتها على ما يسوؤك .[٥] واحتج أبو عمرو بن العلاء لقول الفرزدق فقال : " هو جائز على المعنى ." [٦]

(٢) وتكرر هذا الموقف من الفرزدق عند ما عاب عنبسة بن معدان قوله :

تُريك نجومَ الليلِ والشمسُ حَيَّةً زِحامُ بناتِ الحارثِ بن عبّادِ

١ــ انظر : الموشح ، ص ١٦١
٢ــ المصدر نفسه ، ص ٤١٤
٣ــ المصدر نفسه ، ص ٤٢٠
٤ــ المصدر نفسه ، ص ٤٢٠
٥ــ المصدر نفسه ، ص ١٦١
٦ــ المصدر نفسه ، ص ١٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ قال عنبسة : " الزحام مذكر " فقال له الفرزدق : أغرب " وسوّى عبد الله بن أبي إسحاق بين الموقفين ، فقال : " والزحام له وجهان : أن يكون مصدرا مثل الطعان ، والقتال ، من قولهم : زاحمته زحاما ، فهذا مذكر ، كما قال عنبسة . أو يكون جمعا للزحمة يراد بها الجماعة المزدحمة فهذا مؤنث ، لأن الزحام هو المزاحمة كما أن الطعان هو المطاعنة ، وقول عنبسة أقوى وأعرف في الكلام ."(١)

وترجيح رأي عنبسة نابع ، في أغلب الظن ، من تعصب عالم لعالم .

(٣) ووقف كثير بن عبد الرحمن مثل موقف الفرزدق من منتقدي شعره ، فقد روى أنه أنشد عبد العزيز بن مروان ، فكان مما قاله فيه :

لا أنْزُرُ النائلَ الخليلَ إذا ما اعتلّ نَزْرُ الطُّؤُورِ(٢) لم تَرِمِ

فقال له بعض الجلساء : " لحنت إنما هي ترأم " فقال كثير : " أسكت هكذا كلام قوي ."(٣)

أما الشعراء العباسيون فقد تمرد منهما شاعران هما بشار ، وأبو نواس .

(٤) أما أبو نواس فقد تمرد في موضعين :

الأول : لما عيب قوله :

كَمُنَ الشَّنآنُ فيه لنا ككُمُونِ النار في حَجَرِهْ

لأنه " إنما ينبغي أن يقول في حجرها ."(٤) قال أبو نواس محتجا لقوله : " رددت التذكير إلى النور ، ومثل هذا في أشعارهم كثير إن دققته ."(٥) ويروي ابن أبي طاهر عن الكسائي أنه قال : " إنما أراد حجرها فغلط"(٦)

(٥) الثاني : مارواه محمد بن العباس عن المبرد أن أبا نواس لما قال في قصيدته التي منها :

كُمَيْتًا تَخطّاها الزمانُ فقد أَتَتْ سنونَ لها في دَنِّها وسِنونُ(٧)

١ــ الموشح ص ١٦٥ ــ ١٦٦ ،
٢ــ هكذا في الموشح ، ص ٢٣٢ ، والصحيح : الطؤور ، انظر اللسان ، مادة نزر ، وفي الديوان ، ص ٢٧٤ (لا أنزر النائل الخليل : لا ألح عليه بالمسألة . . . . الطؤور : العاطفة على أولادها . . يعني إذا ألح على الطؤور بالحلب لم تعد ترأم على أولادها ، ضربه مثلا لسوء الإلحاح ، والاستقصاء في الطلب .)
٣ــ الموشح ، ص ٢٣٢
٤ــ نفسه ، ص ٤٢٢
٥ــ نفسه ص ٤٣١
٦ــ نفسه ص ٤٣١
٧ــ نفسه ، ص ٤٣٢ ، ما يجوز للشاعر ، ص ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ قال عنبسة : " الزحام مذكر " فقال له الفرزدق : أغرب " وسوّى عبد الله بن أبي إسحاق بين الموقفين ، فقال : " والزحام له وجهان : أن يكون مصدرا مثل الطعان ، والقتال ، من قولهم : زاحمته زحاما ، فهذا مذكر ، كما قال عنبسة . أو يكون جمعا للزحمة يراد بها الجماعة المزدحمة فهذا مؤنث ، لأن الزحام هو المزاحمة كما أن الطعان هو المطاعنة ، وقول عنبسة أقوى وأعرف في الكلام ."(١)

وترجيح رأى عنبسة نابع ، في أغلب الظن ، من تعصب عالم لعالم .

(٣) ووقف كثير بن عبد الرحمن مثل موقف الفرزدق من منتقدى شعره ، فقد روى أنه أنشد عبد العزيز بن مروان ، فكان مما قاله فيه :

لا أنْزُرُ النائلَ الخليلَ إذا ما اعتلّ نَزْرُ الطُّؤُورِ(٢) لم تَـرَمِ

فقال له بعض الجلساء : " لحنت إنما هي ترأم " فقال كثير : " أسكت هكذا كلام قوى ."(٣)

أما الشعراء العباسيون فقد تمرد منهما شاعران هما بشار ، وأبو نواس .

(٤) أما أبو نواس فقد تمرد في موضعين :

الأول : لما عيب قوله :

كَمُنَ الشَّنآنُ فيه لنا ككُمُونِ النار في حَجَرِهْ

لأنه " إنما ينبغي أن يقول في حجرها ."(٤) قال أبو نواس محتجا لقوله : " ردت التذكير إلى النور ، ومثل هذا في أشعارهم كثير إن دققته ."(٥) ويروي ابن أبي طاهر عن الكسائي أنه قال : " إنما أراد حجرها فغلط"(٦)

(٥) الثاني : مارواه محمد بن العباس عن المبرد أن أبا نواس لما قال في قصيدته التي منها :

كُمَيْتًا تخطّاها الزمانُ فقد أتَتْ سنونَ لها في دَنِّها وسِنونُ(٧)

---

١ — الموشح ص ١٦٥ — ١٦٦ ،

٢ — هكذا في الموشح ، ص ٢٣٢ ، والصحيح : الطؤور ، انظر اللسان ، مادة نزر ، وفي الديوان ، ص ٢٧٤ (لا أنزر النائل الخليل : لا ألح عليه بالمسألة . . . . الطؤور : العاطفة على أولادها . . يعني إذا ألح على الطؤور بالحلب لم تعد ترأم على أولادها ، يريد مثلا لسرة الإلحاح ، والاستقصاء في الطلب .)

٣ — الموشح ، ص ٢٣٢

٤ — نفسه ، ص ٤٢٢

٥ — نفسه ص ٤٣١

٦ — نفسه ص ٤٣١

٧ — نفسه ، ص ٤٣٢ ، مايجوز للشاعر ، ص ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال له السُّدْري : " لحنتَ فأجريْتَ نون الجمع ، وهي منصوبة ،وبهذا لا يحسن بمثلك من أهل العلم . فقال " أبو نواس " : إن القوافي تحتمل هذا ،ومثله كثير ، أما سمعت قول سُحَيْم بن وُثَيْل الرياحـي :

وماذا تبتغي الشعراءُ مني وقد جاوزْتُ حَدَّ الأربعين .(١)

(٦) وأما بشار بن برد فقد بلغه أن الأخفش الأوسط يطعن عليه قوله :

والآن أقْصَرَ عن سُمَيّةَ باطلـي وأشارَ بالوَجَلِ عليّ مُشيـرُ(٢)

وقولـه :

على الفَزَلى(٣) مني السلامُ فربمـا لَهُوْتُ بها في ظلّ مُخْضَرّةٍ زُهْرِ

قال الأخفش : " لم يسمع من الوجل والفزل فَعَلى ،وإنما قاسهما بشار ،وليس هـذا مما يقاس ، وإنما يعمل فيه بالسماع ."(٤)

(٧) كما طعن الأخفش على بشار قولـه :

تُلاعِبُ نِيْنانُ البُحـورِ وربّمـا رأيتُ نفوسَ القوم من جَرْيِها تجري

قال الأخفش كذلك : " لم يسمع بنون ونينان ."(٥)

فثارت ثائرة بشار ،فقال : " ويلي على القصار ابن القصارين ،متى كانت اللغة والفصاحة في بيوت القصارين ؟ دعوني وإياه ."(٦)

وأمثال هذه الأخبار التي أوردها المرزباني في الموشح تجلي صورة النـزاع الطبيعي بين الشعراء وعلماء اللغة والنحو ، وخاصة هذه الأخبار التي وردت عـن أبي نواس وبشار ، فلم يرفض علماء اللغة والنحو عن أبي نواس ، مع أنه اتكأ فيما ذهب إليه ، على ماورد في أشعار شعراء عصور الاحتجاج . ولم يرفض أولئك العلماء عـن بشار ، مع أنه اتكأ في صياغته على القياس الذي رآه يجيز له توليداتـه في أبنية اللغة .

والرأي الراجح في هذه القضية ــ كما نتصوره ــ هو قولنا : إن اللغة مـلك الناطقين الحاذقين بها ،فلهم أن يولدوا فيها ،وأن يطوروا في قدراتها على الاشتقاق

١ــ الموشح ،ص ٤٣٢

٢ــ الوجلى بمعنى التقوى ، أي نصحني ناصح بالخوف من الله . / حاشية الموشح ، ص ٣٨٤ .

٣ــ الفزلى اسم بمعنى الفزل وهو كناية عن الإقلاع عن الفزل . /حاشية الموشح ص٣٨٥

٤ــ الموشح ،ص ٣٨٥

٥ــ نفسه

٦ــ نفسه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنحت . ولو أخذ برأى اللغويين المتعصبين ،لكتب على اللغة الموت .

والمثير للغرابة ،بعد هذا في مواقف اللغويين والنحاة التي يعكسها "الموشح" ما نجده لدى بعض هؤلاء العلماء من محاولات لتسويغ أخطاء بعض شعراء عصور الاحتجاج ، واحتيالهم لها . من ذلك أنه لما قال إبراهيم بن هرمة في رثاء الحكم بن المطلب المخزومي :

ماذا يعِيبَ لو تُنْبِشْ مقابرُهـا من التهدُّم بالمعروف والكَرَمِ

قال ابن دريد : " فسألت أبا حاتم عن قوله : لو تنبش لم جزم ؟ فقال : قال قوم من النحويين : كراهة ،لكثرة الحركات ،كما قال الآخر :

إذا اعْوَجَجْنَ قُلتُ صاحبُ قَوِّمْ بالدَّوِّ أمثالَ السفينِ العُوَّمِ (١)

قال : ولو قال : نبشت مقابرها ، استراح من "تنبش" وكان كلاما فصيحا ." (٢)

فهذا التأويل ضرب من التعصب لشاعر من شعراء عصور الاحتجاج ،وفي أغلب الظن أنه لو كان شاعرا عباسيا (٣) لما وجد من يتأول له قوله . في حين أن الذى فعله بشار قبل، يتسق مع صيغ قياسية مألوفة .

ومع ذلك ،فإن بعض علماء اللغة والنحو ممن اتصف بموضوعية النظرة ،لم يكن يبالي بذم الشعر المعيب كائنًا من كان صاحبه ، ومن أمثلة ذلك أن الأصمعي لما سئل عن قول العجاج :

غَيْرَ ثلاثٍ في المَحَلِّ صُيَّمِ

قال : "حدثني عيسى بن عمر ، قال : سألت رؤبة عن هذا ،فقال : تيه به في العتيهين . هو صوّم ." (٤)

وعلى أية حال ،فان هذه الخصومة بين الشعراء وعلماء اللغة والنحو ، كانت ذات نفع ،لأن عدم تسامح النحويين واللغويين مع الشعراء ، حافظ على نقاء اللغة

١ــ الموشح ،ص ٣٥١ ،مايجوز للشاعر ،ص ١٠٥

٢ــ الموشح ص ٣٥١

٣ــ المعروف أن ابراهيم بن هرمة هو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم على قضايا اللغة والنحو .

٤ــ نفسه ،ص ٣٤١ ،وانظر مثالا آخر ،ص ٣٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصفائها ، وذلك بهذه المعالم البارزة التي وضعت لهم على الطريق ، فأدرك الشعراء أن هناك من يتعقبهم ، ومن يحصي عليهم أخطاءهم ، فحرصوا ، أو حرص معظمهم على سلامة أدائهم .

كما أن عدم انصياع الشعراء لمطالب اللغويين والنحاة كلها ، قد فسح المجال أمام محاولات التطوير في بنية اللغة وأساليبها .

ولا بد من الإشارة ، في ختام هذا الحديث عن ظاهرة اللحن ، إلى قضيتين أخيرتين :

الأولى أن بعض الخلفاء شاركوا علماء النحو في توجيه النقد إلى الشعراء الذين يلحنون ، فقد ذكر المبرد أن العماني الراجز أنشد الرشيد أرجوزته في وصف فرس ، قال فيها :

كأنَّ أُذْنَيْه إذا تَشَوَّفا قادمةً أو قلمًا مُحرَّفا

فقال له الرشيد : " قل : تخال ، حتى يستوي الإعراب . "(١) إشارة إلى خطأ الشاعر في نصب خبر كأن ".

الثانية أن ظاهرة اللحن أخذت تستشري في بعض أشعار المتأخرين من شعراء دولة بني العباس ، وخير ما يمثل ذلك أبيات أحمد بن العدبر التي وقّعها في ظهر رقعة ، أرسلها إلى ديك الجن ، وفيها يقول :

ماعندنا شيءٌ فنعطيَه ولا يَفِيْ بالشُّكْرِ شُكْرِيه
فإنْ رَضِيْ بالشِّعْرِ عن شعره عارضْتُ في حُسْنِ قوافيه
وإنْ يكن تُقْنِعُهُ دعوةٌ دعوتُ ربي أنْ يُعافيه
وان رضيْ ميْسورَ ما عندنا أَمَرْتُ نُجْحًا أن يفديه

وعلق الصولي على هذه الأبيات بقوله ، مظهرا استهجانه لما فيها من خلل نحوي بيّن ، وكثير : " هذه الأبيات مضطربة الإعراب في تركه فتح الفعل الماضي ، وإن الحق في جواب الجحد : " ما عندنا فنعطيَه ، وكذلك أن يعافيَه ، وأن يفدّيَه . "(٢)

---

١ — الموشح ، ص ٤٥٦

٢ — نفسه ، ص ٥٣٣ — ٥٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجب ألا يحمل استنتاجنا هذا على التعميم ،لأن شعراء عباسيين في القرنين الثاني والثالث كانوا قد لحنوا كثيرا ، وقد مر بنا نعت المبرد أبا نواس بأنه لحانة ، وهو من شعراء القرن الثاني الهجرى . وشبيه بهذا ما قيل في شعر البحترى ،وهو من شعراء القرن الثالث الهجرى ، فقد قيل فيه : " لو تتبع اللحن في شعره لوجد أكثر من هذا "(١) وذلك في أعقاب الوقوف على لحنه في الأبيات الثلاثة التالية :

الأول قولـــه :

ياعليا(٢) ياأبا الحَسَنِ المـا لكَ رقّ الظريفةِ الحسنـاءِ

والثاني قولـــه :

ياسادِحَ الفتْحِ ويا آمِلَـــه لسْتَ امْرَءًا خَابَ ولا مُثْنٍ كَذَبْ

والثالث قولـــه :

ولو انْصَفَ الحُسَّادُ يومًا تأمّلُوا مساعيكَ هَلْ كانت بغيرك أُلْيَقا (٣)

حيث نصب المنادى العلم في الأول ،ولم ينصب " مثن " المعطوف على منصوب في الثاني ، وسكن الياء في " مساعيك " وحقها النصب .

وظاهرة كثرة اللحن في شعر البحترى ،دفعت أحمد بن أبي طاهر إلى هجائه فقـــال : (٤)

فلما تَصَفَّحْتُ أشعـــارَه إذا هُوَ في شِعْرِه قَد خـرى

ففي بعضها لاحِنٌ جاهِلٌ وفي بعضها سارقٌ مُفْتَـــرِ

ولسنا نذهب إلى ماذهب اليه أحمد بن أبي طاهر ،فليس حقا قوله أن شعر البحترى قسمان : قسم ملحون ،وقسم مسروق . ولكنه قول يظل مؤشرا دالا على مبلغ مافي شعر البحترى من سرقات ولحن .

١ــ الموشح ،ص ٥١١

٢ــ هكذا رواية البيت في الموشح ،وقال المحقق :" والرواية في الديوان : ياعليّ ،وعلى رواية الديوان لا يكون لحن " ص ٥١١ ، وهذا قول مردود ،لأن اللحن يظـــل قائما ، إذ يظل المنادى العلم منونا بتنوين الضم ،مع أن المنادى العلم يكـــون مبنيا على الضم ،وانظر ما قاله محقق ديوان البحترى في رواية هذا البيـــــت جـ ١ ،ص ٢٥ .

٣ــ انظر هذه الأبيات الثلاثة في : الموشح ،ص ٥١١

٤ــ نفسه ،ص ٥١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ / أثر الاقليم والوسط الاجتماعي في لغة الشعر .

ترد في الموشح جملة أخبار تبرز أثر الاقليم في لغة الشعر . ولعل هذه الأخبار وأخرى غيرها ، في الموشح ، وغير الموشح من كتب النقد والتراجم ، هي التي أوحت[١] إلى الثعالبي بفكرة أثر إقليمي الشام والعراق في لغة شعراء هذين الإقليمين .[٢]

ويعكس الموشح آراء بعض علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين عن تأثير الإقليم في لغة الشعر .

وأول تلك الآراء هو قول ابن سلام في لغة شعر عدى بن زيد : " وكان عدى يسكن الحيرة ، ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه "[٣] فبيئة الحواضر هي التي رققت لغة شعر عدى . وهذا الرأى على جلالته جيء به للطعن في عدى ، وأن لغته لا تصح شاهدا على قواعد اللغة ، ويفسر هذا الاتجاه قول الأصمعي : "عدى بن زيد ، وأبو دواد الإيادى لا تُروَى أشعارُهما ، لأن ألفاظهما ليست بنجدية "[٤] كما أن إقامة عدى في الحيرة كانت قد أتاحت له فرصة مجالسة الوفود القادمة على الملوك " فكان . . . يسمع لغاتهم ، ويدخلها في شعره "[٥] فنأت لغته عن الفصاحة والجزالة التي تروق رواة الشعر ، فعزفوا عنه .

وفي رأينا أن عدى بن زيد وأضرابه من شعراء القرى الذين اتهموا بسهولة منطقهم كانوا صادقين مع أنفسهم ، فلا يعقل أن ينتحل الحضرى لغة البدوى ، لأنه لو فعل كان متكلفا ،

ولكن ذوق الشعراء الصادق لا يرضي أذواق علماء اللغة ، ورواة الشعر المتعصبين لأنماط التعبير المروية المألوفة .

فابن سلام يروي أن أبا النجم العجلي خرج ذات يوم ثملا من عند صديق له يدعى

١ــ انظر في ذلك مثلا : طبقات ابن سلام ، جـ١ ، ص ١٤٠ ، الوساطة ، ص ١٨ ــ ١٩ ، الأغاني ، جـ٢ ، ص ٩٧ ، الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص ١٥٠ ، ١٥٤ .

٢ــ اليتيمة ، جـ١ ، ص ١٢ ــ ١٤

٣ــ الموشح ، ص ١٠٣ ، طبقات ابن سلام ، جـ١ ، ص ١٤٠

٤ــ الموشح ، ص ١٠٤ ، وانظر فحولة الشعراء ، ص ١١ ــ ٢٢

٥ــ الموشح ، ص ١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زيادا ، وهو يقول :

أَخْرَجَ من عند زيادٍ كالخَـرِفْ تَخُطُّ رِجْلايَ بِخطٍّ مُخْتَلِفْ

كأنما تُكَتِّبان لام الـف .

قال الصولي : قيل في عيبه : " لولا أنه يكتب ما عرف صورة لام الف ، وعناقها لها ."(١)

وشبيه بهذا ماروا ه ابن سلام أيضا عن تشبيه ذى الرمة عين ناقته بتد وير حـــرف الميـم ."(٢)

وفي رأينا أن إنكار هذين التشبيهين فيه تعسف ، لأن من حق الشاعر أن تكون في شعره صور تبرز أثر ثقافته فيه ، وما دام هذا الأثـر قد أبرز في شكل فني جميـل ، فهو مقبول مستحب . وهذا ما نقع عليه في شعر هذين الشاعرين ، فأبو النجم العجلي قد أجاد في تشخيص حاله ، وقد خرج سكران ، تتعثر خطاه ، وتضطرب قدماه وتتزاوجان تزاوج اللام بالألف . وعين ناقة ذى الرمة غارت لأنها ناقة متعبة مكدورة ضامرة ، وغـدت عينها شبيهـة بدارة الميم لتد ويرها وغؤورها .(٣)

وعلى أية حال ، فإن ماورد في الموشح من أخبار ذات مساس بأثر البيئة ، إنمـا يعكس لونا من ألوان الصراع بين رواة الشعر وعلماء اللغة الذين يرفضون الكثيـر من مظاهر التطوير في اللغة ، وفي الأسلوب ، وبين الشعراء الذين يرون أن من حقهـم أن يحدثوا في أساليب التعبير ، وفي بنية اللغة تغييرات من شأنها أن تحطم بعـض القواعد الجامدة التي تكبل الفن والفنانين .

وعلى هذا القياس نفسه يمكننا أن نفهم قول ذى الرمة مؤنثا لفظه " زوجـــة "

أذا زَوْجةٍ بالمِصْرِ أم ذا خُصُومةٍ أراكَ لها بالبَصْرةِ العامَ ثاويا (٤)

كما يمكننا أن نفهم قول الأصمعي في هذا البيت : " ماأقل ما تقول العرب الفصحـاء فلانة زوجة فلان ، إنما يقولون : زوج فلان ." فذو الرمة شاعر يطلب التحرر ، مادام هذا التحرر غير مخل ، وقد أقرتـه الأجيال فيما ذهب اليه ، وشاع القول : فلانة زوجة فلان ،

---

١ — الموشح ، ص ٢٧٤

٢ — نفسه ، ص ٢٧٤ — ٢٨٠

٣ — انظر : نفسه ، ص ٢٨٠

٤ — نفسه ، ٢٨٤ ، ورواية البيت في الديوان : أذو . . . أم ذو . . .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأصمعي لغوي لا يقر بالخروج على طريقة العرب الفصحاء ،ولذلك قال في ذي الرمة " قد أكل البقل والعلوج في حوانيت البقالين حتى بشم ."[١] إشارة واضحة إلى بعد ذي الرمة عن مواطن العرب الفصحاء ، واشارة كذلك في بيان أثر البيئة في لغة الشعر.

لقد حكّم الأصمعي قانونه اللغوي في شعر الشعراء ،وهم عنده فريقان : شعراء بواد ملازمون للبادية ، وهؤلاء عنده حجة . وشعراء قرى ،أو شعراء بواد غير مقيمين في البادية . بل كانوا يختلفون كثيرا الى الحواضر ، وهم غير حجة عنده . ومن أسماهم الأصمعي من شعراء الفريق الثاني : عدي بن زيد ،والكميت ،والطرماح ،وذو الرمة .[٢]

وهذا الذي ذهب إليه الأصمعي ،كان قد سبقه إليه أبو عمرو بن العلاء ، جاء في الموشح عنه أنه كان يقول عن الطرماح : رأيته بالكوفة " وهو يكتب ألفاظ النبيط ، ويتعلمها ليدخلها في شعره."[٣] ولعل شيئا من الحق كان مع أبي عمرو بن العلاء والأصمعي في عدم رضاهما عن بعض شعراء البوادي الوافدين على المدن ، إذ أبصرا الكميت والطرماح " يقولان ما قد سمعاه ولا يفهمانه ."[٤] وأنهما كانا يسألان رؤبة عن الغريب ،فإذا هو بعد حين في أشعارهما قلقا غير مستقيم .[٥] وحرص الكميت والطرماح على إيراد الغريب في أشعارهما كان لإرضاء أذواق علماء اللغة ،ولكنه إرضاء على حساب الفن .

أما أكثر شاعر عباسي ظهر أثر بيئته الخاصة في شعره حسب رأي بعض النقاد — فهو أبو العتاهية ،إذ عزا أحمد بن عبيد الله بن عمار كثرة السفساف في شعر أبي العتاهية إلى كونه من سوقة الناس وعامتهم ، ولإلفته أهل التوضع ،[٧] وهذا رأي أقرب إلى التحامل منه إلى الموضوعية .

---

١ — الموشح ،ص ٢٨٤
٢ — نفسه ،ص ١٠٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٢٦ — ٣٢٧
٣ — نفسه ،ص ٣٢٥
٤ — نفسه ص ٣٢٧
٥ — نفسه ،ص ٣٢٥
٦ — نفسه ،ص ٣٢٧
٧ — نفسه ،ص ٤٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د ـ الألفاظ الأعجمية في الشعـــر

يصور الموشح أيضا مواقف بعض النقاد واللغويين من ورود ألفاظ أعجمية في الشعر. واعتبر نقاد الشعر استخدام الشاعر الألفاظ الأعجمية مظهرا من مظاهر العيب ، فعاب ابن المعتز على الأعشى " استعماله الألفاظ الأعجمية في شعره "[١] ولكنه لم يورد منها شيئا ،أو لعله أورد في كتابه الضائع[٢] شيئا من ذلك ، ولكن العرزباني الذى نقل قـــول ابن المعتز لم يورد شيئا من شعر الأعشى الذى يتضمن ألفاظا أعجمية .

وبمثـل هذا أيضا عيب الطرماح ،فقد رآه أبو عمرو بن العلاء بسواد الكوفـــة ، وهو يكتب ألفاظ النبيط ،ويتعلمها ليدخلها في شعره .[٣]

هـ ـ الألفاظ الحوشية والسوقيـــة

ترد في الموشح مواقف أربعة نقاد من الألفاظ الحوشية . وأولئك النقاد هـــم: أبو عبد الله هارون بن علي المنجم ، وعبد الله بن المعتز ، وأبو العتاهية ،وقدامة بـــن جعفـــر .

أما هارون بن علي فقد فصل في النزاع بين أحمد بن أبي طاهر وأبي الحسن علـي ابن يحيى المنجم ، اللذين اختلفا في شعر امرىء القيس . فبينما كان أحمد بن أبي طاهر يرى أن شعر امرىء القيس متمايز ،وأن فيه ما يفضل بعضه بعضه الآخر، كـــان علي المنجم يرى أن شعر امرىء القيس مختار كله ، وكان في مجلس المذاكرة أبو عبد الله هارون بن علي فقال لأبيه أبي الحسن: " قد صدقت ياسيدى في وصف شعر امرىء القيس ولكن فيه ما يفضل بعضه بعضا ،وإلا فقوله :

ياهِنْدُ لا تنكحي بُوْهَـــةً عليه عقيقتُـه أحْسَبَـــا

" الأبيات " . . أهو مما يختار ويوصف بهذه الأوصاف ،مع مافي هذه الأبيات من حوشي

١ـ الموشح ،ص ٧٦

٢ـ اشارة الى كتاب ابن المعتز في سرقات الشعراء .

٣ـ الموشح ،ص ٣٢٤ ،وانظر أيضا ،ص ٣٢٥ من المصدر نفسه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلام ، وجساءة الألفاظ ، وخلوها من كثير من الفائدة .[١]

وتمام الخبر أن أبا الحسن أمسك ،[٢] إقرارا منه بصحة وجهة النظر التي ذهب إليها ابنه هارون ، ودعمت موقف أحمد بن أبي طاهر من شعر امرئ القيس .

أما ابن المعتز فقد ظهر نقده الألفاظ الغريبة الحوشية في موطنين من الموشح ، انتقد في الأول منهما زهير بن أبي سلمى ، واستهجن اطراء بعض النقاد له ، وتقديمهم إياه على الشعراء ، لأنهم رأوه أشد الشعراء اجتنابا لحوشي الكلام ، ومع ذلك لم يخل شعره من الألفاظ الغريبة الحوشية . يقول ابن المعتز : " حكي عن ابن سلام — أو غيره — أنه قال : مما قدم به زهير على الشعراء أنه كان أبعدهم من سخف ، وأشدهم اجتنابا لحوشي الكلام ، فأى شيء نصنع بقوله :

ولولا عُسْبُه لَرَدَدْتُمُوه وشَرٌّ منيحةٍ (. . .) معار[٣]

وأما حوشي الكلام فقوله :

فلستُ بمِثْلُوجٍ ولا بِمُعَلْهَجِ[٤]

يريد الدعي ، وقيل : المثلوج : البعيد ، والمعلهج : الأحمق .

وقوله :

بنكهة ذى قربى ولا بحقلدِ[٥]

والحقلّد : السيئ الخلق ، قال : وقيل القصير الجبان .[٦]

والثاني : ما أورده ابن المعتز في رسالته التي نبه فيها على محاسن أبي تمام ومساويه ، حيث وقف على مجموعة من أبيات الشعر لأبي تمام جاءت مثقلة بالألفاظ الغريبة ، ومن هذه الأبيات قول أبي تمام :

كان في الأجْفَلى وفي النَّقرى عُرْ فُكَ نَضْرَ العُمومِ نَضْرِ الوِحَادِ

---

١ — الموشح ، ص ٤٣ — ٤٤ (البوهة : طائر يشبه البومة ، والعقيقة : الشعر) نفسه ، ص ٤٤
٢ — انظر نفسه ، ص ٤٤
٣ — العسب : النكاح . المنيحة : العارية . معار : من العارية ، ديوان زهير ، ص ٣٠١
٤ — صدره كما في ديوان زهير : وإني لطلاب الرجال مطلّب ، ص ٢٣٤
٥ — صدره في الديوان : تقي نقي لم يكثر غنيمة ، ص ٢٣٤
٦ — الموشح ، ص ٥٦ — ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلق ابن المعتز على هذا البيت بقوله : " يقال : دعاهم الأجفلى : إذا دعاهم كلهم فأجفلوا ، ويقال : دعاهم النقرى : اذا دعاهم واحدا واحدا . وهذا من الكلام البغيض المستكره البدوى ، فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب ."(١)

كما قال ابن المعتز في الرسالة نفسها في موضع آخر : " ومن استعماله الغريب الذى كان يستبشع مثله من العجاج وروبة قوله ، وهو يصف ظبية :

تَقْرو بأَسْفَلِهِ رَبُولًا غَضَّةً وتَقِيلُ أَعْلَاهُ كُناسًا فَوْلَفَا

أراد ملتفا ، ويقال : الانسان يقرو الأرض إذا سار فيها ينظر حالها وأمرها . والربول : جمع ربل ، وهو نبات يصيبه برد الليل وندا ه فينبت بالمطر . والكناس : مولج للوحش من البقر والظباء تستظل فيه ."(٢)

وقال أيضا في أعقاب وقوفه على مجموعة أخرى من الأبيات المستكرهة الألفاظ : " ولم نعب من هذه الألفاظ شيئا غير أنها من الغريب المصدود عنه ، وليس يحسن من المحدثين استعمالها ، لأنها لا تجاور بأمثالها ، ولا تتبع أشكالها ، فكأنها تشكو الغربة في كلامهم."(٣)

أما أبو العتاهية فقد رُوي أنه قال لابن مناذر : "إن كنت أردت بشعرك العجاج وروبة فما صنعت شيئا ، وإن كنت أردت أهل زمانك فما أخذت مأخذنا ، أخبرني عن قولك :

ومن عاداك لاقى المرمريسا

أى شيء المرمريس ؟ ."(٤)

ويقتطف المرزباني جزءا غير يسير من كتاب قدامة بن جعفر " نقد الشعر " وفيه يقول قدامة " من عيوب الشعر أن يركب الشاعر منه ماليس بمستعمل إلا في الغرط ، ولا يتكلم به إلا شاذا ، وذلك هو الوحشي الذى مدح عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته له وتنكبه إياه . . وهذا الباب مجوز للقدماء ، ليس من أجل أنه حسن لكن لأن من شعرائهم من كان

---

١ — الموشح ، ص ٤٧٢
٢ — نفسه ، ص ٤٧٥
٣ — نفسه ، ص ٤٧٦
٤ — نفسه ، ص ٤٧٣ ، والمرمريس : الأمر ، والداهية الشديدة وهي التي يقتضيها السياق هنا / اللسان : مرس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعرابيا قد غلبت عليه العجرفية ، وللحاجة أيضا إلى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب ، ولأن من كان يأتي منهم بالوحشي لم يكن يأتي به على جهة التطلب له ، والتكلف لما يستعمله منه . لكن لمعارته ، وعلى سجية لفظه .

فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع ، وينبو عن السمع."(١)

ويمثل قدامة على الضرب الأخير من الألفاظ الغريبة الحوشية بأبيات لثلاثة شعراء : اثنين قرويين ، هما أبو حزام غالب بن الحارث العكلي ، وأحمد بن جحدر الخراساني ، والثالث شاعر أعرابي يدعى محمد بن علقمة التيمي ، وقد نعت شعره بأنه فظيع التوحش."(٢) في حين قال عالم لغوي لأحمد بن جحدر بعد أن سمع شعره المثقل بالألفاظ الحوشية : إن كنت جادا فحسبيك الله ."(٣)

وهذه الآراء الأربعة تكشف عن مجمل مواقف النقاد العرب من استعمال الألفاظ الحوشية في الشعر. فاللفظ الحوشي يضع من منزلة القصيدة ، ولكن ابن المعتز اشتط في حكمه من بين النقاد الآخرين عندما حكم بأن استعمال الشاعر الألفاظ الحوشية في قصيدة يحط من قدره في مجموع شعره ، ولهذا استهجن تقديم النقاد زهيرا مع أن في شعره ، أو على الأصح في بعض شعره ألفاظا حوشية .

وإذا كانت الألفاظ الحوشية تحط من منزلة القصيدة ، وخاصة إذا كان صاحبها شاعرا محدثا ، فلأن لذلك صلة وطيدة بافتقاردا إلى الصدق . فالشاعر البدوي أو الجاهلي الذي يستعمل الألفاظ الحوشية قد يكون معذورا لأسباب أوضحها قدامة ابن جعفر ، ومنها أنه مغلوب بطبعه العجرفي ، لأن ما يأتي به منها "لا يأتي به على جهة التطلب له ، والتكلف لما يستعمله ، لكن لمعارته ، وعلى سجية لفظه." أما القروي أو المحدث ، فان استعماله الغريب ينافر طبعه وعصره ، وهذا ما صرح به الناقد ابن عائشة عندما أنشده رجل شعرا لنفسه اكثر فيه من الغريب فقال له : " ماأحسب أنك أفصح من امرئ القيس ، ولا زمانك أرفع كلاما من زمانه حين يقول :

---

١ — الموشح ص ٥٣١ — ٥٤٠ ، نقد الشعر ، ص ١٤٦ — ١٤٧ (وينبو عن السمع هكذا في الموشح ، وهي في نقد الشعر ، وينبو عنه السمع ، وعبارة "نقد الشعر" أدق .)

٢ — الموشح : نفسه ، ص ٥٤٢ ، نقد الشعر ، ص ١١١

٣ — الموشح ، ص ٥٤٦ ، نقد الشعر ، ص ١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَمَتَّعْ من الدنيا فإنَّكَ فَـــانٍ مِنَ النَّشَوات والنساءِ الحسانِ
أمِنْ أجْلِ أعْرابيَّةٍ حَلَّ أهلُها بَرَوْضِ الشَّرا عيناكَ تَبْتَـــدرانِ"(١)

وإذن فان الألفاظ الغريبة مستقبحة ،وتزداد قباحتها إذا استعملها شاعر مولـــد " لأنها" لاتجاور بأمثالها ،ولا تتبع أشكالها ،فكأنها تشكو الغربة في كلامهم ." كما قال ابن المعتز ،كما تزداد قباحتها إذا استعملت في موضوع شعرى يتطلب الرقـــة ، ولهذا عاب ابن المعتز أبيات أبي تمام في وصف الظبية .

وهناك ضرب أخير من الألفاظ الغريبة الغظيمة الوحش لم يرض عنها أربـــاب اللغة ،مع أنهم أكثر العلماء شغفا بها ،ولهذا قال ابن الأعرابي ما قاله لأحمد بن ججدر بعد أن سمع أبياته المثقلة بالألفاظ الغريبة .

ومثل هذا النقد يصور بجلاء مدى الرقي الحضارى الذى صارت إليه أذواق الناس في العصر العباسي ،بحيث غدا الشعر المغرق في الغرابة " ينبو عنه السمع" المتحضر ، والذوق المهذب . إلى جانب ما في هذا النقد من دعوة ملحة إلى الشعراء بأن ينبذوا التكلف ليكونوا صادقين في تعبيرهم مع أنفسهم ، ومع أبناء عصرهم ،فيختاروا من اللغـــة ما يروق ويعجب . ولكن لا بد هنا من احتراز ،إذ يجب ألا يفهم من أقوال النقاد الذين يعيبون على الشعراء استعمالهم الغريب ، أنها أقوال يراد منها دعوة الشعراء إلـــى الابتذال . فمثلما عيب اللفظ الحوشي ،عيب اللفظ المبتذل السوقي ،ولهذا أغلظ كثير من النقاد العباسيين في ذم شعر أبي العتاهية ،من ذلك أن ابن مناذر قال لأبـــي العتاهية يوما : " لو أردنا أن نقـول :

ألا ياعتبـة الساعـــة أمـوت الساعة الساعـــة

لقلنا ،ولكنا لا نفعل "(٢) أو ما قاله خراساني لأبي العتاهية " أما لو رضيت أن أقول مثـــل قولك : ألا ياعتبة الساعة . . . " لقلت ألف بيت ."(٣) أو ما قاله الفضل بن الربيع وقـد سمع مرثية أبي العتاهية في سعيد بن وهب ،ومنها قوله :

١ــ الموشح ،ص ٥٦٩
٢ــ نفسه ،ص ٣١١
٣ــ نفسه ،ص ٣١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماتَ واللهِ سعيدُ بنُ وهْـبٍ رَحِمَ اللهُ سعيدَ بنَ وهـبِ
يا أبا عثمانَ أبْكَيْتَ عينـي ياأبا عثمان أوجَعْتَ قلبي

"أبو العتاهية بأن يرثى في حياته أولى من سعيد بعد موتـه."(١)

وممن عاب شعر أبي العتاهية لسوقية لفظه ،وابتذاله من النقاد ، أحمد بن عبيد الله ابن عمار ، ومحمد بن يزيد المبرد ، والمرزباني ، واسحاق بن ابراهيم الموصلي.(٢) وقـد انصب عيبهم لشعره على قضية محورية واحدة هي ما في شعر أبي العتاهيـة من سفساف اللفظ وسوقيته ، وانحراف لفته عن جادة شعراء الجزالة والمتانة . وحـاول أحمد بن عبيد الله بن عمار أن يعلل سبب الابتذال في شعر أبي العتاهية عند ما قـال : "كان أبو العتاهية من سوقة الناس وعامتهم ، وكان طبعه وقريحته أكثر من أضعاف مـا اكتسبه من أدبه ، واقتناه من علمه ،إذ كان في شبيبته يألف أهل التوضع حتى عوتب في ذلك. وقيل : إنه كان يحتمل زاملة(٣) المخنثين ، فقيل له : مثلك يضع نفسه هذا الموضـع ؟ فقال: أريد أن أتعلم كيادهم ، وأتحفظ كلامهم ،وذلك بين في شعره سيما في النسيب"(٤)

ومن النقاد الذين عابوا اللفظ الخسيس المخنث ابن المعتز ،فقد وقف في رسالته التي نبه فيها على محاسن شعر أبي تمام ومساويه ، على أبيات لأبي تمام ،منهـا قولـه :

إذا فُقِدَ المفقودُ من آلِ مالكٍ تَقَطَّعَ قَلْبي رحمةً للمكـارم

فقال ابن المعتز معلقا : " وهذا عيب قبلنا . وقالوا : تقطع قلبي رحمة للمكارم — من كلام المخنثيـن ."(٥)

١— الموشح ،ص ٤٠٠
٢— انظر : نفسه ،ص ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٠
٣— الزاملة : مؤنث الزامل ، ما يحتمل عليه من الابل وغيرها ،وتسند الى العقـلاء فيقال : هو زاملة من زوامل القلم والدواة ، أو الشعر والنثر. (المعجم الوسيـط / زمـل).
٤— الموشح ،ص ٤٠٣
٥— نفسه ،ص ٤٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول أبي تمـــام :

لو كان كَلّفها عَبيدٌ حاجـــةً يومًا لزنّـى شِدْقـما وجديلا

فقال ابن المعتز : " ماأخسّ قوله : لزنّى شدقما وجديلا ! وما معنى : تزنية ناقة أو جمل أو بهيمة . (١)

ومن سقطت منزلته الشعرية عند الأصمعي العباسين الأحنف لما في شعره من لفظ سخيف . (٢) واستهجن محمد بن بشار بن برد إقدام عمر بن شبة على كتابة شعر العباس للسبب نفســـه . (٣)

وفي الحق أن ورود لفظ سخيف في بعض شعر الشاعر لا يقوم حجة علـــى إسقاط منزلة ذاك الشاعر ، كما يجب ألا يصرف الأنظار عن رواية شعـــره .

و — الألفاظ الشعريـة ، والألفاظ غير الشعرية

يؤمن بعض النقاد أن للشعر ألفاظًا مخصوصة يجب على الشاعر أن يحـــرص على استعمالها دون غيرها ، وأن يدع ماسواها من ألفاظ مرادفة ،وان كانت صحيحة أو جائزة قياسية .

وخير من يوضح هذا الموقف محمد بن يحيى الصولي ،فقد وردت عنه ثلاثة أخبار في " الموشح " في هذا الصدد ،وهذه الأخبار هـــي :

١ــ وقوفه على بيت حسان الذي عابه النابغة ، وهو قوله :

لنا الجَفَناتُ الغرُّ يلمعْنَ بالضحى وأسيافُنا يقطرْنَ من نجْدةٍ دما

فقال الصولي : " وذهب ــ النابغة ــ الى أنه لو قال : "لنا الجفنات البيـــض " فجعلها بيضا كان أحسن " ثم قال : " فلعمري إنه أحسن في الجفان ، إلا أن الغر أجل لفظا من البيض ." (٤) فقد أقر الصولي النابغة في عيبه قول حسان " الجفنات"

١ــ الموشح ص ٤٧٧ ــ ٤٧٨ . (شدقم وجديل ، نحلان من الابل كانا للنعمان بن المنذر . يضرب بهما المثل /من حاشية التحقيق ،ص ٤٧٧ .

٢ــ نفســه ،ص ٤٤٥ ــ ٤٤٦

٣ــ نفســه ،ص ٤٤٨ .

٤ــ نفســه ص ٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكنه رأى أن لفظة "الفر" التي استعملها الشاعر أجل من لفظة "البيـــض" التي اقترحها الناقد .

٢ــ وقوفه على لفظة "تقفز" في شطر بيت لأبي نواس ، يقول فيه :

رُوَيْدَكَ يا إنسانُ لا أنتَ تَقْفِـزُ

قال الصولي : قال مسلم بن الوليد : "أخرجت "تقفز" من فم شاعر محســـن قـــط ."(١)

٣ــ وقوفه على بيتين من شعر العتابي ،عاب مافي أحدهما من اشتقاق غيـر مألـوف ،والبيتـان همـا :(٢)

ماذا عسى مادِحٌ يُثْني عليكَ وَقَـدْ ... نادَاكَ في الوَحْيِ تَقْديسٌ وَتَطْهيرُ

فُـتَّ المادحَ إلا أنَّ ألْسُنَنَـــا ... مُسْتَنْطَقَاتٌ بما تُخْفي الضمائيـــرُ

قال الصولي فيما نقله من رسالة يحيى بن علي المنجم في نقد شعر العباس بـــن الأحنف والعتابي : "فقال "المادح" والمدائح أحسن منها ،وأخف على السمع وأشبه بألفاظ الحذاق والمطبوعين ، وقال "مستنطقات" ، ونواطق ، أحسن وأطبع ، ثم قال "الضمائير" فختم البيت منها بأثقل لفظة لو وقعت في البحر لكدرته ، وهـي صحيحة ،ولكنها غير مألوفة ، ولا مستعذبة ، وما شيء أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حسن اللفظ ، وهذا عمل التكلف وسوء الطبع ."(٣)

وثمة قيمتـان أخريان لمثل هذا النقد :

الأولى : أنه لو كتب لمثل هذا النقد من يتتبعه لأمكن رصد مظاهر التطور اللغوي في لغة العرب ، ولأمكن في نهاية المطاف وضع معجم تاريخي ،يحدد جهود القدامى في تنحية بعض الاشتقاقات التي لم تعد مألوفة ، أو الألفاظ التي قبرت في حين من الدهر ،ولم تعد شيئا مذكورا في عصور تالية ، إلى جانب رصد مظاهر التطور الدلالي لألفاظ اللغة العربية منذ العصر الجاهلي وحتى اليوم .

١ــ الموشح ،ص ٤٠٢ ،وانظر أيضا ،ص ٤٣٧

٢ــ نفسه ،ص ٤٠٢

٣ــ نفسه ،ص ٤٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثانية : أن النقاد حتى عصر المرزباني كانوا لا يزالون ينظرون الى العمل الأدبي على أنه لفظ ومعنى ، وأن شرط اللفظ أن يكون مألوفا مستعذبا ، لا كزا ولا نابعا من تكلف ، وأن شرط المعنى الصحة . ولم يحدث التطوير الجذري في هذه النظرة إلا على يدي عبد القاهر الجرجاني الذي ركز على النظم ، وذلك في مثل قوله : " ان اللفظ تبع للمعنى في النظم ، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس ."(١) ونظرية عبد القاهر تلغي ما يقال عن اللفظ غير الشعري ، واللفظ الشعري ، كما تلغي أيضا هذا الفصل بين اللفظ والمعنى في أي عمل أدبي .

٢ــ في الأسلوب والصياغة

وقفنا قبل حين على أشهر ما أبرزه الموشح من آراء النقاد واللغويين والنحاة في لغة الشعر ولاحظنا أن الاهتمام لدى أولئك العلماء كان منصبا على اللفظة المفردة . ولكن لم يكن مدار الاهتمام في الموشح على اللفظة المفردة فحسب ، إذ هو يعكس فضلا عن ذلك آراء عدد من النقاد في الأسلوب الشعري ، وفي النسيج الشعري وفي الصورة الشعرية ، على ما سنتبينه في مايلي :

أ ــ المشاكلة أو استواء النسج ــ

يعكس الموشح آراء عدد من النقاد في ظاهرة المشاكلة أو استواء النسج الشعري ، وأبرز أولئك النقاد هم : أحمد بن أبي طاهر ، وأبو العباس المبرد ، وابن طباطبا العلوي ، وأحمد بن عبيد الله بن عمار .

أما أحمد بن أبي طاهر فقد روى عن حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن محمد بن كناسة أن محمدا هذا عاب بيتي النابغة الذبياني اللذين يقول فيهما :

أرسْما جديدا من سُعادَ تَجَنَّبُ ... عَفَتْ رَوْضَةُ الأجدادِ(٢) منها فَيَثْقُبُ

وَأَبْدَتْ سِوارًا عن وُشُومٍ كأنّهـا ... بقيةُ ألواحٍ عليهن مُذْهَـبُ

وموطن العيب في البيتين ــ على ما ذهب إلى ذلك محمد بن كناسة ــ أن لا صلة

١ــ دلائل الاعجاز ، تصحيح محمد عبده ، ومحمد محمود التركزي الشنقيطي ، مكتبة القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٣٩

٢ــ روضة الأجداد ببلاد غطفان ، ويثقب : موضع بالبادية / من حاشية التحقيق ص ٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين عجز كل بيت وصدره . وقد حاول إسحاق بن ابراهيم الموصلي ، المعروف عنه تعصبه للقدماء ، أن يدافع عن النابغة بقوله : " أنت تعلم أن أول هذه القصيدة مطعون عليه ."(١) ودفاع إسحاق فيه إقرار بسلامة نقد محمد بن كناسة ، كأنه يستعظم أن يقع شاعر قديم بمثل هذا العيب .

أما المبرد فقد اعتبر مجاورة اللفظ المستكره اللفظ الحسن في أداء الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ ، السبيل السليم لتغطية عوار ذاك اللفظ المستكره ، يقول : " . . . وقد يضطر الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق ، واللفظ المستكره ، فإذا انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره ، وسترتا من شينه . وإن شاء قائل أن يقول : الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ، ومجاورته له أشهر — كان له ذلك ، ولكن يغتفر السيئ للحسن ، والبعيد للقريب ."(٢)

ومثل المبرد على ذلك ببيت الفرزدق المشهور في القبح ، وهو قوله في هشام ابن عبد الملك :

وما مثله في الناس الا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

ثم قال المبرد معلقا : " فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير ، حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل مع قوله :

والشيبُ يَنْهَضُ في الشباب كأنه ليلٌ يصيح بجانبيْه نَهَارُ

فهذا أوضح معنى ، وأعذب لفظ ، وأقرب مأخذ ."(٣)

وللمبرد موقف ثان في الموشح من ظاهرة المشاكلة ، واستواء النسج في الشعر ، وذلك أنه روى أن نُصَيْبًا عاب قول الكميت :

وقد رأينا بها حُوْرًا مُنَعَّمَةً بِيْضًا تَكَامَلَ فيها الدَّلُ والشَّنَبُ

---

١ — الموشح ، ص ٤٩ ، وانظر ما قاله محمد بن كناسة في البيتين ، ص ٤٨ — ٤٩

٢ — نفسه ، ص ١٦١ — ١٦٢ ، المبرد : الكامل ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ، ج١ ، ص ٢٧ — ٢٨

٣ — الموشح ، ص ١٦٣ ، الكامل ، ج١ ، ص ٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنه تباعد في قوله " تكامل فيها الدل والشنب " ، وفضل عليه قول ذى الرمة :

لمياءُ في شفتيها حوةٌ لَعَسٌ وفي اللِّثاتِ وفي أنيابِها شَنَبٌ (١)

وعلق المبرد على هذا الموقف النقدى بين الكميت ونصيب ، فقال : " والذى عابه نصيب به من قوله : " تكامل فيها الدل والشنب " قبيح جدا ، وذلك أن الكلام لم يجر على نظم ، ولا وقع الى جانب الكلمة ما يشاكلها ، وأول ما يحتاج إليه القول أن ينظم على نسق ، وأن يوضع على رسم المشاكلة . " (٢)

إن إصرار المبرد وغيره من النقاد على ضرورة توخي الشاعر المشاكلة بين ألفاظه في البيت الواحد هي إرهاصة نقدية في النظر الى العمل الأدبي لا من حيث هو لفظ فقط ، ولا من حيث هو معنى وحسب ، ولا من حيث أنه لفظ ومعنى معا ، وانما هو بناء متكامل لا يسبق أحدهما فيه الآخر ، وهو ما اهتدى اليه عبد القاهر الجرجاني عندما تبنى نظرية " النظم " بديلا عن كل ما كان يقال عن اللفظ والمعنى .

ولكن قبل أن تختمر نظرية عبد القاهر الجرجاني ، كانت هناك صوى ، ومن بين هذه الصوى قول المبرد الآنف الذكر ، ومن بينها أيضا قول ابن طباطبا العلوى الذى نقله المرزباني ، وفيه يقول : " ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره ، وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه ، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها . " (٣)

ويمثل ابن طباطبا على فساد المشاكلة بأبيات منها قول ابن هرمة :

وإني وَتَرْكي ندى الأكرمين وَقَدْ حِيْ بِكَفَّيْ زِنادا شِحَاحا
كَتَارِكَةٍ بَيْضَها في العَرَاءِ وَمُلْبِسَةٍ بَيْضَ أُخْرى جَنَاحا

ويقول الفرزدق :

وإنك إذْ تهجو تميمًا وترتشي سرابيلَ قَيْرٍ أو سُحُوقَ العمائمِ
كَمُهْرِيقِ ماءٍ بالغلاة وغَرَّه سَرابٌ أذاعتْهُ رِياحُ السَّمائِمِ

١ــ انظر ، الموشح ، ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥
٢ــ الموشح ، ص ٣٠٦ ، الكامل ، جـ٢ ، ص ١٦٠
٣ــ الموشح ص ٣٧٠ ، عيار الشعر ص ١٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال ابن طباطبا في أعقاب ذلك : " كان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق ، وبيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة ، فيقال :

واني وتركي ندى الأكرمين ... وقد حي بكفي زنادا شحاحا
كمهريق ماء بالفلاة وغرّه ... سراب أذاعته رياح السمائم

ويقال :

وانك اذ تهجو تميما وترتشي ... سرابيل قيس أو سحوق العمائم
كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا

حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعا ، والا كان تشبيها غير واقع موقعه الذى أريد له." (١)

ومن فساد النسج ، وانعدام المشاكلة ما قد يكون بين مصراعي البيت الواحد ، ومثل ابن طباطبا على ذلك بقول امرئ القيس :

كأنّي لمْ أركبْ جَوادا لِلـذّةٍ ... ولمْ أتبطّنْ كاعِبا ذاتَ خِلْخَالِ
ولَمْ أسْبأ الزّقّ الرّوِيّ ولم أقُلْ ... لِخَيْلِيَ كُرّيْ كَرّةً بعْد إجفالِ

قال ابن طباطبا : " وهما بيتان حسنان ، لو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل ، وأدخل في استواء النسج ، فكان يروى :

كأني لم اركب جوادا ولم أقل ... لخيلي كرى كرة بعد اجفال (٢)
ولم أسبأ الزق الروى للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال."

ونقل المرزباني رأى ابن طباطبا هذا في موضع ثالث ، وذلك عندما وقف على انعدام المشاكلة في بعض شعر الأعشى وفي بيت لطرفة بن العبد ، (٣)

وإذا ضمت أقوال ابن طباطبا هنا مع أقواله في موضع آخر من " عيار الشعر " اتضح لنا مفهوم المشاكلة التي عناها .

يقول ابن طباطبا : " وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ، فان قدم بيت على بيت دخله الخلل . . . بل يجب أن تكون

---

١ — الموشح ، ص ٣٧٠ ، عيار الشعر ، ص ١٢٤ ، الصناعتين ، ص ١٤٥
٢ — الموشح ، ص ٣٧ — ٣٨ ، عيار الشعر ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، الصناعتين ، ص ١٤٤
٣ — الموشح ، ص ٧٢ — ٧٣ ، عيار الشعر ، ص ١٣٠ — ١٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ ، ودقة معان ، وصواب تأليف . . . لا تناقض في معانيها ، ولا وَهْيَ في مبانيها ، ولا تكلف في نسجها ، تقتضي كل كلمة ما بعدها ، ويكون مابعدها متعلقا بها مفتقرا إليها . "(١)

ومن النقاد الذين يمثل الموشح آراءهم في طريقة نسج القصيدة احمد بن عبيد الله بن عمار ، فقد وقف ابن عمار على أبيات استقبحها لأعرابي ، لأنها مثقلة بالألفاظ الغريبة فأفسدت نسيج القصيدة . يقول : " قد سلك قوم من شعراء الأعراب الزلل والخطأ في أشعارهم مع رقة أذهانهم ، وصحة قرائحهم ، واقتدارهم على غريب الكلام فقال رجل يصف رأس بعيره :

ترى شُئون رأسِهِ العَوارِدا(٢) مَضْبُورَةً شَبَا حَدائدا(٣)
ضَبْرَ براطيل(٤) جلامـــدا(٥)

ثم قال : " وما رأيت عالما إلا وهو يذم هذا القول ، ويستقبح هذا النسج . "(٦)

ويبدو لنا من هذه الآراء جميعا شيء آخر ، فضلا عما أوضحناه من قبل ، هو شرط القصيدة الناجحة فنيا أن يكون نسيجها متجانسا غير متمايز ، فإذا رقّتْ ألفاظُهـــا واتسق معناها ، فيجب ألا يتخللها لفظ غريب أو خشن ، واذا خشنت فيجب ألا تجاور الخشونة الرقة . ولهذا عيب شعر النابغة الجعدي فقيل فيه " صاحب خلقان ، يكون عنده مطرف بألف ، وخمار بواف "(٧) .

وفسر الأصمعي ذلك فقال : " بينا النابغة في كلام أسهل من الزلال ، وأشد من الصخر اذ لان فذهب " ومثل على هذا التفاوت بأبيات ثم قال : " فلان كلامه ، حتى لو أن أبا الشمقمق قال هذا البيت لكان رديئا ضعيفا . "(٨)

١ــ عيار الشعر ، ص ١٣١
٢ــ العوارد مفردها العارد : المنتبذ ، أي منتبذة بعضها من بعض/اللسان ، عرد .
٣ــ الضبر : جمع الأجزاء وتنضيدها ، / اللسان ، ضبر
٤ــ البراطيل مفردها البرطيل ، وهو حجر أو حديد طويل صلب خلقة ، ليس مما يطوله الناس ، ولا يحدونه تنقر به الرحى ، وقد يشبه به خطم النجيبة / اللسان ، برطل
٥ــ الموشح ، ص ٣٧٦
٦ــ نفسه ، ص ٣٨٠
٧ــ نفسه ص ٨٩ (والوافي : درهم وثلث / من حاشية الصفحة نفسها)
٨ــ نفسه ، ص ٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن كيف يمكن لنا أن نوفق بين دعوة هؤلاء النقاد إلى ضرورة توخي الانسجام والاتساق بين مصراعي البيت الواحد ، أو توخي الانسجام والاتساق بين أبيات القصيدة الواحدة ، وبين دعوة نقاد آخرين إلى ضرورة أن يستقل البيت بمعناه ومبناه وعدم افتقاره الى مايليه من أبيات ، فيما سمي بالتضمين ؟

نكاد نهتدي في أمر هذه القضية إلى تصور معقول ، فالنقاد الذين عابوا التضمين كانوا يصدرون عن رؤية علماء اللغة والنحو الذين لا يعنيهم من القصيدة في الدرجة الأولى إلا البيت الذي يستقل بمعناه ومبناه ليصح شاهدا على قاعدة من قواعدهم ، وهذا الأمر يوضحه الموقف النقدي التالي من بيتي امرئ القيس في نعت الليل :

فقُلْتُ له لمّا تمطّى بصُلْبِه وأردَفَ أعجازا وناءَ بكَلْكَلِ (١)

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباح منْكَ بأمْثَلِ

فقيل فيهما : " فلم يشرح قوله " فقلت له " ماأراد ، إلا في البيت الثاني ، فصار مضافا إليه متعلقا به ، وهذا عيب عندهم ، لأن خير الشعر مالم يحتج بيت منه إلى بيت آخر . وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض إلى وصوله إلى القافية ، مثل قوله :

الله أنْجَحُ ما طلبت به والبِرُّ خَيْرُ حقيبةِ الرَّجُلِ

ألا ترى أن قوله : " الله أنجح ماطلبت به " كلام مستغن بنفسه ، وكذلك باقي البيت . على أن في البيت واو عطف عطفت جملة على جملة ، ومالم فيه واو عطف أبلغ في هذا وأجود ، وهو مثل قول النابغة الذبياني في اعتذاره إلى النعمان :

ولسْتَ بمُسْتَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّه على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذّبُ

فقوله في أول البيت كلام مستغن بنفسه ، وكذلك آخره ، حتى لو ابتدأ مبتدئ ، فقال أيُّ الرجال المهذب " لاعتذار أو غيره لأتى بكلام مستوفى ، لا يحتاج الى سواه . "(٢)

وهناك أمر آخر وهو أن من التضمين مايعد عيبا كبيرا ، وذلك إذا انحلت فيه قوافي الأبيات ، فيضطر الشاعر أو المنشد بسبب من ذلك ، إلى وصل أواخر أبياته بأوائل الأبيات التالية دونما توقف . وفي ذلك إجهاد لطاقة الشاعر أو المنشد ، وعند ذلك سيضطر إلى الوقوف لالتقاط أنفاسه ، ولكن هذا الوقوف سيكون على حساب

١ــ تمطى : امتد ، صلبه : وسطه ، أردف : أتبع ، اعجازه : مآخيره ، ناء : نهض ، الكلكل : الصدر ، " الموشح " ص٣٦ .

٢ــ المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى ،كما أن الاستمرار في الانشاد بوصل قوافي الأبيات بمطالع الأبيات التاليـــة سيكون مفسدا لنغمة البيت الموسيقيـــة ، وعلى هذا كان النقد شديدا لمثل قول النابغة الذبيـــاني :

وَهُمْ وردُوا الجِفَارَ على تَميمٍ ... وَهُمْ أَصْحَابُ يومِ عُكَاظَ إنـــي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صالحاتٍ ... أَتَيْنَهُـــمْ بِحُسْنِ الوُدِّ منـــي (١)

ولمثل قول أبي العتاهيـــة : (٢)

يا ذا الذى في الحبِّ يَلْحَى أما ... واللهِ لو كُلِّفْتُ منه كمـــا
كُلِّفْتُ من حُبِّ رَخيمٍ لَمَـــا ... لُمْتُ على الحب ، فذرْني وما
أَلْقَى ،فإني لستُ أدْرِى بمـــا ... بُلِيْتُ إلا أَنَّنِـــي بَيْنَمـــا
أنا بباب القصْرِ في بعض مـــا ... أَطُوفُ في قَصْرِهِمُ ،إذْ رمـــى
قلبي غزالٌ بسهامٍ ،فمـــا ... أَخْطَأَ بها قلبـــي ،ولكنّمـــا
سهماه عينان له كُلَّمـــا ... أرادَ قتلي بهما سَلَمَـــا

فالتضمين الذى تنحل فيه قوافي الأبيات مذموم معيب . وما نظن أن الدعوة إلـــى استقلالية البيت في معناه وموسيقاه قصد بها غير ما أراده علماء اللغة والنحو ، لأن هناك دعوة أكثر الحاحا وبروزا الى ضرورة الحرص على المشاكلة بين مصراعي البيـت الواحد ،وبين الأبيـات كلها داخل القصيدة . وعلى هذا لا يكون هناك تناقـض بين الدعوة إلى ضرورة توخي الانسجام والاتساق بين مصاريع الأبيات ، أو بين الأبيات كلها ، والدعوة إلى نبذ التضمين بالمفهوم الذى نظر إليه بعض النقاد .

١ــ الموشح ، ص ٢٠٩ .

٢ــ نفسه ، ص ٤٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب / قضايا فرعية أخـــرى عن الأسلـوب

يتفرع من الحديث عن الأسلوب قضايا أخرى يعكسها الموشح ، ومن هذه القضايـا الفرعيـة ،الشعر المحكك والشعر المطبوع ، التقديم والتأخيـر ، الحشو ،الإيجـــاز .

(١) — أما عن الشعر المحكك ،والشعر المطبوع ،فإن النقاد الذين عرض المرزباني آراءهم في الموشح يفضلون الشعر المطبوع على الشعر المنقح ، من ذلك ما قاله محمد بـن داود الأصفهاني بعد أن وقف على خطأ في شعر مروان بن أبي حفصـة : "وكان مروان ابن أبي حفصة ينقح الشعر ويحككـه ، ولم يكن مطبوعا ."(١)

ووقف ابن المعتز على جملة أبيات من شعر أبي تمام عاب تكلفه فيها ، وأطلـــق أحكاما انفعالية عليها من مثل قوله في أعقاب بيت أبي تمام :

مُسْتَسْلِمٍ للهِ سائِسِ أُمَّـــةٍ بذوي تَجَهْضُمِنا له اسْتسلامُ

" يقال : تجهضم الفحل إذا علا أقرانه ،وبعير جهضم الجنبين أى رحبهما ،ففي هـذا البيت — كما ترى — تبغض وتكلف ."(٢)

وقوله في موضع آخر في أعقاب بيت أبي تمام :

يَوْمٌ أَفَاضَ جوىً أَغَاضَ تَعزِّيًا خَاضَ الهوى بَحْرَيْ حِجَاهُ المُزْبِدِ

" وهذا من الكلام الذى يستعاذ بالصمت من أمثاله ."(٣)

وقوله في موضع ثالث في أعقاب بيت أبي تمام :

مازال يُبْرِمُهنَّ حتى إنّه ليُقالُ ماخَلَقَ الا لهُ سَحِيلا (٤)

" انظر كيف ضعّف القول ،واضطرب . قبحه الله ."(٥)

وقدم عدد من النقاد العباس بن الأحنف على العتابي لأن الأول يتسق طبعا ،والثاني متكلـــف .(٦)

١ــ الموشح ،ص ٣٩١
٢ــ نفسه ،ص ٤٨٢
٣ــ نفسه ،ص ٤٨٣
٤ــ السحيل : ثوب لا يبرم غزله ،كناية عن الرخاء ،اللسان ،سحل
٥ــ الموشح ،ص ٤٨٨
٦ــ نفسه ،ص ٤٥٠ — ٤٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن جماع هذه الآراء يتضح لنا أن المقصود بالتكلف شيئان :

الأول : التكلف في استعمال الشاعر الحضري الألفاظ الحوشية ، أو استعمال الصيغ اللغوية غير المستأنسة ، وان كانت صحيحة . وقد مر بنا أمثلة على ذلك لدى الحديث عن الألفاظ الحوشية .

الثاني : التكلف في الغوص على المعاني الدقيقة ، فيأتي التعبير عنها ملتويا يُجْهد ذهنَ المتلقي . ومن أمثلة هذا الضرب كثير من شعر أبي تمام الذى وقف عليه ابن المعتز ، والذى يلخص الرأيَ فيه قولُ من قال لأبي تمام : "لِمَ لا تقول من الشعر ما يُفْهم ." (١) إشارة إلى أنه "يغوص على المعاني الدقاق ، فربما وقع من شدة غوصه على المحال ." (٢)

ونقع في الموشح على تصور ثالث لمفهوم الشعر المطبوع ، والشعر المتكلف . ففي حكاية أن ناقدين اختلفا في بيت أبي نواس :

رَسْم الكرى بيْنَ الجُفون مُحيلُ عفّى عليه بُكًا عليكَ طويلُ

فقال أحدهما : والله ما هذا بكلام مطبوع ، ولا محسن " وقال الآخر : "لقد أجاد في المعنى وأحسن ." ثم عرضا البيت على مسلم بن الوليد ، فقال : "إن كان قول أبي العُذافر العمّي :

باضَ الهوى في فؤادي وفَرّخَ التذكارُ

حسنا ، فإن هذا حسن " فحكم للأول . (٣) وعاب البيتين جميعا . وعيبه إياهما نابع من معاداته مافيهما من ألوان التصوير غير المعهودة ، وفي الحق أن موقف مسلم بن الوليد هذا يلفت النظر ، إذ كيف يعادي البديعَ شاعرٌ من شعراء مذهب البديع . (٤) ولكن قد يزول هذا العجب عندما ندرك من خلال "الموشح" أن أبا مسلم كان من خصوم أبي نواس ، (٥) ومن الذين يكثرون الطعن عليه .

والتكلف المراد به هنا هو إفراط أبي نواس في طلب البديع . ومن هذا الضرب المفرط في طلب البديع كثير من شعر أبي تمام ، وكان هذا الشعر مدعاة لسخرية بعض النقاد منه ، واستهجانهم إياه . (٦)

---

١ — الموشح ، ص ٥٠٠

٢ — نفسه ، ص ٤٩٩

٣ — نفسه ، ص ٤٣٨ — ٤٣٩

٤ — انظر ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ١٨٣

٥ — انظر ، الموشح ، ص ٤١٩

٦ — انظر : نفسه ، ص ٤٩ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأرى أن التكلف في استعمال الألفاظ الحوشية يستوجب الذم ،لأن الشاعر الذى يمعن في إظهار ثقافته اللغوية إنما يفتقر إلى الصدق الفني . ولكننا نتوقف عن مجاراة النقاد الذين يعيبون الغوص على المعاني الدقيقة . فليس كل شاعر هذا مذهبه يستوجب الذم ، أما اذا كان الغوص على المعاني الدقائق يقود إلى التعمية فذلك معيب .

(٢) وأما عن التقديم والتأخير فقد عيب منه مايقع فيه بعض الشعراء اذا أحدث ذلك التباسا .

وممن عاب ظاهرة التقديم والتأخير الملبسة من النقاد ، ابن طباطبا العلوى الذى يقول : " ومن الأبيات المستكرهة الألفاظ المتفاوتة النسج ، القبيحة العبارة التي يجب الاحتراز من مثلها قول النابغة :

يُصاحِبْنَهم حتى يُغِرْنَ مَغَارَهُمْ من الضَّارياتِ بالدِّماءِ الدَّوارِبِ "(١)

وذلك لأن الشاعر قدم لفظة بالدماء" وأخر لفظة " الدوارب " ،وذلك ملبس " لأن الدماء جمع ،والدوارب جمع ،ولو كان من الضاريات بالدم الدوارب لم يلتبس ."(٢)

وعيب قول النابغة الجعدى :

وَشَمولٍ قَهْوةٍ باكَرْتُهـا في التباشير من الصُّبْحِ الأُوَلْ (٣)

لأنه قدم وأخر ،وحق الكلام أن يكون في التباشير الأول من الصبح .

ويستدل من مجموع (٤) الأبيات التي عيب ما فيها من تقديم وتأخير أن الشعراء الذين قدموا وأخروا ،لم يفعلوا ذلك بصورة غالبة إلا عندما يكون المقدم شبه جملة ظرفا أو جارا ومجرورا .

وهذه الألوان من التقديم والتأخير التي عرضها المرزباني في الموشح يمكن أن تدرج جميعا في باب الضرورات الشعرية ،وكان الأولى أن تندرج في الجزء الذى خصصناه لدراسة ظاهرة الضرائر ، ولكن المرزباني لم ينص فيما روى عن شيوخه أنها ضرورات ،(٥) فآثرت الوقوف عندها هنا . والأبيات التي عيب فيها التقديم والتأخير ،

١ــ الموشح ،ص ٥٣

٢ــ نفسه ،ص ٥٣

٣ــ انظر : نفسه ،ص ٩٣

٤ــ انظر ،المصدر نفسه ،ص ١١٥ ، ٢٥٠ ، ٢٩٢ ، ٣٥٥ ــ ٣٥٦

٥ــ نستثني من ذلك ماسبق أن أورده المرزباني عن أحمد بن محمد العروضي في باب الضرائر الجائزة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتي اعتبرت عند علماء النحو من الضرائر هـــي :

١ــ قول عمرو بن قميئـــة :

لَمَّا رَأَتْ سَاتِيـدَمَا اسْتَعْبَرَتْ لِلّهِ دَرُّ اليومَ مَنْ لَامَهـا (١)

٢ــ قول ذي الرمـــة :

كأنَّ أصواتَ مِنْ إيفَالِهِنَّ بنا أَوَاخِرِ الميْسِ أَصْواتُ الفَارِيجِ (٢)

٣ــ قول أبي حية النميـــرى :

كما خُطَّ الكتابُ بِكَفِّ يَوْمـًا يهودِيٍّ يُقارب أو يزيـل (٣)

وقد استشهد المبرد ومن قبله سيبويه بهذه الأبيات على جواز الفصل بين المضـــاف والمضاف اليه بالظـــرف والجار والمجرور للضرورة . وعلى هذا يكون جـل مـــاورد في " الموشح " من التقديم والتأخير داخلا في هذا الباب .

٤ــ قول امرأة من بني قيـــس :(٤)

هما أَخَـــوا في الحَرْبِ مَنْ لا أخَاله إذا خَافَ يومًا نَـبْوَةً وَدَعاهُما

١ــ الموشح ،ص ١١٥ ، المقتضب ،جـ٤ ،ص ٣٧٧ ،سيبويه الكتاب ،تحقيق عبـــد السلام هارون ، ط٦ ،بيروت ، جـ١ ،ص ١٧٨ (ساتيدما : جبل بيـــــن ميافارقين وسعرت / حاشية الموشح ،ص ١١٥) .

٢ــ الموشح ،ص ٢٩٢ ،المقتضب ،جـ٤ ،ص ٣٧٦ ،سيبويه ،جـ١ ،ص ١٧٨ (والايفال : سرعة السير ،الميس : شجر يتخذ منه الرحال والأقتاب ، والفاريج صغار الدجاج . / حاشية المقتضب ،جـ٤ ،ص ٣٧٦) .

٣ــ الموشح ،ص ٣٥٥ ، المقتضب ،جـ٤ / ص ٣٧٧ ،سيبويه ،جـ١ ،ص ١٧٩

٤ــ الموشح ،ص ٣٥٦ ، عيار الشعر ،ص ٤٧ ، سيبويه ،جـ١ ،ص ١٨٠ ،وقد نسب البيت فيه إلى دَرْنا بنت عبعبة من بني قيس بن ثعلبة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) الإيجـــاز

ترد في الموشح عبارات عن بعض النقاد يستشف منها ميل أذواق أولئك النقاد إلى تفضيل الإيجاز في التعبير . فقد وقف المبرد على بيتي الأعشى :

وَتُبَرِّدُ بَرْدَ رِداءِ العَـــرو ... سِ بالصَّيْفِ رَقْرَقْتَ فيه العبيرا
وَتَسْخُنُ لَيْلَةَ لا يَسْتَطيـــعُ ... نُبَاحًا بها الكَلْبُ إلّا هَريـــرا

وقال : " فتقبل هذا الكلام ، واستحسن ، ثم قيل في عيبه : إنه أتى به في بيتيـــن ، وطـــوّل به الخطاب ، وأجود منه قول طرفـــة :

تَطْرُدُ البَرْدَ بحَـــرٍّ ساخِـــنٍ ... وَعكيـــكٍ(١) القَيْظِ إنْ جاءَ بقُـــرْ

وقيل : هذا أجمع وأخصـــر ."(٢)

ويفصح المبرد عن رأيه هذا بصورة أوضح ، وذلك بقوله : " قد يقع الإيمـــاء إلى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه ، كما قيل : " لمحة دالة "(٣)

وإذا كان الإيجاز مفضلا فشرطه ألا يكون مخلا ، ومثل قدامة بن جعفر على الإيجاز المخل بقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أعاذلَ عاجلٌ ما أشتهـــي ... أحبُّ من الأكْثَرِ الرَّائِثِ(٤)

فقال : " فإنما أراد أن يقول : عاجل ما أشتهي مع القلة أحب إلي من الأكثر المبطىء ، فترك " مع القلة " وبه يتم المعنى ."(٥)

وكلما كان المحذوف كثيرا زاد قبح الشعر ، لأن ذلك يُعَنِّي ذهن المتلقـــي في تأويل المعنى ، ومن الأمثلة على فساد الإيجاز بسبب هذا الإخلال الكبيـــر ، قول الحارث بن حلزة اليشكـــرى :

والعَيْشُ خَيْرٌ في ظِـــلا ... لِ النَّـــوْكِ مِمَّنْ عاشَ كَـــدّا

لأنه أراد " أن يقول : والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في ظلال العقـــل فترك شيئا كثيـــرا ..."(٦)

١ــ الحر العكيك : الحر الشديد / اللسان : عكك
٢ــ الموشح ، ص ٧٣ ــ ٧٤
٣ــ نفسه ، ص ١٦١ ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٢٧ .
٤ــ الرائث : المبطىء / اللسان : راث
٥ــ الموشح ، ص ٣٦٣ ، نقد الشعر ، ص ٢٤٥
٦ــ الموشح ص ٣٦٤ ، نقد الشعر ، ص ٢٤٦ ، والنوك هو الحمق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودراسة الإيجاز كما عرضها المبرد وقدامة، اللذان تبنى المرزباني رأيهما في الموشح، كانت لا شك من المصادر التي عوّل عليها البلاغيون المتأخرون في تفريعاتهم وتقسيماتهم، فجعلوا الإيجاز نوعين: إيجاز قصر، وإيجاز حذف، واشترطوا في إيجاز الحذف بألا يكون مخلا، في حين سمى المبرد إيجاز القصر باللمحة الدالة، وسمى قدامة إيجاز الحذف المخل بالإخلال. ولم يرد في الموشح شيء عن إيجاز الحذف البديع، مع أن المبرد تحدث عنه، ولكنه سماه "الاختصار"[٢]

(٤) الحشو.

وهناك موقفان نقديان يعرضهما الموشح عن ظاهرة الحشو في الشعر. ويلاحظ أن الشعراء الذين لجأوا إلى الحشو إنما كانوا مضطرين، في الغالب، إلى ذلك اضطرارا حتى تلتئم لهم القافية، أو يتم لهم الوزن.

والناقد الأول الذي يرصد هذه الظاهرة هو ابن المعتز، فقد عاب قول امرئ القيس في وصف الفرس:

لها ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ العَرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَها مِنْ دُبُرْ

فقال في عيبه له: "عيب عندهم، قالوا: ولِمَ قال: من دبر؟ فمن أين تسد بذنبها فرجها؟ من قبل؟ ليس هذا من قول الحذاق."[٣]

والناقد الثاني هو قدامة بن جعفر. وقد سمى الحشو في موضع بعيوب ائتلاف اللفظ والمعنى، وقال في ذلك: "أن يزيد الشاعر في اللفظ زيادة تفسد المعنى."[٤] ومن ذلك قول بعضهم:

فما نُطْفَةٌ من ماءِ نَحْضٍ عُذَيْبَةٌ تُمَنَّعُ مِنْ أيدي الرُّقاةِ تَرُومُها
بِأطْيَبَ مِنْ فيها لَوَ انَّكَ ذُقْتَهُ إذا لَيْلَةٌ أسْجَتْ وغارَتْ نجُومُها

لأن قول هذا الشاعر: "لو انك ذقته" زيادة توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيبا."[٥]

١ــ انظر: القزويني، تلخيص المفتاح، ط١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٩٣٨ ص ١٩٨، ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٨، جـ٦، ص ٢٣٩

٢ــ انظر: الكامل، جـ١، ص ٣٢

٣ــ الموشح، ص ٤٢

٤ــ نفسه، ص ٣٦٤، نقد الشعر، ص ٢٤٧

٥ــ المصدران السابقان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسمى قدامة في الموضع الثاني الحشو باسمه ، فقال : " ومن عيوب الشعر الحشو ، وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن "[١] ومثّل عليه ببيتين ، أصاب في نقد أحدهما ، وأخفق في نقد الآخر .

والبيت الذى أراه مصيبا في ذمه هو قول أبي عَدِيّ القرشي :

نَحْنُ الرؤوسُ وما الرؤوسُ إذا سَمَتْ في المَجْدِ لِلأَقْوامِ كَالأَذْنَابِ

قال قدامة : " فقوله للأقوام " حشو لا منفعة فيه ."[٢] وهذا صحيح .

أما البيت الذى أجده مخفقا في ذمه ، فهو قول مَصْقَلَة بن هُبَيْرة :

أَلِكْنِي إلى أهْلِ العراق رسالةً وخُصَّ بها — حُبيتَ — بَكْرَ بْنَ وائِلِ

قال قدامة : " فقوله " حبيت " حشو لا منفعة فيه ."[٣] فقوله " حبيت " حشو نافع بعكس ما يقول قدامة ، لأن الشاعر كان حريصا على أن تبلغ رسالته أحبابه ، ولذلك نراه يقدم ضربا من الشكر والعرفان بالجميل لحامل تلك الرسالة ، وفي ذلك ما فيه من الأثر الطيب في نفس الرسول .

ونستطيع أيضا أن نلحظ مدى تعسف قدامة في نقده التطبيقي عندما ذم قول القائل :

فما نطفة من ماء نحض عذيبة " البيتان "

لأن المعنى الذى يتبادر إلى الذهن الصافي من ذينك البيتين هو : أنه لو قدر لك أن تذوق رضابها لوجدته عذبا عذوبة تفوق عذوبة نطفة من ماء نحض .

وعلى أية حال ، فإن دعوة المبرد بأن يكون الشعر لمحة دالة ، وذم قدامة لظاهرة الحشو في الشعر ، مظهران نقديان متضافران في دعوة الشعراء بأن يكون تعبيرهم الشعرى مختزلا مكثفا ، وخاليا من أى مظهر من مظاهر الترهل والفضفضة غير اللائقة ، وذلك حتى يمتاز الشعر عن أساليب الحياة العادية في التخاطب .

---

١ — الموشح ، ص ٣٦٥ ، نقد الشعر ، ص ٢٤٩
٢ — المصدران السابقان
٣ — المصدران أنفسهما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(جـ) الصـــورة الشعريـة .

تتجمع بين أيدينا ، من خلال الموشح ، جملة من آراء النقاد في الصورة الشعرية الرائقة المعجبة ، والصورة الشعرية التي لا تروق ولا تعجب .

فالمبرد يدعو الشعراء إلى أن يكون تعبيرهم " إيماءً " يغني عند ذوى الألباب عن الكشف والتوضيح (١) . ومثّل على جمال الإيماء بقول الفرزدق في جـرير :

ضَرَبَتْ عليْكَ العَنْكَبوتُ بنَسْجِها ... وقَضَى عليْكَ به الكِتابُ المُنْزَلُ

وبقوله في الشيـب :

والشَّيْبُ يَنْهَضُ في الشَّبابِ كأنَّه ... لَيْلٌ يَصيحُ بجانبيهِ نَهَـارُ

وعاب الإيماء المشكل في قول الفـرزدق :

وما مِثْلُه في الناسِ إلا مُمَلَّكًا ... أبو أُمِّهِ حيٌّ أَبوهُ يُقارِبُـهُ

ويتفق ابن طباطبا مع المبرد في ذم الإشارات البعيدة ، والحكايات الغلقـة ، والإيماء المشكل . واشترط أن يكون المجاز مقاربا للحقيقة ، وأن يستعمل الشاعـر من الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها . وأخذ في تطبيق ذلك على بعض النصوص الشعرية ، فإذا كان المجاز مقاربا للحقيقة ، وإذا كانت الإشارات غير بعيـدة قبله . وما كانت الحكايات فيها غلقة ، والإيماء مشكلا ذمه .

ومن الأبيات التي ذمها قول بشـار :

غَدَتْ عانَةٌ تَشْكُو بأبْصارها الصَّدَى ... إلى الجَأْبِ إلّا أَنَّها لا تُخاطِبُهْ (٢)

وقول المُثَقِّب العَبْدِي في صفة ناقتـه :

تَقُولُ وقد دَرَأْتُ لها وضيني (٣) ... أَهَذا دِينُه أَبَدًا ودِينـي

أَكُلَّ الدَّهْرِ حَلٌّ وارْتحـال ... أما يُبْقي عَلَيَّ ولا يَقينـي

١ــ انظر : الموشح ، ص ١٦١ ــ ١٦٣ ، الكامل ، جـ١ ، ص ٢٧ ــ ٢٩

٢ــ العانة : جماعة حمر الوحش . الجأب : الحمار الغليظ ، وهو فحلها ، وأراد : أن العطش أغار أحداقها فعرف فحلها مابها من شدة العطش ، حاشية الموشح ص ١٤٣ .

٣ــ الوضين بمنزلة الحزام ، ودرأت : مددت وشددت به رحلها . المفضلية رقم ٧٦ ص ٢٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفضل على ذلك قول عنترة في فرسه ،لأنه يقارب الحقيقة : (١)

فَأَزُورَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ ... وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى ... وَلَكَانَ لَوْ عَرَفَ الجَوَابَ مُكَلِّمِي

وأورد المرزباني في موضع ثالث من الموشح مجموعة من الأبيات الشعرية ،ذكر فيه أنها عيبت ،لما فيها من فحش الاستعارة ،فقال في بيت أوس بن حَجَر : (٢)

وذاتُ هِدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا ... تُصْمِتُ بِالمَاءِ تَوْلَبًا جَدِعَا

عاب قوم هذا البيت "لأنه أفحش في الاستعارة بأن سمّى الصبي تولبا ، وهو ولد الحمار . ومثله قول الآخر :

وَمَا رَقَدَ الوِلْدَانِ حَتَّى رَأَيْتَهُ ... عَلَى البَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرِ (٣)

فسمى رجل الإنسان حافرا . وقالوا : وكل ما جرى هذا المجرى من الاستعارة ، قبيح لا عذر فيه ." (٤)

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن المرزباني في وقوفه على هذين البيتين ، إنما كان ينقل أقوال قدامة بن جعفر في حديثه عن المعاظلة ، ولكنه أغفل ذكره (٥) .

ولما كان أبو تمام رائد التجديد في قَصِيدَه لألوان البديع التي خلق منها وشائج جديدة في اللغة ،وما يستتبع ذلك من ألوان جديدة في التصوير والتشخيص ، ولمّا كان الاتجاه العام في المقتطفات النقدية التي جاء بها المرزباني هو اتجاه أنصار القديم ،فإن الحملة على هذا المجدد كانت عاتية .

وأكثر الذين وقفوا لتصوير أبي تمام ومجازاته واستعاراته بالمرصاد ، هو عبد الله بن المعتز . فمما قاله فيه : " أنكر عليه قوله في قصيدة :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا ... إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِنَفْثَةِ طَالِبِ

١ــ انظر ،الموشح ،ص ١٤٣ ، عيار الشعر ،ص ١٢٣ — ١٢٤
٢ــ الهدم : الثوب الخلق المرقع . التولب : الجحش ،والنواشر : عصب الذراع من الداخل والخارج . الجدع : السيع الغذاء ،انظر ،اللسان .
٣ــ البكر : الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس ،يمريه : يستخرج ما عنده من الجري . وقد استعار الحافر في القدم / حاشية نقد الشعر ،ص ٢٠٢ . وهذا البيت منسوب في اللسان إلى جبيهاء الأسدي يصف طارقا أسرع إليه / اللسان : مادة مرى .
٤ــ الموشح ،ص ٨٨
٥ــ انظر . نقد الشعر ،ص ٢٠١ — ٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولِمَ يُجَن جنون عطاياه انتظارا للطلب ؟ يبتدئ بالجود ويستريح ، وفيها يقول ...، وقوله :

لو لم تدارك مسن المجدِ مُذْ زَمَنٌ بالجُودِ والبَأْسِ كان المَجْدُ قد خَرِقا

فقوله : مسن المجد ، من البديع المقيت . . . وقال في وقعة لبابك انهزم فيها ، ومدح الأفشين :

ولَمْ وَلَمْ يُظْلَمْ وما ظُلِمَ امْرُؤٌ حَتَّ النَجاءَ وخَلْفَه التِّنِّينُ

فلوكان أجهد نفسه في هجاء الأفشين هل كان يزيده على أن يسميه التنين ، وما سمعت أحدا من الشعراء شبه به ممدوحا بشجاعة ولا غيرها . "(١)

وعاب أبا تمام غير ابن المعتز آخرون،لهذا التجديد في التصوير ، من هؤلاء ابن الخشعمي الشاعر الذى قال : "جن أبو تمام في قوله :

تَرُوحُ علينا كُلَّ يَوْم وتَغْتَدِي خُطُوبٌ يَكادُ الدَّهْرُ منْهُنَّ يُصْرَعُ

أيُصْرَع الدهر ؟ "(٢)

وعابه أقوام لأنه قال :

لا تَسْقِني ماءَ المَلام فإنَّني صَبٌّ قَدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكائِي

وقالوا : ما معنى ماء الملام "(٣)

كما عابوا قوله :

ما كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّهْرَ يُمْهِلُني حتَّى أَرَى أَحَدًا يَهْجُوه لا أَحَدُ

"وقالوا : كيف يكون لا أحد يهجو ؟ "(٤)

وأكثر هذا الذى عيب به أبو تمام موجود في كتاب الصولي "أخبار أبي تمام" ولكن الصولي كان يحاجج العائبين ،ويغلّطهم ،ويصوّب أبا تمام فيما ذهب إليه . في حين اكتفى المرزباني تمشيًا مع خطته في كتابه بإيراد المآخذ حسب .

ومن مجموع هذه المواقف النقدية التي أوردناها يتبين لنا أن هؤلاء النقاد كانوا جميعا من أنصار المنزع القديم في التصوير والمجاز ،وأنهم لم يحاولوا أن يتطوروا مع

١ــ الموشح ،ص ٤٧٠ ــ ٤٧٣

٢ــ نفسه ،ص ٤٩٤ ،أخبار أبي تمام ،ص ٢٦٤

٣ــ نفسه ،ص ٤٩٦ .

٤ــ نفسه ،ص ٤٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التطور الحضاري الذي عرفته الثقافة الجديدة ، والظروف الاجتماعية التي تغيرت ، والحياة العقلية التي ترقّت ، والتي يجب بالضرورة أن يتبعها تطور في فن القول .

ولعل أغرب هذه الآراء النقدية هو رأي ابن طباطبا العلوي الذي عاب بيت بشار وبيتي المشقب العبدي ، وبيتي عمر بن أبي ربيعة ، (١) لأنه عاب شعرا رائقا ، وحسا إنسانيا مرهفا ، وتصويرا جميلا ، وفي رأيي أن هذا النقد لا يستقيم مع قدرات الشعراء على التخييل والابتداع ، وسبب تبني ابن طباطبا لهذا الموقف النقدي نابع من التزام ابن طباطبا ، لما أسماه الأستاذ إحسان عباس " بصدق التشبيه " ، ولذا كان التزامه " بالحقيقة شديد الجناية على النقد . " (٢)

أما ابن المعتز الذي أغلظ في ذم ألوان البديع عند أبي تمام ، في رسالته التي جعلها في محاسن أبي تمام ومساويه ، فيبدو أنه تراجع عن حدته فيها في كتابه " البديع " لأنا وجدناه في هذا الكتاب الأخير يورد أبياتا كثيرة من شعر أبي تمام ، يتخذها شواهد على ألوان البديع الجميل ، ومما أورده منه قول أبي تمام :

كُلُوا الصَّبْرَ غَضّاً واشْرَبُوه فإنَّكُمْ ... أَثِرْتُمْ بَعِيرَ الظُّلْمِ والظُّلْمُ بَارِكُ
متى يَأْتِكَ المِقْدَارُ لا تَكُ هَالِكًا ... ولَكِنْ زَمَانٌ غَالَ مِثْلَكَ هَالِكُ . (٣)

وفي رأيي أن ما في هذين البيتين من ألوان الاستعارة الغريبة يفوق ما في قوله : " تكاد عطاياه يجن جنونها " ومع ذلك فقد أثبتها ابن المعتز مثالا على الاستعارة الحسنة " . وهذا مؤشر دال على تراجعه عن حدته ومواقفه من أبي تمام في الرسالة التي خصصها فيه . وهذا الموقف نفسه يرجح ما ذهب إليه الأستاذ إحسان عباس (٤) من أن كتاب " البديع " صنف بعد " رسالته في محاسن أبي تمام ومساويه . "

ومن تمام الحديث عن التصوير أن نقف على آراء بعض النقاد في الصدق والكذب ، والمبالغة والغلو حسبما تتمثل في الموشح .

١ــ انظر : الموشح ، ص ١٤٤
٢ــ تاريخ النقد الأدبي ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٤٥
٣ــ البديع : ص ٢٣
٤ــ انظر : تاريخ النقد الأدبي ، ص ١٢٠ حيث ذكر أن كتاب البديع كان قد ألف سنة ٢٧٤ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذ ـ الصدق والكذب والمبالغـــة

تبرز أمام دارس كتاب الموشح مواقف بعض النقاد من ظاهرة الصدق والكذب فـــي الشعر . وقد استطعت لم شتات هذه المواقف ، فتبين لي من خلالها اتجاهان متباينان همـــا :

١ ـ اتجاه يركز على ما في الشعر من حقائق كونية أو تاريخية أو جغرافية خاطئـــة ، ومن الأمثلة التي ضربت على الشعر المعيب ، لما فيه من حقائق مغلوطة قول امرئ القيس:

إذا ما الثُّرَيَّا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ(١) تَعَرُّضَ أَثْناءِ الوِشاحِ المُفَصَّـلِ

قال الصولي : " فقالوا : ليست تتعرض في السماء ."(٢)

وأما قول زهير في الضفادع:

يَخْرُجْنَ من شَرَباتٍ ماؤُها طَحِلٌ على الْجُذوعِ يَخَفْنَ الغَمَّ والْغَرَقا (٣)

فقال فيه ابن المعتز : "عابوا عليه قوله ... لأن الضفادع لا تخرج من الماء لأنهـــا تخاف الغم والغرق ، وإنما تطلب الشطوط لتبيض هناك وتفرخ ."(٤)

وعاب رؤبة بن العجاج قول جرير :

إنّي إذا الشاعرُ المَغْرُورُ حَرَّبَني جارٌ لِقَبْرٍ على مَرَّانَ مرموس

وذلك لخطأ في حقيقة تاريخية فيه إذ قال : " كذب والله ، ما تميم بمران ، إنما هو بـذات عرق ، وقبر معدان بمران ."(٥)

وشبيه بهذا النقد ما عاب به شيخ من بني ثعلبة جريرا لأنه أخطأ في الإشارة إلـــى حادثة تاريخية ،(٦) وما عاب بعض بني نُبَيْخْت ابا نواس في إشارته الخاطئة إلى موقع جغرافي .(٧)

---

١ ـ تعرضت : أي ارتك عرضها أي ناحيتها . اللسان ، عرض
٢ ـ الموشح ، ص ٤١
٣ ـ الشربات واحدها شربة وهي حياض تحفر في أصول النخل من شق واحد فتملأ مـــاء فاذا بلغت أن تملأ فهو رى النخلة .. وطحل : اخضر مما يصاب فيه الماء .
شرح ديوان زهير ، ص ٤١
٤ ـ الموشح ، ص ٦١
٥ ـ نفسه ، ص ١٩٠ ، وحرب بمعنى أغضب
٦ ـ نفسه ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠
٧ ـ نفسه ، ص ٤٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ـ اتجاه ينظر إلى ماني الشعر من مبالغة لا يتصورها العقل ، وقد اختلف منظور النقاد في الحكم على مثل هذا الضرب من الشعر ، فرفضه الأكثرون ، واستجاده الأقلون .

أما الرافضون فمنهم إسحاق الموصلي ، والأصمعي ، والمبرد ، وابن طباطبا ،
وأما المجوزون فمنهم قدامة بن جعفر ، والمرزباني .

وإليك نماذج من الشعر الذي ذم تبين مواقف النقاد منه ، مشفوعة بنماذج من الشعر الذي راق فريق المجوزين .

أولا : الرافضـــون :

كان إسحاق الموصلي يستشنع قول قيس بن الخطيم :

طَعَنْتُ ابْنَ عبدِ القَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لولا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا (١)
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يُرَى قَائِمٌ مِنْ خَلْفِهَا ماوَرَاءَهَا

ولما أنشد أبو عبيدة بيتي قيس بن الخطيم :

ضَرَبْتُهُ فِي المُلْتَقَى ضَرْبَةً فَزَالَ عَنْ مَنْكِبِهِ الكَاهِلُ
فَصَارَ مَا بَيْنَهُمَا فَجْوَةً يَعْشِي بِهَا الرَّامِحُ والنَّابِلُ (٢)

قال إسحاق معبرا عن عدم رضاه عنهما : " فكان هذا أعظم وصفا " كما علق شعبة بن الحجاج (٣) على بيتي قيس الأولين ، فقال : " والله ما طعنه ، ولكنه نقب في جنبه دربا " كأنه يستهجن مابهما من مبالغة تتجاوز حدود التصديق المنطقي .

ويد هشنا الأصمعي في موقفه النقدي التالي ، وقد وقف على شعر أنشده ، يقول فيه صاحبه :

وإذا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجهِكِ زَيْنَا
وَتَزِيدِينَ طَيِّبَ الطِّيبِ طِيبًا إِنْ تَمَسَّيهِ أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا

فقال الأصمعي فيهما : إنهما لا يساويان لَقْعَةَ (٤) بَعْرَةٍ ، وأجودُ الشِّعْرِ ما صُدِقَ فيه ، وانتظم المعنى كقول امرئ القيس:

١ـ الشعاع بفتح الشين تفرق الدم . اللسان ، شعع
٢ـ الموشح ، ص١١٦
٣ـ نفسه ، ص١١٧
٤ـ يقال لقعه بالبعرة أي رماه بها ، ولا يكون اللقع في غير البعرة مما يرمى به/ اللسان/ لقع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَلَمْ تَرَياني كُلَّما جِئْتُ طارِقًا وَجَدْتُ بِها طِيبًا وإنْ لَمْ تَطَيَّبِ (١)

وفي رأيي أن نقد الأصمعي هنا لا يقوم ، فالشاعران جميعا بمقياس الأصمعي نفسه لا يتوافر في أبياتهما الصدق المنطقي الذي يريد .

وكان المبرد الناقدَ الثالث الذي رفض المبالغة في الشعر ، فأصر أن يظل الشاعر في إسار الحقيقة ، والحقيقة المقصودة هنا هي عدم الإفراط . يقول في ذلك : " أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره ، وساقه برصف قوي ، واختصار قريب ، وعدل فيه عن الإفراط كقول بعضهم في النحافة :

فلو أنَّ ما أبقَيْتِ مِنِّي مُعَلَّقٌ بِعُودٍ ثُمامٍ (٢) ما تَأَوَّدَ عُودُها

... وهذا متجاوز كقول القائل : (٣)

ويَمْنَعُها مِنْ أنْ تَطيرَ زِمامُها ."

وهذه الرؤية النقدية قاصرة عن إدراك جمال الصورة القائمة على الغلو .

ويلتقي ابن طباطبا العلوي مع المبرد في ذمه لظاهرة المبالغة في الشعر ، ولكنه أسماها بالإغراق ، حين تتصل المبالغة بمعاني الشعر ، وبالتشبيهات البعيدة ، حين يكون لذلك علاقة بالصورة الشعرية غير المتصورة منطقا .

فعن الاغراق يقول : " من الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها قول النابغة الجعدي:

بلغنا السماء مجدة وتكرُّمًا وإنّا لَنَرْجُوْ فَوْقَ ذلك مَظْهَرا

وقول الطرماح :

ولَوْ أنَّ بُرْغُوثًا يُزَقِّقُ مُسْكُهُ (٤) إذًا نَهَلَتْ مِنه تَمِيمٌ وَعَلَّتِ

ولو أنّ بُرْغُوثًا على ظَهْرِ نَمْلَةٍ يَكُرُّ على صَفَّيْ تَمِيمٍ لَوَلَّتِ

ولو جَمَعَتْ عُلْيَا تميمٍ جُمُوعَها على ذَرَّةٍ مَعْقُولةٍ لَاسْتَقَلَّتِ

ولو أنَّ أُمَّ العَنْكَبُوتِ بَنَتْ لَهُم مَظَلَّتَها يَوْمَ النَّدى لَاسْتَظَلَّتِ (٥)

١ـ الموشح ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥

٢ـ الثمام : نبت ضعيف ، نفسه ، ص ٣٨٠

٣ـ نفسه ، ص ٣٨٠

٤ـ التزقيق : السلخ ، واتخاذ الجلد زقا . والمسك : الجلد .

٥ـ الموشح ص ٣٨٠ ـ ٣٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكثر ابن طباطبا من ضرب الأمثلة على هذا اللون من الشعر الذى أغرق فيه قائلوه ، ويجعلهم في فريقين: شعراء قدامى ، وشعراء محدثين. كأنه بذلك يريد أن يقول إن هذا العيب مشترك بينهم .(١)

ويلاحظ من خلال النظر في الامثلة التي جاء بها ابن طباطبا على الإغراق أنها ليست على درجة واحدة في المبالغة ، فمنها ما كان الإغراق فيه ممجوجا غير مقبول فنا ، ولا عقلا، كقول أبي نواس :

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حتَّى إنَّه لَتَخافُكَ النُّطَفُ الَّتي لَمْ تُخْلَقِ

ومنها ما جاء الإغراق فيه من باب التتميم في النعت كقول امرئ القيس : (٢)

من القاصِراتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإتْبِ مِنْها لأَثَّرا

ومنها ما جاء الإغراق فيه تصويرا لاذعا ، وسخرية حادة ، وليس المقصود منه معناه على التحقيق ، مما يجعلنا نخرج هذا الضرب من الشعر من دائرة الإغراق ، والمثال على ذلك أبيات الطرماح في تميم ، فهي أبيات جميلة وجمالها قائم على السخرية اللاذعة .

أما المبالغة النابعة من التشبيه البعيد ، والمجاز المباعد للحقيقة ، والتي عابها ابن طباطبا العلوى، فقد مرت بعض أمثلتها في موضع سابق من هذه الدراسة ، وأضيف هنا قوله: " من التشبيهات البعيدة التي لم يلطف أصحابها فيها ، ولم يخرج كلامهم في العبارة سهلا قول النابغة الذبياني :

تَخْدِي بِهِم أُدْمٌ كَأَنَّ رِحالَها عَلَقٌ أُرِيقَ على مُتُونِ صُوارِ (٣)

وفي هذا النقد تجن على الأدب ، لأن هذا الضرب من الشعر جميل ، وجماله نابع مما فيه من تصوير . ولهذا تقبل أذواقنا مثل قول الأعشى في جمال صاحبته الفائق الذى لم يفصح عنه بصورة مباشرة :

لو أَسْنَدَتْ مَيْتًا إلى نَحْرِها عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إلى قَابِرِ

وترفض أن ينعت بأنه أكذب بيت قالته العرب .(٤)

١ــ الموشح ، ص ٣٨٠ ــ ٣٨٣ ، عيار الشعر ، ص ٥١ ــ ٥٤

٢ــ الاتب : ثوب رقيق / اللسان

٣ــ الموشح ، ص ١٢٩ ــ ١٣٠ ، عيار الشعر ، ص ٩٣ (تخدي : تمشي . صوار : جماعة بقر الوحش، يريد رحال الابل ألبست الأدم الأحمر فشبه حمرة الرحال على الابل البيض بالدم المهراق على ظهور البقر .)

٤ــ انظر: الموشح ، ص ٦٧ ــ ٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانطلاقا من هذا التصور يصبح معظم ما عيب من مبالغة لدى هؤلاء النقاد مقبولا لدى الذوق الحديث . أما ما يخرج عن ذلك فهو مرفوض .

ولذا نتفق مع محمد بن موسى المنجم في هذا الموقف النقدي الذى يقول فيه : " كنت أُحِبُّ أنْ أرَى شاعرين ، فأوْمِئ بأحدهما ، وهو عَدِيّ بن الرِّقاع ـ لقوله :

وَعِلْمْتُ حتّى ما أُسائِلُ واحدًا عنْ عِلْمِ واحدةٍ لكَيْ أزْدادَها

ثم أسائله عن جميع العلوم ، فإذا لم يجب أدبته ، وأقبل رأس الآخر ، وهو زياد بن زيد لقوله :

إذا ما انْتَهَى عِلْمي تَنَاهَيْتُ عنْده أَطَالَ فأَعْلى أمْ تَنَاهى فَقَصَّرا (١) "

أما الخطأ في الحقائق التاريخية والجغرافية أو فيما سواهما ، فهو مرفوض أيضا ، لأنه لا يجوز للشاعر بحال أن يشوه الحقائق الثابتة .

ثانيا : أنصار المبالغة

كان النابغة الذبياني أول النقاد الذين ناصروا مذهب المبالغة في الشعر ، ويُجلّي موقفه هذا قصته المشهورة مع حسان بن ثابت ، فقد أنشد حسانُ النابغةَ قوله :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحى وأسْيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَما (٢)

فقال له النابغة : " أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ... "

والواقع أن هذا البيت يكشف عن موقف الشاعرين من ظاهرة المبالغة في الشعر ، فبينما يظهر هذا البيت حسان شاعرا من شعراء الاعتدال والصدق الواقعي ، ويدعم رأيه في موطن آخر معروف عنه ، وهو قوله :

وإنَّ أشْعَرَ بيْتٍ أنْتَ قائِلُه بَيْتٌ يُقالُ إذا أنْشَدْتَه صَدَقا

يظهر التعليق النابغة ناقدا من أنصار مذهب المبالغة (٣)

أما الناقدان الآخران اللذان ناصرا مذهب المبالغة فهما قدامة بن جعفر ، والمرزباني

١ـ انظر : الموشح ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١

٢ـ نفسه ، ص ٨١ ـ ٨٣ ، وانظر تفصيل ذلك في : نقد الشعر ، ص ٦٣ ـ ٦٥

٣ـ انظر في تفصيل هذه القضية عند الشاعرين : كتاب أنوار الربيع ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ ـ ٢١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع أن المرزباني لم يورد رأى قدامة في المبالغة ، فمن الحرى بنا أن نشير اليه ، لأن المرزباني أورد رأى قدامة في الممتنع والمتناقض ، فكان لا بد من الوقوف على رأيه في المبالغة ، وذلك لتكون الصورة أوضح .

ناصر قدامة مذهب المبالغة في الشعر بانيا مناصرته له على آراء بعض النقاد قبله ممن يرون أن " أحسن الشعر أكذبه " ولأنه رأى ذلك في شعر الشعراء قديما ، ولأن هذا هو مذهب فلاسفة اليونان . يقول قدامة في ذلك : " ان الغلو عندى أجود المذهبين ، وهو ماذهب اليه أهل الفهم بالشعر ، والشعراء قديما ، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه . وكذا يرى فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم "(١)

ووقف قدامة على بعض الشعر الذى عابه النقاد قبله ، كبيت مهلهل :

نلولا الريحُ أسمعَ أهلَ حَجْرٍ صَلِيْلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ(٢)

وكان دعبل بن علي الخزاعي قد قال في ذم هذا البيت : إنه " أكذب الأبيات ... منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام ، وحَجْر هي اليمامة "(٣)

كما وقف قدامة على شعر للنَّمر بن تَوْلب يجري هذا المجرى ، وعلى قول أبي نواس:(٤)

وأخفت أهل الشرك ... البيت

ثم قال : " ومن أنكر على مُهَلْهِل والنمر وأبي نواس قولهم المقدم ذكره فهو مخطئ ، لأنهم وغيرهم ممن ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة ، وكل فريق إذا أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ، ويدخل في باب المعدوم فإنما يريد به المَثَل ، وبلوغ النهاية في النعت "(٥)

ويُفرّع قدامة عن المبالغة أو الغلو ضربين آخرين أسمى أحدهما الممتنع ، وأسمى الآخر المتناقض ، وفرق بين هذين الضربين بقوله : " الفرق بين الممتنع والمتناقض أن المتناقض لا يكون ، ولا يمكن تصوره في الوهم ، والممتنع لا يكون ويجوز أن يتصور في الوهم "(٦) ومثل على هذين الضربين ، وصرح برفضه لهما .

١ــ نقد الشعر ، ص ٦٥

٢ــ حجر: مدينة باليمامة ، صليل البيض : صوت طنين السيوف . الذكورة : أراد أجود السيوف وأيبسها ، وأشدها / اللسان .

٣ــ الموشح ، ص ١٠٦ ، ١١٣ .

٤ــ انظر: نقد الشعر ، ص ٦٣ ــ ٦٤

٥ــ نفسه ، ص ٦٥ ــ ٦٦

٦ــ الموشح ، ص ٤١٠ ، نقد الشعر ، ٢٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والناقد الثاني في الموشح الذى ناصر مذهب المبالغة هو المرزباني نفسه ، فقد أورد بيتي كثير عزة في عبد الملك :

على ابْنِ أبي العاصِي دِلاصٌ حَصينةٌ أَجَادَ المَسَدِّي سَرْدَها وأَذَالَهَا
يَؤُودُ ضَعيفَ القومِ حَمْلُ قَتِيرِهَا ويَسْتَضْلِعُ القومَ(١) الأَشَمُّ احْتمالَهَا

فقال له عبد الملك : " قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحبُّ إليّ من قولك إذ تقول" وقول الأعشى هو :

وإذا تَجِيءُ كَتِيبةٌ مَلْمُومَةٌ خَرْسَاءُ يَخْشَى الذائدونَ نِهَالَهَا
كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيرَ لابِسِ جُنَّةٍ بالسَّيفِ تَضْرِبُ مُعْلَمًا أبْطَالَهَا

فقال كثير لعبد الملك " وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير ، ووصفتك بالحزم والعزم ، فأرضاه ."

وعلق المرزباني على هذا الموقف النقدى بقوله : " رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير ، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الوسط ، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنة ... وقول كثير يقصر عن الوصف ."(٢)

وفي رأينا أن المرزباني كان يتبنى في هذه القضية النقدية رأي قدامة ، وأنه ربما كان يشير إليه بقوله " أهل العلم بالشعر " ، ولكن الأبيات التي راقه مافيها من مبالغة لم ترد في نقد الشعر . والبيتان بعد ، لم يرد فيهما أى ضرب من التجاوز لحدود المنطق . وإذن فان المبالغة التي يريدها المرزباني هي المبالغة التي لا تتجاوز كثيرا ما يتعارف عليه الناس وما يألفونه في عوائد المبرزين .

١ـ أشرنا في موضع سابق الى أن الرواية الصحيحة هي : ويستضلع القوم ، وانظر ديوان كثير ، ص ٨٥ .

٢ـ الموشح ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً ـ الانتحـــال والسرقـــة كما يتمثلان في الموشح

١ـ الانتحـــــال :

أ ـ ارتباط ظاهرة الانتحال بتوثيـــق الشعر وروايتـــه .

ب ـ بواعث الانتحـــال:

أولا: في العصر الجاهلـــي

ثانيا: في العصرين الأموى والعباسي

٢ـ السرقـــات الشعريـــة

أ ـ عدة الناقد في الكشف عن السرقات الشعريـــة

ب ـ مواقف النقاد من السرقات الشعريـــــة

(١) ـ السرقات المعـذورة .

(٢) ـ السرقات المعيبة ، ومصطلحاتها

(٣) ـ الاجازة وصلتها بالسرقـــات

(٤) ـ التـــوارد

(٥) ـ السرقات في كتب ألفت بعد الموشح .

٣ـ التزيد في بعض أخبار السرقات الشعرية في الموشح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانتحال والسرقة كما يتمثلان في الموشح

شغلت ظاهرة انتحال الشعر ونحله ، وظاهرة السرقات الشعرية أذهان جل النقاد العرب القدامى . وخير دليل على الأهمية البالغة التي أولاها النقاد لهاتين الظاهرتين النقديتين ذلك الفيض الغزير من المؤلفات المتخصصة في موضوع السرقات . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب " سرقات الشعراء "[١] لعبد الله بن المعتز ، وكتاب " سرقات أبي تمام "[٢] لأحمد بن أبي طاهر ، وكتاب " سرقات البحتري من أبي تمام "[٣] لأبي الضياء بشر بن يحيى الكاتب النصيبي ، وكتاب " سرقات أبي نواس "[٤] لمهلهل ابن يموت ، وكتاب " سرقات أبي تمام "[٥] لأحمد بن عبيد الله بن عمار .

كما برزت قضية السرقات قضية نقدية محورية في عدد كبير من كتب النقد الفني ، فعقد لها الآمدي فصلا طويلا في كتابه " الموازنة "[٦] وعقد لها القاضي الجرجاني فصلا في " الوساطة "[٧] وخصها ابن رشيق بدراسة شاملة عرض فيها آراء سابقيه وذلك في كتابه " العمدة " فضلا عن تخصيصه لها كتابه " قراضة الذهب "[٨].

وتناثر الحديث عن السرقات الشعرية في كثير من كتب التراجم والأخبار نذكر منها كتاب " الأغاني "[٩] لأبي الفرج الأصفهاني ، وكتاب " الشعر والشعراء "[١٠] لابن قتيبة .

فما سبب هذا الاهتمام الكبير بظاهرة انتحال الشعر ونحله ، وبظاهرة السرقات الشعرية على وجه العموم ؟

يكاد الناظر في ما كتب عن هاتين الظاهرتين يخرج بتصورين قد يجليان سبب هذا الاهتمام الكبير بهما ، وهما :

١ــ ذكره ابن النديم في الفهرست ، انظر : الفهرست ، ص١٢٩

٢ــ نفسه ، انظر الفهرست ، ص١٦٣ وأشار اليه الآمدي في "الموازنة" . انظر : الموازنة جـ١ ص١١٠ كما أشار اليه القاضي الجرجاني في الوساطة ، انظر الوساطة ، ص ٢٠٩

٣ــ ذكره الآمدي في الموازنة ، أنظر : الموازنة ، جـ١ ص٣٠٤

٤ــ اشار اليه القاضي الجرجاني في الوساطة ، انظر : الوساطة ، ص٢٠٩

٥ــ المصدر نفسه ، انظر : ص ٢٠٩ .

٦ــ انظر: الموازنة ، جـ١، ص٥٤ ــ ١١٠ ، ٢٩٢ ــ ٣٤٣ .

٧ــ انظر : الوساطة ، ص ١٨٣ ــ ٢١٦

٨ــ انظر : العمدة ، جـ٢، ص ٢٨٠ ــ ٢٩٤ ، وانظر رأيه في السرقات في : قراضة الذهب ص١٩ .

٩ــ انظر من هذا الكتاب مثلا ، جـ ١٠ ، ص٢٩٩ ، جـ٨ ، ص٧٨ ، جـ ١٦ ، ص٣٨٨

١٠ــ المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٧١ ، ٩٧ ، ١٦٩ ، ٢٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ـ ارتباط قضية انتحال الشعر ونحله بتوثيق الرواة له .

٢ـ البحث في السرقات نابع من محاولة تبين أصالة الشعراء وابتداعهم ، أو تقليدهم واتباعهم ، وخاصة أننا نلحظ أن نشاط حركة التأليف في السرقات الشعرية ، كان يشتد في أزمنة ظهور أعلام شعرية لامعة ، يحتدم الصراع حولها بين أنصار مؤيدين ، وخصوم قادحين . وهذا ما تشهد له جل كتب السرقات ، وكتب النقد على وجه العموم .

١ـ ظاهرة الانتحال

أ ـ ارتباط ظاهرة الانتحال بتوثيق الشعر وروايته

يلاحظ الدارس من مجمل الأخبار الواردة في الموشح عن انتحال الشعر ونحله ، مدى الارتباط الوثيق بين ظاهرة الانتحال ، ورواية الشعر وتوثيق نسبته إلى أصحابه . كما يلاحظ أن بعض نقاد الشعر كانوا ينحلون الشعراء أشعارا لآخرين وذلك للإزراء بهم والتقليل من شأنهم ، بسبب ما بينهم وبين أولئك الشعراء من خصومات سياسية أو مذهبية .

وأكثر الشعراء الذين اتهموا بالانتحال هم الفرزدق والأخطل وكُثَيِّر من شعراء العصر الأموي ، وأبو تمام من شعراء العصر العباسي .

ومع ذلك لم يسلم كثير من الشعراء من هذه التهمة . فقد اتهم أبو عبيدة معمر بن المثنى زهير بن أبي سلمى بانتحال أبيات قراد بن حنش التي منها :

إن الرزيئةَ لا رزيئةَ مثلُها ... ما تَبْتَغِي غَطَفانُ يَوْمَ أُضِلَّتِ (١)

وذكر الأصمعي أن الناس نحلوا أمية بن أبي الصلت القصيدة التي منها:

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا ... الموتُ كَأْسٌ فالمَرْءُ ذائِقُها . (٢)

وهي لرجل من الخوارج : وقال المرزباني " وروى الزبير بن بكار عن رجاله أن هذه القصيدة لأمية . وروى الزبير أيضا وغيره أن الحسن البصري ، قال : هي لأمية ."(٣) ورواية المرزباني عن الزبير كأنما هي ترجيح نسبة القصيدة إلى أمية .

١ـ انظر: الموشح ، ص٥٩ ، وطبقات ابن سلام الفقرة ٩٠٥ ، والاغاني ، جـ١٠ ، ص٢٩٩ . والابيات في ديوان زهير ، ص ٣٣٤

٢ـ انظر: الموشح ، ص١١٢ ، وديوان أمية بن أبي الصلت ، ص١١٢ . (ومات عبطة: أي شابا ، وقيل شابا صحيحا .) اللسان

٣ـ الموشح ، ص١١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتهم ميمون بن هارون الكاتب أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بانتحال الأبيات التي منها قوله :

وَقَائِلَةٍ والسَّكْبُ منها مُبادِرُ ... وَقَدْ تَرِحَتْ بالدَّمْعِ منها المَحَاجِرُ
وَقَدْ أَبْصَرَتْ بَغْدادَ مِنْ بَعْدِ أُنْسِها ... بِنا ، وَهْيَ مِنَّا مُقْفِراتٌ دَوَاثِرُ
وَلَمْ تُبْقِ مِنَّا طَاهِرًا مُؤَمَّرًا ... رَئِيسا ، وأَعْلَى سَاسَةُ المُلْكِ طَاهِرُ

قال المرزباني : " قال الحكيمي : وقال لي ميمون بن هارون الكاتب : أصبت هذه الأبيات في شعر علي بن محمد الكوفي كهيئتها لا نقصان ، ولا زيادة غير هذا البيت :

ولم تُبْقِ مِنَّا طاهرا مُؤَمَّرا

ومكان : أبصرت بغداد " أبصرت حمان . قال : والشعر صحيح للعلوي ، فنسد عليه عبيد الله ، وزاد فيه هذا البيت الذي ذكرناه ."(١)

وقال المرزباني كذلك كأنه يؤكد انتحال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر هذه الأبيات : وأنشد الصولي هذا الشعر ، قال : أنشدناه أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني عن علي ابن محمد العلوي لنفسه على ما رواه ميمون ، وهو موجود في ديوانه ."(٢)

وأما الأقوال في انتحال الفرزدق أشعار شعراء آخرين فهي كثيرة ، وقد جاء بعضها مطلقا دونما تحديد للأبيات المنتحلة ، وبعضها الآخر حددت فيها الأبيات التي اغتصبها من أصحابها الأحياء ، أو سطا فيها على شعر الموتى . فمن الضرب الأول المطلق قول الأصمعي " تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة ، وكان يكابر ."(٣)

وقال أحمد بن أبي طاهر كذلك : " كان الفرزدق يصلت على الشعراء ، ينتحل أشعارهم ثم يهجو من ذكر أن شيئا انتحله أو ادعاه لغيره ، وكان يقول : ضَوالُّ الشِّعْرِ أحبُّ الـيَّ من ضوال الابل ، وخير السرقة مالم تقطع فيه اليد ."(٤)

١ـ الموشح ، ص٥٤٣ .
٢ـ المصدر نفسه ص٥٤٤
٣ـ المصدر نفسه ص١٦٧
٤ـ المصدر نفسه ، ص١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما عن اغتصاب الفرزدق أشعار معاصريه ، فكالخبر الذى روى عن الضحاك الفقيمي أن الفرزدق انتحل أربعة أبيات من شعر ذى الرمة منها قوله :

أُحِبِّينَ أَعَاذَتْ بي تَميمٌ نِسَاءَها وجُرِّدْتُ تَجْرِيدَ اليمانيْ مِنَ الْغِمْرِ

وأنها ثلاثة أبيات فقط ، على رواية أبي يحيى الضبي ، وبيتان فقط على رواية أبي عبيدة ، ضمهما الفرزدق إلى شعره فما يعرفان إلا له .(١)

وكالخبر الذى رواه أحمد بن أبي طاهر عن انتحال الفرزدق في رائيته التي يناقض فيها جريرا بيتين من شعر الراعي ، وتسعة أبيات من شعر الأعلم العبدى .(٢)

وكالخبر الذى رواه المرزباني عن ابن دريد أن الفرزدق اغتصب بيت الشمردل اليربوعي :

وَمابَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الحَلاقِمِ

وضمه إلى قصيدته التي أولها :

تَحِنُّ بزَوْرَاءِ المدينةِ ناقتي حنينَ عَجولٍ تبتغي البَوَ رائِمِ

وأن الشَّمَرْدَل قال للفرزدق : خذه على كره مني ، لا بارك الله لك فيه .(٣)

وضم الفرزدق إلى شعره أبياتا للمتلمس ،(٤) وبيتا للنابغة .(٥)

أما كثير بن عبد الرحمن فقد روى عن انتحاله أخبار كثيرة ، من ذلك ماروه محمد ابن الربيع بن أبي جَهْمَة الجُنْدُعي " أن أباه مَرَّ على كُثَيِّر . . . وهو ينشد :

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحيحةٍ وَرِجْلٍ رَمَى فيها الزَّمانُ فَشُلَّتِ

فقال له : ويحك يابن أبي جمعة . منذ متى قيل هذا الشعر ؟ قال : منذ زمان طويل . قال : فهذا يقوله صاحبنا أُمَيَّة بن الأسْكَر . قال : هو ذاك يابن أبي جهمة ، أنا أحظى به منه ."(٦)

١ــ الموشح ، ص ١٦٩ ــ ١٧١
٢ــ المصدر نفسه ، ص ١٧٢ ــ ١٧٥
٣ــ المصدر نفسه ، ص ١٧١ ، وانظر هذه الأخبار في الأغاني ، جـ٢١ ، ص ٣٢٥ ، ٣٦٤ (والبو : ولد الناقة) اللسان .
٤ــ انظر : الموشح ، ص ١٧٦
٥ــ انظر ، المصدر نفسه ، ص ١٧٨ ، وانظر : العمدة ، جـ٢ ، ص ٢٨٣
٦ــ انظر ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ ، وانظر ترجمة أمية بن الأسكر في : الأغاني ، جـ٢١ ، ص ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما انتحل كُثيِّر بن عبد الرحمن بيتا لأعرابي ،(١) وشعرا كثيرا لجميل بن مَعْمَر ،(٢) وقد حددت الأبيات التي انتحلها كُثيِّر من جميل حينا ، ولم تحدد في أحايين .

أما أبو تمام ، فقد ادعى دعبل بن علي أنه انتحل قصيدته في رثاء محمد بن حميد الطوسي ، وهي لمُكَنِّف أبي سُلمى من ولد زهير بن أبي سُلْمى والتي قالها في رثاء زُفافة العَبْسيّ ، ومنها قوله :

كأنَّ بني القَعْقَاعِ يَوْمَ وفاتِهِ ... نُجُومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعْدَ زُفافَةٍ ... وأَصْبَحَ في شُغْلٍ عن السَّفرِ السَّفْرُ (٣)

ومن جماع هذه الأخبار المتناثرة عن ظاهرة الانتحال ، يتضح لنا مدى الارتباط الوثيق بين ظاهرتي النحل والانتحال وظاهرة توثيق الشعر وروايته ، من جهة ، كما تتضح الجهود التي بذلها كثير من المحققين من الرواة وعلماء الشعر في تصحيح نسبة الشعر إلى قائليه من جهة ثانية .

ولكن هل يجوز الاطمئنان إلى كل ما قيل عن انتحال الشعراء أشعار غيرهم ؟ هذا ما ستجيب عنه الفقرات التالية ، وسيكون الكلام على هذه القضية في محورين ، في الأول منهما تدرس بواعث انتحال الشعر الجاهلي ، وفي الثاني تدرس أسباب بروز ظاهرة النحل والانتحال في العصرين الأموي والعباسي .

١ــ انظر : الموشح ، ص ٢٤٤

٢ــ انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥ ، وانظر كذلك ص ٢٣٥ من هذا المصدر نفسه .

٣ــ انظر : المصدر نفسه ، ص ٥٠٣ ، والموازنة ، جـ١ ، ص ٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب / بواعث الانتحال :

أولا : الانتحال في العصر الجاهلي " من خلال الموشح " دراسة في بواعثه .

يمكن للناظر في أخبار انتحال الشعر في العصر الجاهلي أن يصل إلى ابراز المسوغات التي تفسر ما قيل عن انتحال بعض الجاهليين أشعار غيرهم ، أو تحلهم ماليس لهم ، وهذه المسوغات هي :

١ــ الاحتجاج لشاعر عرف عنه التفوق والسبق ، وشهد له بالإجادة والإتقان ، ثم وجد أنه قصر في باب من أبواب الشعر ، وبزّه فيه آخرون ، أو وجد في شعره شيء من العيب لا يشاكل ما شاع عنه من جودة وتفرد . من ذلك أن الأصمعي قال : " طفيل الغنوي في بعض شعره أشعر من امرئ القيس "(١) ثم قال ، كأنه يفسر ذلك ويعلله : " ويقال : إن كثيرا من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه وكان عمرو بن قميئة دخل معه الروم إلى قيصر ."(٢)

ونظرا لكثرة ما انتقدت به قصيدة امرئ القيس التي منها :

وأركب في الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر

قال الصولي : " وقد زعم بعض الرواة أن هذه القصيدة ليست له ، وأنها ألحقت بشعره ، وأنها لبعض النمريين ."(٣)

٢ــ قلة شعر الشاعر ، وجودة هذا القليل سببان قد يغريان الشعراء الآخرين الأكثر منه شهرة بانتحال شعره ، روى أبو عبيدة معمر بن المثنى أن شعراء غطفان كانت تغير على شعر قراد بن حنش ، فتأخذه ، وتدعيه ، مثلما فعل زهير بن أبي سلمى الذي ادعى الأبيات التي منها :

إن الرزيئة لا رزيئة مثلها ما تبتغي غطفان يوم أضلت .(٤)

١ــ الموشح ، ص ٣٧ ، وفحولة الشعراء ، ص ١٠

٢ــ المصدران السابقان

٣ــ الموشح ، ص ٤٣ (والخيفانة : الجرادة ، شبه فرسه بها لسرعتها وخفتها ، حاشية التحقيق ، ص ٣٩) .

٤ــ نفسه ، ص ٥٩ ، وطبقات ابن سلام ، الفقرة رقم ٩٠٥ ، والأغاني ، جـ ١٠ ص ٢٩٩ والأبيات في ديوان زهير ، ص ٣٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ــ شعر الشاعر المغرق في القدم قد يؤدي إلى الصعوبة في معرفة مالـه مـن شعر صحيح النسبة إليه ، وخير مثال على ذلك شعر مهلهل الذى قال عنه راوية محقق كالأصمعي : " وأكثر شعره محمول عليه "(١) وذلك في أعقاب قوله عنه : إنه أول من قصد القصائد(٢) ، إشارة إلى قدمه .

٤ــ وربما كان لين شعر الشاعر ، وسهولة منطقه من أسباب حمل الشعر عليـه بحيث يغدو الرواة المحققون عاجزين عن تمييز شعره الذى له ، من الشعر الـذى حمل عليه .

فعدى بن زيد لأنه " كان يسكن الحيرة ، ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد ، واضطرب فيه خلف الأحمر ، وخلط فيه المفضل فأكثر ."(٣)

٥ــ الطابع العام لمضمون شعر شاعر مشهور قد يكون من أسباب حمل شعـر آخر يجرى مجراه عليه ، روى الأصمعي أن القصيدة التي مطلعها :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا الموتُ كَأْسٌ فالمَرْءُ ذائِقُها

والتي تنسب إلى أمية بن أبي الصلت إنما هي لرجل من الخوارج .(٤) إذ لما كـان الزهد هو المحور العام لمضامين قصائد أمية ، وكان مضمون هذه القصيدة المجهولـة القائل هو الزهد ، حملت هذه القصيدة على أميـة .

٦ــ الرواة غير المحققين قد ينسبون الشعر إلى غير قائله . وفي ذلك يقـول المرزباني فيما رواه عن يوسف بن يحيى بن علي المنجم عن أبي حاتم السجستانـي تلميذ الأصمعي : " قال أبو حاتم ، ولما قدم الأصمعي من بغداد دخلت إليه ، فسألتـه عمن بها من رواة الكوفة ، قال : رواة غير منقحين ، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دواد الإيادى قالها خلف الأحمر ، وهم قوم تعجبهم كثرة الرواية ، إليها يرجعون ، وبها يفتخرون ."(٥)

١ــ الموشح ، ص ١٠٦
٢ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٥
٣ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٣ ، وطبقات ابن سلام ، الفقرة ١٧٠
٤ــ الموشـح ، ص ١١٢ (ومات عبطة : أى شابا ، وقيل شابا صحيحا . حاشيـة التحقيق من الصفحة نفسها) وانظر ديوان أمية بن أبي الصلت ، ص ١٢١
٥ــ المصدر نفسه ، ص ٣٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا / الانتحال في العصرين الأموي والعباسي — دراسة في بواعثه —

تكثر في " الموشح " الأخبار التي تتحدث عن ظاهرة انتحال الشعر ونحله في العصر الأموي على وجه الخصوص ، وتكاد تنحسر في العصر العباسي، إلا ماجاء منها عن الشاعرين أبي تمام ، وأبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، على ما أثبتنا ذلك من قبل .

فما أسباب شيوع ظاهرة الانتحال والنحل في العصر الأموي ، وانحسارها في العصر العباسي ؟

لم يرد في الموشح إجابة محددة عن ذلك ، ولكن يستطيع الدارس من خلال النظر في الروايات عن الانتحال والسرقات الشعرية ، أن يتلمس إجابة معقولة مقبولة ، فقلة الأخبار عن الانتحال في العصر العباسي ، وكثرة الحديث عن السرقات فيه ، مردها — في أغلب الظن — إلى طغيان حركة التأليف ، وصناعة الدواوين الشعرية ومجاميعها (١) ، فغدت الأشعار معروفة النسبة إلى أصحابها الحقيقيين ، وأغلق أمام الشعراء ، إلا قليلا ، باب الانتحال ، فتحولوا ، أو تحول فريق منهم، تحولا فنيا إلى طريق أصعب مرتقى هو باب السرقات الشعرية ، وهذا ما قد يفسّره كثرة المؤلفات في سرقات الشعراء في هذا العصر .

أما العصر الأموي فقد كانت ظاهرة الانتحال فيه مستشرية ، لأن الشعر لم يكن قد دون ، (٢) وهذا ما قد يشهد له — كما أسلفنا — كثرة الروايات في الموشح عن الانتحال والنحل ، وهي كثرة تفوق في مقدارها الأخبار عن السرقات الشعرية .

والى جانب ذلك ، هناك أسباب ساهمت في شيوع ظاهرة الانتحال في العصر الأموي على وجه الخصوص ، بعضها شخصي ، وبعضها الآخر قبلي .

أما الأسباب القبلية فمردها إلى الصراع بين بعض القبائل العربية ، وكان الشعراء قد شاركوا بقريضهم في هذا المعترك ، فإذا برز في قبيلة الخصوم شاعر فحل ، تصدى له شعراء القبيلة الأخرى ضامين جهودهم بعضها إلى بعضها الآخر للتغلب عليه .

---

١ — انظر في ذلك مثلا حديث ناصر الدين الأسد عن تدوين الدواوين المفردة ، ودواوين القبائل ، والمختارات الشعرية ، مصادر الشعر الجاهلي ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢ ، ص ٤٨١ — ٥٩١

٢ — نقصد بالتدوين هنا التدوين المنهجي الشامل ، وانظر: مصادر الشعر الجاهلي ، ص ٤٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأمثلة في " الموشح " على ذلك كثيرة ، من ذلك أن شعراء تيم الذين كانوا رعاة غنم ، يفدون " في غنمهم ثم يروحون ، وقد جاء كل رجل منهم بأبيات ، فيرفدون بها عمر بن لجأ . "(١) لكي يثبت في حلبة الصراع القبلي أمام جرير . وكان تألب جهود هؤلاء الشعراء التيميين يؤلم خصمهم جريرا ، فقد قيل له : " من هاجيت فكان أشد عليك ؟ قال : التيم ، كنت أقول القصيدة أحب اليّ من بكرى ، فيجتمعون فينقضونها حرفا حرفا . "(٢)

وروى الصولي عن بشار بن برد أن ربيعة كانت تتعصب للأخطل ، وهي مع إقرارها بأنه لم يكن مثل جرير والفرزدق " ولكنهما كانا من مضر ، فكرهت ربيعة ألا يكون منها مثلهما ، فتعصبت له ، ورفعته منه ، ولقد كان يجتمع هو وجماعة من قومه على شرابهم فيقول هذا بيتا ، ويقول هو الأكثر ، ويختار الأخطل حتى تجتمع قصيدة ، فيبعث بها إلى جرير . "(٣)

ويبدو أن جريرا أدرك بحسه الشعرى ، أن بعض الشعر الذى يهجوه به الأخطل ليس من نظمه وحده ، وأن هناك من يرفده به فقال : " إنه والله ، ما يهجوني الأخطل وحده ، وإنه ليهجوني معه خمسون شاعرا ، كلهم غزير ، ليس بدون الأخطل ، وذلك أنه إذا أراد هجائي جمعهم على شراب ، فيقول هذا بيتا وهذا بيتا ، حتى يتعوا القصيدة ، وينتحلها الأخطل . "(٤)

وأما الأسباب الشخصية فيمكن بلورة ما جاء من أخبار عنها في العصرين الأموى والعباسي بما يلي :

١ــ إعجاب شاعر ذائع الصيت بشعر شعراء آخرين أقل منه شهرة وسطوة ، فيغري ذلك الإعجاب أمثال هذا الشاعر بانتحال ما راقه منهم . وقد أثبتنا من قبل أمثلة على جرأة الفرزدق باغتصابه أشعارا لذى الرمة ، وجميل بن معمر ، وابن ميادة ، والراعي ، والشَّمَرْدَل اليَرْبوعي .(٥)

١ــ الموشح ص ٢٠٦ ، وانظر : الأغاني ، جـ٨ ، ص ٧٨ ، والاشتقاق ، ص ١٨٦

٢ــ الموشح ، ص ٢٠٦

٣ــ نفسه ، ص ٢٢١

٤ــ نفسه ، ص ٢٢٤

٥ــ لمزيد من التفصيل ، انظر : الموشح ، من ص ١٦٧ — ١٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن الغرزدق كان يتبع منهجا ذكيا يخفي به ما كان ينتحله من شعر ، هو بث ما يضم من الشعر في ثنايا قصائده ، ثم إشاعة هذا الشعر بين الرواة على أنه كله له . فقد "روى أحمد بن أبي طاهر، عن حماد بن اسحاق، عن محمد بن سلام ، عن كردين البصري أن عريفهم عون بن ثعلبة عَلِق بالغرزدق ، وقال : ياعدو الله ، سرقتنا قول صاحبنا الأعلم العَبْدي .

إذا اغْبَرَّ آفاقُ السماءِ وكَشَّفَتْ سُتُورَ بُيُوتِ الحَيِّ حَمْراءُ حَرْجَفُ

قال : وهذه الأبيات للأعلم كلها ، وأدخلها الغرزدق في قصيدته :

عَرَفْتَ بأعْشَاشٍ وما كِدْتَ تَعْرِفُ وأنْكَرْتَ مِنْ حَوْرَاءَ ما كُنْتَ تَعْرِفُ

مع ما سرق من جميل فيها ، قال : فقال له الغرزدق : اذهب فخذها من الرواة قال : فخلى سبيله ."(١)

وحاول بعض المعجبين بشعر الغرزدق أن يسوغ له انتحاله أشعار غيره ، فهذا يحيى بن علي المنجم يقول : "إنما فعل الغرزدق بجميل وذي الرمة وغيرهما هذا ، لأنه لما مر به شعر جيد ، رأى نفسه أحق به من قائله ، لفضله عليه في الشعر ، ولأنه من جنس جيده لا رديء قائله ."(٢) وما نظن أن أحدا يقبل بهذا التعليل .

٢ــ قلة اشتهار الشاعر في قطر قد يكون مدعاة لانتحال شعراء ذلك القطر لشعره ، والخبر التالي يوضح ذلك ، قال المرزباني : "حدثني أحمد بن محمد المكي ، قال حدثنا أبو العيناء ، قال : حدثنا الأصمعي ... قال : كان أبو نُخَيْلة ينتحل شعر رؤبة ابن العجاج ، فقال له رؤبة : إياك وإياه بالعراق ، وخذ منه بالشام ماشئت ."(٣)

وللسبب نفسه كان بعض شعراء القرى يشترى ما يروقه من شعر بعض شعراء البوادي المغمورين .(٤)

٣ــ خشية بعض الشعراء من سلاطة لسان شاعر كالغرزدق كانت تدفعهم إلى السكوت عن اغتصابه شعرهم ، وتغريه ــ في الوقت نفسه ــ بانتحال ما يروقه من شعر أولئك الشعراء ، وقد عبر عمر بن شبة عن هذا حين قال : "كان الغرزدق مهيبا تخافه الشعراء

١ــ الموشح ، ص ١٧٣ . (الحرجف : الريح الشديدة الهبوب أو الريح الباردة / حاشية الصفحة نفسها) .
٢ــ المصدر نفسه ، ص ١٧٥
٣ــ المصدر نفسه ، ص ٣٤٣ ، وانظر الخبر برواية أخرى : المصدر نفسه ، ص ٣٤٤
٤ــ المصدر نفسه ، ص ٣٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمر يوما بالشمردل اليربوعي ، وهو ينشد ، حتى بلغ إلى قوله :

وَما بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وطَاعةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الحَلاقِمِ

فقال : والله لتتركن هذا البيت ، أو لتتركن عرضك ، فقال : خذه على كره مني ، لا بارك الله لك فيـــه .(١)

وقال أحمد بن أبي طاهر في ذلك أيضا : " كان الفرزدق يصلت على الشعراء ينتحل أشعارهم ، ثم يهجو من ذكر أن شيئا انتحله أو ادعاه لغيره .(٢)

٤ـ وقد تكون الخصومة السياسية وراء اتهام بعض الشعراء بالانتحال ، فجل الأخبار عن انتحال كُثيِّر بن عبد الرحمن شعر جميل بن معمر كان مصدرها الزبير بن بكار ،(٣) إذ لا يعقل أن يقول كثير عن نفسه حينا : " والله إني لأروى لجميل ثلاثين قصيدة لا يعرفها الناس ولا يرويها أحد غيـــري .(٤) ،

وحينا ثانيا : " أمت له ألف قافية ـ يقول سرقتها فغلبت عليها ."(٥) وعبر المرزباني عن شكه في أقوال الزبير على كثيِّر بتحامل الزبير بن بكار على كثير لهجاء كثير لولد عبد اللـــه ابن الزبير .

٥ـ تَزيُّد بعض أبناء الشعراء في شعر آبائهم ، وهو تزيد أربك راوية محققا كالأصمعي فقد روى عنه أنه قال في شعر الأغلب العجلي : " ما أروى له إلا اثنتين ونصفا " فقيل له : " وكيف قلت نصفا ؟ قال : أعرف له اثنتين ، وكنت أروي نصفا من التي على القاف فطولوها ، ثم قال : وكان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه .(٦)

١ـ الموشح ، ص ١٧١

٢ـ المصدر نفسه ، ص ١٦٨ ، وانظر ما حدث به أبو اليقظان عن رجل من بني ربيع بن الحارث وخشيته من ايقاف الفرزدق على ما سرق من المخبل ، الموشح ، ص ١٧٦

٣ـ انظر الأخبار عن انتحال كثير وسرقاته : المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ ، ٢٤٣ ـ ٢٤٥

٤ـ المصدر نفسه ، ص ٢٣٥

٥ـ المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ . وفي عبارة المرزباني إشارة إلى كتاب الزبير بن بكار " أخبار كثيِّر " انظر: جمهرة نسب قريش ، مقدمة التحقيق ، ص ٧٠ . وانظر: مناقشة إحسان عبـــاس لاتهام الزبير بالتحامل على كثير عزة ، ديوان كثير ، ص ٩ ـ ١٠

٦ـ الموشح ، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن الأصمعي وحده هو الذى اضطرب في شعر الأغلب ، بل لقد خلط فيه خلف الأحمر الذى قال معبرا عن سبب هذا التخليط : "كان من ولد ، إنسان يصدق في الحديث والروايات ، ويكذب عليه في شعره ." (١)

وفي رأينا أن سبب تخليط هذين الراويتين في شعر الأغلب مرده إلى التقارب الفني في مستوى الشعر المحمول على الأغلب من مستوى الشعر الصحيح النسبة إليه .

أما اذا اختلف هذا المستوى الفني فإن الميز بين الضربين يكون أسهل ، وهذا ما يوضحه رأي الأصمعي ونظرته الاستقرائية الداخلية في شعر أعشى همدان ، فقد روى ابن دأب البيتين التاليين على أنهما من شعر الأعشى ، وهما :

مَنْ دَعا بِيْ غُزَيِّلِي أَرْبَحَ اللّهُ تِجَارَتُهْ
وخِضابٌ بِكَفٍّ أَسْوَدُ اللونِ قَارِتُهْ

ووقف الأصمعي على رواية ابن دأب لهذين البيتين ، فلاحظ أن مابهما من لحن وتصور في الأداء لا يسمحان بأن يكون قائلهما شاعرا فحلا كأعشى همدان ، فقال في ذلك ساخرا : " العجب من ابن دأب حين يزعم أن الأعشى قال : " البيتان " ثم قال: سبحان الله ! يحذف الألف التي قبل الهاء في اسم الله عز وجل ، ويسكن الهاء ، ويرفع تجارته ثم يجوز هذا عنه ، ويروى عن مثله ! ثم قال : قال لي خلف : والله لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين يجوز عنه مثل هذا ." (٢)

٦ـ الخصومة الشخصية قد تكون من أسباب اتهام بعض الشعراء بالانتحال ، وخير ما يمثل ذلك اتهام دعبل بن علي الخزاعي أبا تمام بسرقته قصيدته في رثاء محمد بن حميد الطوسي من مكنف أبي سلمى ،(٣) وقد احتج أبو الفرج الأصفهاني لأبي تمام عندما بين أن دعبلا كان شديد الحسد لأبي تمام ، وأنه لذلك كان يكثر من رميه بالانتحال والسرقة .(٤)

١ـ الموشح ، ص٣٣٤
٢ـ المصدر نفسه ، ص٣٠١ ، وورد هذا الخبر في : مراتب النحويين ، ص٩٩ ، والأغاني جـ٦ ، ص٥٦ . (وابن دأب راوية متهم بالكذب ، اسمه عيسى بن يزيد بن بكر من بني الشداخ ، ويكنى أبا الوليد . انظر : أبو الطيب اللغوى : مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ص٩٩
٣ـ انظر في ذلك : الموشح ، ص٥٠٢ ، والموازنة ، جـ١ ، ص٦٩ .
٤ـ انظر في ذلك : الأغاني ، جـ١٦ ، ص٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا، واستعملت في الموشح مصطلحات متعددة للتعبير عن الانتحال ، من هذه المصطلحات:

أ ـ الإغارة : " قال الزبير : فأغار كُثيِّر على البيتين ، فأدخلهما في قصيدته ".(١)

ب ـ الشد : "فشد الفرزدق على هذا البيت ..".(٢)

جـ : الاجتلاب : "كان الفرزدق يجتلب القصيدة ..".(٣)

د ـ الغلبة : "غلبني ـ الفرزدق ـ على قصيدة عمي الأعلم ".(٤)

هـ ـ النسخ : " أخذه ـ الفرزدق ـ نسخا ...".(٥)

ثانيا / السرقات الشعرية (في الموشح)

" البحث في الأصالة والابتداع والتقليد والاتباع"

في الموشح وقفات طوال عند السرقات الشعرية باعتبارها واحدة من المآخذ التي أخذها بعض العلماء على مجموعة من الشعراء .

وقبل الخوض في الحديث عن السرقات الشعرية في الموشح ، لا بد من التذكير بما سبق أن قلته وهو أن المرزباني كان قد وعد في خطبة كتابه بألا يقف عليها ، مع تسليمه بأنها أحد عيوب الشعر، لأنه خصها بدراسة مفصلة في كتابه " كتاب الشعر" .

والواقع أن المرزباني أخلف وعده بألا يقف على سرقات معاني الشعر ، فالموشح زاخر بالأخبار عن سرقات عدد كبير من شعراء الأعصر الجاهلية والأموية والعباسية، وسيدور الكلام على السرقات الشعرية في الموشح في المحاور التالية : عدة الناقد في الكشف عن سرقات الشعراء ، ومواقف النقاد من السرقات ، السرقات الحسنة المعذورة ، والسرقات المعيبة المذمومة ، والإجازة وصلتها بالسرقات ، والتوارد ، والقول في السرقات بعد الموشح، والتزيد في بعض أخبار السرقات في الموشح .

---

١ ـ انظر : الموشح ، ص٢٤٤ .
٢ ـ نفسه ، ص١٧٣
٣ ـ نفسه ، ص١٧٥
٤ ـ نفسه ص١٧٥
٥ ـ نفسه ، ص١٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ ـ عدة الناقد في الكشف عن سرقات الشعراء :

يحتاج الناقد ، من جملة ما يحتاج إليه ، إلى كثير من الفطنة والذكاء ، والى ذاكرة حافظة ، والى سعة اطلاع على نتاج الشعراء السابقين منهم واللاحقين؛ليتسنى له الربط بين المتقدم والمتأخر ، ومعرفة السابق من اللاحق حتى يكون لحكمه على الشاعر بالأخذ او الابتكار وجه مقبول ، فلا يلقي أحكامه من غير بيّنة ، وخاصة إذا علمنا مهارة بعض الشعراء الفائقة في إخفاء سرقاتهم ، ولسان حالهم ما قاله الأخطل : " نحن ، معاشر الشعراء ، أسرق من الصاغة ." (١)

وفي كتاب "الموشح" إشارات إلى شيء من هذه العدة التي يخلق بالناقد أن يتسلح بها ، روى ابن بشير المديني قال : لقيت الأخطل ذات مرة فسألني : " كيف عِلْمُك بالشعر؟ قلت : رويت . فأنشدني قصيدته :

صَرَمَتْ حِبالَكَ زَيْنَبٌ وَرَعُومُ

فلما انتهى إلى قوله :

حتّى إذا أخذ الزُّجَاجُ أكُفَّنا نَفَحَتْ فَأَدْرَكَ رِيحَها المَزْكُومُ

قال : ألست تزعم أنك تبصر الشعر؟ قلت : بلى . قال : فكيف لم تشق بطنك فضلا عن ثوبك عند هذا البيت ؟ قلت : قد فعلت عند البيت الذى سَرَقْتَ هذا منه . قال: وما هو؟ قلت : بيت الأعشى :

مِنْ خَمْرِ عَانَةَ قَدْ أَتَى لِخِتَامِها حَوْلٌ تَفُضُّ غَمَامَةَ المَزْكُومِ

فقال : أنت تبصر الشعر ."(٢)

فلو لم يكن ابن بشير المديني فطنا ، ولو لم يكن حافظا لما أدرك هذه السرقة ، ولما أقر له الأخطل بقوله : " أنت تبصر الشعر ".

---

١ ـ الموشح ، ص٢٢٥ ، وانظر رأى القاضي الجرجاني في صعوبة معرفة السرقات ، الوساطة ، ص١٨٣ ، وانظر كذلك رأيه ، ص ٢١٥

٢ ـ نفسه ، ص٢٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ــ مواقف النقاد من السرقات في الموشح

يستطيع الباحث، من خلال النظر فيما ورد من أخبار عن السرقات الشعرية في الموشح، أن يحدد اتجاهين بارزين في نظرة النقاد إلى السرقات، اتجاه يعتبر بعض السرقات معذورة مقبولة، واتجاه يعتبرها عيبا ومنقصة تقدح في شاعرية الشاعر.

(١) ــ السرقات المعذورة.

لم يستخدم أحد من النقاد هذا المصطلح، الا أن ابن المعتز في الرسالة التي جعلها في محاسن أبي تمام ومساويه يقول: " ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى، أو يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه، ولا يفتضح به، وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه، لا فقير إليه."(١)

وعلى هذا تكون السرقة معذورة إذا أتت على أحد الأوجه الثلاثة التالية:

١ــ السرقة التي تضيء المعنى المسروق وتجليه.

٢ــ السرقة التي ترد بلفظ أجزل من لفظ المسروق.

٣ــ السرقة التي يأتي فيها الشاعر بمعنى يلم فيه إلماما بمعنى سبق إليه، ولكنه يحوره فيفد و بتحويره له كأنه مبتدعه.

وقريب من هذا التصور في مفهوم السرقات المعذورة الذي حدده ابن المعتز تصور يحيى بن علي المنجم في الرسالة التي جعلها في العباس بن الأحنف والعتابي،(٢) ومما جاء فيها قوله: " وحق من أخذ معنى وقد سبق إليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه، أو يزيد فيه عليه حتى يستحقه، فأما إذا قصر عنه فإنه مسيء معيب بالسرقة."(٣)

وإذا كان ابن المعتز قد سكت عن ضرب الأمثلة على ألوان السرقات المعذورة، أو المقبولة، واكتفى بإيراد نماذج كثيرة على سرقات أبي تمام المعيبة،(٤) فإن يحيى بن علي المنجم دلل على اللونين جميعا: السرقة المقبولة، والسرقة المعيبة،

١ــ الموشح، ص ٤٧٨

٢ــ المصدر نفسه، ص ٤٤٩

٣ــ المصدر نفسه، ص ٤٥١

٤ــ المصدر نفسه، ص ٤٨٠، ٤٨٢ ــ ٤٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال : قال العتابي من قصيدة في مدح الرشيد .

في مآقِيَّ انْقِباضٌ عَنْ جُفُونِهما وفي الجُفُونِ عَنِ الآماقِ تَقْصيرُ

" وهذا بيت أخذه من قول بشار الذى أحسن فيه غاية الاحسان ، وهو قولـه :

جَفَتْ عَيْنِيْ عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَها عَنْها قِصَارُ

فمسخه العتابي ، على أن بشارا قد أخذه من قول جميل :

كَأَنَّ المُحِبَّ قَصِيرُ الجُفُـونِ لِطُولِ السُّهادِ وَلَمْ تَقْصُرِ

إلا أن بشارا قد أحسن في أخذه ، ولم يبلغ جميلا ." (١)

وقد تكون السرقة حسنة ، وذلك إذا عمد الشاعر المتأخر إلى بيت أو أبيات معيبة لشاعر متقدم ، فيحورها هذا الشاعر المتأخر تحويرا فنيًا متلافيا ما فيها من ثلم أو عوار ،

وهذا الضرب من السرقة يوضحه المثال التالي : " قال أحمد بن عبيد الله بـــن عمار . . . تأمَّـلَ ابنُ الرومي قول أبي نواس للعباس بن عبيد الله الهاشمي :

كَيْفَ لا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَـلٍ مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِهْ

وسمع طعن الرواة عليه في أن جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، مضافا إلى العباس ابن عبيد الله ، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولى بأن يضاف إليه العباس ، فقال ابن الرومي يمدح إسماعيل بن بلبل :

قَالُوا: أبو الصَّقْرِ مِنْ شَيْبانَ، قُلْتُ لَهُمْ كَلَّا لَعَمْرِي ، ولكنْ مِنْه شَيْبَـانُ
وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلا بابْنٍ ذُرَى شَـرَفٍ كَمَا علا برسولِ اللهِ عَدْنَـــانُ
تَسْمُو الرِّجالُ بآباءٍ ، وآونَـــــةً تَسْمو الرجالُ بأبْناءٍ وتَزْدَانُ . " (٢)

وقد يغدو المعنى المسروق أحلى وأجود إذا تناوله شاعر مبدع قد اكتملت لديـــه مقومات الابداع . اتهم دعبل بن علي الخزاعي أبا تمام بتتبعه لمعانيه وأخـــذه لها ، فقال له رجل كان حاضرا في مجلس مذاكرة : ما من ذلك أعزك الله ؟ قال : قلت :

إنَّ امْرأً أَسْدَى إليَّ بشافِـعٍ (٣) إليه ، ويَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي لأَحْمَقُ
شَفيعَك فاشْكُرْ في الحوائِجِ إنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْروهِهَا وهو يُخْلِق

---

١ ـ الموشح ، ص ٤٥٠
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٤٣٣ .
٣ ـ اقرأ " وإن امرأ " ، الموشح ص ٤٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال له رجل : فكيف قال أبو تمام ؟ قال : قال :

فلقيتُ بَيْنَ يديْكَ حُلْوَ عطائِـــهِ ولقيتَ بيْنَ يدَيَّ مُرَّ سُؤالِهِ

وإذا امْرؤٌ أسْدَى إليّ صَنيعَـةً مِنْ جَاهِهِ فكأنّها مِنْ ماله.

فقال الرجل . . . والله لئن كان ابتدأ هذا المعنىٰ وتبعته فما أحسنت ، ولئـــن كان أخذه منك لقد أجاده فصار أولى به منك ."(١)

ب ـ السرقـــات المعيبـــة :

حظي الحديث عن السرقات المعيبة بالجزء الأكبر من الحديث عن السرقات بوجه عام ، وذلك أمر طبيعي يتلاءم مع خطة " الموشح " ومادته ، وقد استخدم في التعبير عن السرقة المذمومة مصطلحات كثيرة ، يمكن حصر أهمها بما يلي :

١ـ الأخذ وهو سرقة شطر بيت ، وذلك ضرب من السرقات ساذج لا يعدو كونه مظهرا آخر من مظاهر الانتحال ، ومن أمثلة ذلك ما لاحظه ابن المعتز في سرقة زياد ابن قُنَيْع النَّضْري بيتـه :

رَأَيْتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ تَصِرْ حَرَضًا مِنْ عَرْكِها بالكَلاكِلِ

من قول زهير :

رَأَيْتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْه ، وَمَنْ يُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيُهْرَمِ

وقد عد ابن المعتز بيت زياد أقبح من قول زهير ، فقائله إسلامي ، ومع ذلك أباح لنفسه أن يسرق بيتا لشاعر جاهلي لفظا ومعنى على مافيه من زندقة .(٢)

ومن أمثلته كذلك سرقة إسحاق بن إبراهيم الموصلي بيته في مدح الخليفة الواثق :

ضَنَّتْ سُعادُ غداةَ البَيْنِ بالزَّادِ وأَخْلَفَتْكَ فما تُوفي بِميعـــــادِ

من قول الأحوص:

ضَنَّتْ سُعادُ غداةَ البيْنِ بالزَّادِ وآثَرَتْ حَاجَةَ النَّاوِي على الغَادي

وعلق أبو الحسن علي بن هارون على بيت إسحاق بقوله : " وما أعجبَ أمر اسحاق في هذا الابتداء ، واستجازته أخذه نقلا مع علمه بقبح ما في السرق الذى هذه سبيله ".(٣)

١ـ الموشح ، ص ٤٥٨ ، وانظر : أخبار أبي تمام ، ص ٦٤

٢ـ نفسه ، ص ٦١

٣ـ نفسه ، ص ٤٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ــ المسخ والمضغ والتكلف .

وهو ضرب من السرقات مرذول ، وفيه يعمد شاعر متأخر إلى بيت أو أبيات قالها شاعر متقدم فيحور بناءها ومعناها ، ثم يجيء شاعر ثالث فلا يعمد إلى الأصل فيقلده ، بل يعمد إلى الصورة الثانية المنسوخة فيحورها ، فيأتي عمله متعثرا معيبا ، ومن أمثلة هذا الضرب من السرقات أن الأعشى قال :

أَرَيْحِيَّةٌ ضَلَّتْ يَظَلُّ له القَوْ ... مُ قِيامًا قِيامَهم لِلْهِلالِ

فأخذه الفرزدق فقال في سعيد بن العاص :

تَرَى الفُرُّ الجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ ... إذا ما الأَمْرُ في الحَدَثانِ عالا

قِيامًا يَنْظُرونَ إلى سَعِيدٍ ... كأَنَّهُمُ يَرَوْنَ به هِلالا

" فأخذ هذا ذو الرمة فمسخه ومضغه وتكلفه ، فقال يمدح بلال بن أبي بردة، ولم يكن له حظ في المدح :

كَأَنَّ النَّاسَ حِيْنَ يَمُرُّ حَتَّى ... عَواتِقَ لم تَكُنْ تَدَعُ الحِجَالا (١)

قِياماً يَنْظُرونَ إلى بِلالٍ ... رِفاقُ الحَيِّ أَبْصَرتِ الهِلالا ."

٣ــ ومن المصطلحات المستخدمة في " الموشح " في موضوع السرقات : الطرد والمحاكاة، ومع أنه لم يرد في الموشح مثال يحدد مفهوم الطرد ، إلا أنه، فيما يبدو، ضرب من المحاكاة، وفي ذلك قال أحمد بن أبي طاهر : كان الأعشى راوية المسيب بن علس ، والمسيب خاله ، وكان يطرد شعره ، ويأخذ منه ." (٢)

وعن المحاكاة واللحاق أن رجلا قال للعتابي : ما أردتَ بقولك :

فِيْ نَاظِرَيَّ انْقِباضٌ عَنْ جُفُونِهِما ... وفِيْ الْجُفُونِ عَنِ الآمَاقِ تَقْصِيرُ

... فقال : أردت أن أحكي قول بشار :

جَفَتْ عَيْنِيْ عن التَّغْمَاضِ حَتَّى ... كَأَنَّ جُفُونَها عَنْها قِصَارُ

يُرَوِّعُهُ السِّرار بِكُلِّ فَجٍّ ... مَخافَةَ أَنْ يَكونَ به السِّرارُ (٣)

١ــ الموشح ، ص ٢٨٥ــ ٢٨٦ . الفرزدق : البارز ، الجحاجح : السادة الكرام . الحدثان : الليل والنهار . العاتق : البكر من الجواري وهي في بيت أبويها . الحجال : بيت تستر فيه الفتاة / انظر اللسان

٢ــ نفسه ، ص ٤٣٩

٣ــ السِّرار بالكسر إذا تكلم سرا مع غيره / اللسان ، سرر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلم يتهيأ أن ألحق هذا القول ، قال : فصار الرجل إلى بشار ، فقال : قلت أحسن بيت ، ثم أفسدته بالبيت الثاني ، وأنشده البيتين ، فقال بشار : أردت أن ألحق قول المجنون :

كأنَّ القَلْبَ لَيْلَةَ قِيْلَ يُغْدَى ... بِلَيْلَى العَامِرِيَّةِ أو يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ ... تُجاذِبُه وقَدْ عَلِقَ الجَنَاحُ

فلم أُحْسِنْ أن أقول كذلك . "(١)

ويلاحظ الدارس أن هذا الضرب من السرقة أدخل في باب التأثر منه بباب السرقات . فاذا تجاوزنا مدخل المصطلحات التي تحدد ضروب السرقة وجدنا أنواعا من السرقة لا تحدد بمصطلح مثل :

أ ـ السرقة المتكلفة اللفظ . وقد مثّل عليها أبو بكر الصولي بقول البحتري :

كانَتْ بَشَاشَتُكَ الاولى التي ابتدأت ... بالبِشْرِ ثُمَّ اقْتَبَلْنَا بَعْدَهَا النِّعَمَا
كالمُزْنَةِ اسْتَوْبَقَتْ أُولَى مَخِيلَتِها ... ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ بِغُزْرٍ تابَعَ الدِّيَما

وهو من قول أبي تمام :

يَسْتَنْزِلُ الأَمَلَ البعيدَ بِبِشْرِهِ ... بُشْرَى المُخيلةِ بالرَّبيعِ المُغْدِقِ (٢)
وكذا السحائبُ قَلَّ ماتَدْعُو إلى ... مَعْرُوفِها الرُّوَّادَ مالَمْ تَبْرُقِ

قال الصولي معلقا على هذه السرقة : " فسبحان الذي حوّل تكلف أبي تمام إلى البحتري ، وطبع البحتري إلى أبي تمام ، والأمر في هذا أوضح من أن يحوج إلى كلام عليه ، أو تبيين له . "(٣)

ب ـ سرقة المعنى واللفظ مما ليس انتحالا ، من ذلك قول أبي تمام يصف شعره :

مُنَزَّهَةٌ عن السَّرَقِ المُوَرَّى ... مُكَرَّمَةٌ عن المَعْنَى المُعَارِ

فقال البحتري ، وقد أخذه نقلا فأخذ اللفظ والمعنى " (٤)

لا يَعْمَلُ المعنى المكرَّ ... رُ فيه ، واللَّفْظُ المُرَدَّد

---

١ ـ الموشح ، ص ٣٨٩
٢ ـ معنى البيت : كما تبشر السحابة التي أخالت بالمطر فكذا بشر هذا يبشر بالنجاح ، والربيع : المطر الذي يجيء في الربيع ، انظر : ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ، جـ ٢ ، ص ٤١٨ .
٣ ـ الموشح ، ص ٥٠٨ ، وانظر أخبار أبي تمام ، ص ٧٦
٤ ـ الموشح ، ص ٥٠٨ ، وانظر : أخبار أبي تمام ، ص ٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣)ـ الاجازة وصلتها بالسرقات .

وردت في الموشح أخبار كثيرة عن حالات من الإكداء يصاب بها الشعراء فتتوقف قدراتهم عن التدفق ، فيلجأون إلى الآخرين يسترفدونهم .

من ذلك الخبر عن إكداء زهير واضطراره إلى سؤال النابغة أن يجيزه فأجازه ،[١] وكخبر إكداء النابغة في حضرة النعمان بن المنذر ، واضطراره إلى سؤال زهير أن يجيزه ، فأكدى زهير كذلك ، حتى أجازهما كعب بن زهير ،[٢] وكإجبال حسان بن ثابت ، وإجازة ابنته له ،[٣] وكإجبال الفرزدق[٤] والعباس بن الأحنف .[٥]

ونحن نجد أن الشعر الذي رفد به هؤلاء الشعراء غدا جزءا من قصائدهم . فهل يعد ذلك سرقة أو انتحالا ؟

ليس في الموشح إجابة شافية عن ذلك ، وغاية ما يستطيع المرء أن يتلمسه من هذه الأخبار جميعا ، أن المرزباني يعدها ضربا من المآخذ التي أخذها بعض العلماء على أولئك الشعراء ، وإلا لما كان حريصا على ضمها إلى مادة كتابه .

ولكن بعد عصر المرزباني بزمن غير قصير ، عدّ ابن رشيق المرافدة أو الاجازة ضربا من السرقات فقال في باب أنواع السرقة : " .. وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والغصب وبينهما فرق .. فإن أخذه هبة فتلك المرافدة ، ويقال الاسترفاد."[٦] وابن رشيق لا يعتبر المرافدة عيبا ولكنه حصرها في الحذاق من الشعراء ، يقول : " والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك ، إذا كانت شبيهة بطريقته ، ولا يعد ذلك عيبا ، لأنه يقدر على عمل مثلها ، ولا يجوز ذلك الا للحاذق المبرز ."[٧]

١ـ انظر : الموشح ، ص ٥٧ .
٢ـ المصدر نفسه ، ص ٥٨
٣ـ المصدر نفسه ، ص ٨٦
٤ـ المصدر نفسه ، ص ١٧٧
٥ـ المصدر نفسه ص ٤٤٨
٦ـ العمدة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢
٧ـ المصدر نفسه ، ص ٢٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحس الدارس أن هناك تزيدا في بعض الأخبار التي وردت عن الإجازة في الموشح، بحيث لا يبعث على الاطمئنان مثلا ما قيل عن إجازة كعب بن زهير أباه أو النابغة، فالخبر يقول : كان كعب يومئذ صبيا ، فأراد أن يلحق بأبيه وبصاحبه عندما خرجا إلى البرية ، فزجره والده ، وأراد أن يمنعه ، ولكن النابغة أردفه خلفه حتى كان ما كان من إجازتهما . وأكبر الظن أن هذا الخبر مختلق ، وأن الغاية من اختلاقه تزكية كعب ، وإقرار بنبوغه .

(٤) — التوارد .

وردت في " الموشح " إشارة عابرة إلى قضية التوارد ، وذلك في معرض نفي التهمة عن جرير بأنه سرق ، فقد قال الأصمعي في ذلك : " وأما جرير فما علمته سرق إلا نصف بيت " ثم قال : " ولا أدري ، ولعله وافق شيء شيئا . "(١)

وكان الجاحظ من أسبق النقاد العرب الذين وقفوا على ظاهرة التوارد ، حيث قال : كان الشعراء يتخذون من التوارد وسيلة يدافعون بها عن أنفسهم عندما يرميهم النقاد بالسرقة .(٢) وممن أشار إلى التوارد من النقاد العرب القدامى القاضي الجرجاني ، وابن رشيق القيرواني ، أما القاضي الجرجاني فأورد رأيه في هذه الظاهرة في معرض دفاعه عن الشعراء الذين يرمون ظلما بالسرقة .(٣) وأما ابن رشيق فقد اشترط لقبوله بها أن يكون الشاعران متعاصرين ، ولم يسمع أحدهما شعر الآخر .(٤)

(٥) السرقات في كتب ألفت بعد " الموشح "

ظلت نظرة النقاد إلى السرقات الشعرية محصورة في النطاق الذي أبرزه الموشح ، ولم تجدّ إضافة تذكر في هذا الموضوع غير الإضافات اليسيرة التي أضافها القاضي الجرجاني عندما تحدث عن الأدوات(٥) التي يجب توافرها في الناقد الذي يتصدى لدراسة سرقات الشعراء ، وعندما فصّل الحديث عن أنواع السرقات .(٦)

---

١ — الموشح ، ص ١٦٧
٢ — انظر : الحيوان ، جـ ٣ ، ص ٣١١
٣ — انظر : الوساطة ، ص ٥٢
٤ — انظر : العمدة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ ، وانظر تعريف الخطيب التبريزي للتوارد : الكافي تحقيق الحساني حسن الله ، مؤسسة عالم المعرفة ، بيروت ، ص ٢٠٢
٥ — انظر : الوساطة ، ص ٢١٥
٦ — المصدر نفسه ، ص ١٨٣ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا ما صرنا إلى القرن الخامس الهجرى ألفينا ناقدين من نقاده يضيف كل منهما تصورا جديدا إلى ظاهرة السرقات الشعرية ، الأول هو الثعالبي الذى وقف على ما وقف عليه سابقوه من هذه القضية ، ولكنه أضاف بعدا جديدا إليها عندما خصص فصولا في كتابه " اليتيمة " للحديث عن تكرار بعض الشعراء معانيهم ، مما يمكن أن يدخل في باب " السرقات الشخصية "(١) من ذلك قوله عن السَّرِيّ الرَّفَّاء في أعقاب حديثه عن سرقاته من الشعراء : " وقد أخذت بطرف من سرقاته ، ولا بأس أن أورد بعض ما كرره من معانيه ."(٢)

والثاني عبد القاهر الجرجاني الذى ركز في النظر إلى قضية السرقات على التصوير والتخييل ، لا على مجرد التشابه المعنوى أو اللفظي ، انطلاقا من نظرته إلى أن الأساس في العمل الفني هو النظم .(٣)

أما غير هذين الناقدين فلم يضيفوا جديدا ، بل إن ناقدا من نقاد الموشح هو يحيى ابن علي المنجم كان أرحب صدرا ، وأوسع إدراكا في نظرته إلى السرقات الشعرية من ناقد مشهور هو ابن الأثير ، فبينما يقول يحيى بن علي المنجم : " لا يسرق الشعر إلا من عرفه "(٤) نجد ابن الأثير يقول : " والذى عندي في السرقات ، أنه متى أورد الآخر شيئا من ألفاظ الأول في معنى من المعاني ، ولو لفظة واحدة ، فإن ذلك من أدل الدليل على سرقته ."(٥)

ولا بد من الإشارة إلى جهود حازم القرطاجني في دراسة ظاهرة السرقات ، وذلك عندما آثر أن يستخدم لفظة " سرقة " للضرب المعيب من ألوان السرقات الشعرية ، ومصطلحات : الاختراع ، والاستحقاق ، والشركة ، لما كان النقاد قبله يسمونه سرقة حسنة .(٦)

١ــ انظر : القاضي الجرجاني ، الأديب الناقد ، ص ٢٠٩ وقد ذكر الأستاذ السمرة أن هذا الضرب من السرقات ذكره النقاد الغربيون ، ولم يذكره أحد من النقاد العرب .

٢ــ اليتيمة ، جـ٢ ، ص ١٣٤ ، وانظر كذلك حديث الثعالبي عن تكرار المتنبي لمعانيه جـ١ ، ص ١٣٨ .

٣ــ انظر : أسرار البلاغة ، تصحيح محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨١ ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

٤ــ الموشح ، ص ٥٧٥

٥ــ المثل السائر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٩ ، جـ٢ ، ص ٣٦٥ .

٦ــ انظر : منهاج البلغاء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه ، تونس ، ١٩٦٦ ، ص ١٩٢ — ١٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ــ التزيد في بعض أخبار السرقات في الموشح .

لا يستطيع الباحث أن يطمئن إلى صحة كل ما قيل من أخبار عن سرقات الشعراء في "الموشح" فقد يكون اتهام بعض النقاد لبعض الشعراء بالسرقة اتهاما باعثه العداء السياسي ، أو الغيرة والحسد ، أو التحامل غير الموضوعي في النقد ، فقول الأصمعي مثلا بأن تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة "(١) قول لا يمكن قبوله ، إذ لا يعقل أن يكون تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة ، وقد فسّر لنا المرزباني سر تحامل الأصمعي على الفرزدق ، فقال : "وهذا تحامل شديد من الأصمعي ، وتقول على الفرزدق لهجائه باهلة ، ولسنا نشك أن الفرزدق قد أغار على بعض الشعراء في أبيات معروفة ، فأما أن نطلق أن تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال ."(٢) ،

وقول الزبير بن بكار عن كثير بن عبد الرحمن بأنه أمات لجميل ألف قافية ، بمعنى سرقها ، قول باعثه كذلك العداء الذي يكنه الزبير لكثير ، كما أوضحنا ذلك من قبل ،(٣)

وقول ابن المعتز في رسالته التي نبه فيها على محاسن أبي تمام ومساويه : إن أبا تمام أخفى إحسان الشعراء فيما ألّف في اختياره الأشعار ليجعل ذلك عدة له ، يرجع إليها في وقت حاجته " ورجاء أن يترك أكثر أهل المذاكرة أصول أشعارهم على وجوهها ويقنعوا باختياره لهم ، فتغبى عليهم سرقاته . . "(٤) قول باعثه ــ في أغلب الظن ، الغيرة والحسد من شاعرية أبي تمام ، إذ ليس يعقل أن تنحط شاعرية شاعر كأبي تمام إلى هذا الدرك حتى يتكئ على مثل هذا المتكأ ، وليس يعقل ألا يفطن أحد من النقاد ــ على كثرتهم ــ إلى هذا الذي أشار اليه ابن المعتز دون دليل .

وفي رأينا أن شاعرية أبي تمام المبدعة ، وأن ذوقه في اختياراته الأشعار ، فضلا عن شهادات الدارسين لهما من قدماء ومحدثين(٥) ، خير دليل على فرية ابن المعتز الكبيرة في أبي تمام .

١ــ الموشح ، ص ١٦٧

٢ــ نفسه ، ص ١٦٨

٣ــ نفسه ، ص ٢٤٥

٤ــ نفسه ، ص ٤٧٨

٥ــ انظر اقوال صاحب أبي تمام في المحاججة له ، وهي أقوال تلخص آراء المعجبين بأبي تمام ، الموازنة ، جـ١ ص ٨ ــ ٥٣ ، وانظر رأي زكي مبارك في حماسة أبي تمام : النثر الفني ، جـ٢ ، ص ١٥٢ ، ورأي احسان عباس فيها أيضا . تاريخ النقد ، ص ٧٢ ، وانظر أيضا : الباقلاني ، اعجاز القرآن ، مطبعة الإسلام ، ص ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن جانبا غير يسير مما قيل عن سرقات البحترى من أبي تمام كان باعثه الاحتجاج لأبي تمام ، والطعن على البحترى ، لا سيما أن جل الأخبار الواردة في ذلك كان مصدرها ناقدين متعصبين لأبي تمام ، هما الصولي ، وبشر بن يحيى الكاتب .(١)

---

١ ـ انظر: الموشح ، ص٥٠٧ ـ ٥١٠ ، ٥١٩ ـ ٥٢٠ ، ٥٢٢ ـ ٥٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

III المفاضلة والموازنة بين الشعراء :

١ـ الموازنة بين العباس بن الأحنف والعتابي • وما شابهها من موازنات

٢ـ المفاضلة بين الشعراء :

أ ـ المفاضلة غير المعللة

ب ـ المفاضلة استنادا إلى مبدأ اللياقة

جـ ـ المفاضلة على أسس فنية :

(١) منزع التوسط والاعتدال

(٢) أنصار اللفظة الشعرية

(٣) المقياس الكمي

(٤) أصحاب المنزع الفني في بناء القصيدة •

(٥) مقياس علماء اللغة والنحو •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفاضلة والموازنة بين الشعراء

قضية الموازنة بين الشعراء ، والحكم لشاعر على آخر ، من القضايا النقدية التي شغلت أذهان النقاد العرب منذ العصر الجاهلي حتى اليوم .[1] وقد ظلت ظاهرة الموازنة بين الشعراء تواكب حركة الشعر العربي على امتداد عصوره الأدبية ، وأفرزت هذه الظاهرة النقدية كتابا متميزا في التراث النقدي العربي القديم هو كتاب " الموازنة " للآمدي ، وهذا عدا الكثير من المؤلفات غير المتخصصة في باب الموازنة ، نقدية كانت أو غير نقدية ، فمن الكتب النقدية التي وازن أصحابها بين قصائد بعض الشعراء نذكر : كتاب " الوساطة " ففيه موازنة بين قصيدة لعبد الصمد بن المعذل ، وقصيدة للمتنبي في وصف الحمى[2] ، ومن كتب التراجم التي نعثر في صفحات كثيرة منها على أخبار عن الموازنات بين الشعراء كتاب " الأغاني "[3] وكتاب " الشعر والشعراء "[4]

ولكي تكون الموازنة بين الشعراء معقولة مقبولة فقد اشترط في الناقد الذي يتصدى لها " أن يعرف ... عناصر الأدب من عاطفة وخيال ومعنى ، وأسلوب ، ثم يعرض عليها شعر كل منهما ، فمن كان حظه منها أكثر كان أشعر ."[5] كما يشترط فيه أن يكون موضوعيا فلا يقع تحت تأثير شهرة الشاعر ، لأن المعول الأول في النقد ، هو العمل الأدبي وما فيه من عناصر جمال وصدق فني .[6]

وقبل أن نلج في موضوع الموازنة بين الشعراء في كتاب "الموشح" يحسن بنا أن نشير ابتداء أن النقد فيه ، وفي غيره ، من كتب النقد والتراجم التي وقفت على هذه القضية ، كان يقوم على تجزئة القصائد الشعرية ، والاكتفاء بالوقوف على البيت والبيتين في الغالب الأعم ، كما كانت الموازنة فيه ضربا من المقابلة ليس أكثر ، نقول هذا على التغليب ، لا على التعميم ، لأنا نجد نصا كاملا عقدت فيه موازنة بين الشاعرين : العباس بن الأحنف

---

١ ـ الاشارة هنا الى قصة قبة النابغة في سوق عكاظ ، وعرض الشعراء أشعارهم عليه ليحكم أيهم أشعر ، والاشارة كذلك الى تتويج أحمد شوقي أميرا للشعراء في العصر الحديث .
٢ ـ أنظر : الوساطة ، ص ١٢٢
٣ ـ انظر : مثلا ، جـ ٢٠ ، ص ١٢٣ ، ١٢٦ ، ٣٥١ ، ٤٠٩
٤ ـ انظر مثلا ، جـ ١ ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ، ٥٣ ـ ٥٥
٥ ـ أحمد أمين : النقد الأدبي ، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٤١٨
٦ ـ لمزيد من الايضاح في هذه القضية انظر : زكي مبارك ، الموازنة بين الشعراء ، ط ٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٩٣٦ ، ٦٢ ـ ٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعتابي . وأما ماعدا ذلك فهي ضروب من المقابلات بين الشعراء أصحاب الاتجاه الواحد كالمقابلة بين شعراء النقائض: جرير والفرزدق والأخطل ، أو بين شعراء الغزل ، أو بين أبيات من قصائد متفرقات ... الخ .

وسنقف أول ما نقف في دراسة هذه القضية على نص الموازنة بين العباس بن الأحنف والعتابي ، ثم نتبع ذلك بدراسة صور المقابلات الأخرى .

١ـ الموازنة بين العباس بن الأحنف والعتابي وما شابهها من موازنات :

أورد المرزباني في "الموشح" رسالة[1] عملها يحيى بن علي المنجم في الموازنة بين العباس ابن الأحنف والعتابي ، وأنفذها إلى علي بن عيسى .

وتبدأ الرسالة بالحكم بتقدم شاعرية العباس بن الأحنف على شاعرية العتابي ، وأن العتابي نفسه كان يقر بذلك ، وينكر من يرى خلافه "لأنه كان عالما بالشعر"[2] .

ثم يأخذ يحيى بن علي في تبيان أسباب هذا التقديم ، وهذه هي :

١ـ كان العتابي متكلفا في حين كان العباس مطبوعا .

٢ـ كلام العتابي متعقد كز وكلام العباس سهل عذب .

٣ـ في شعر العتابي غلظ وجساوة ، ولشعر العباس ماء ورقة وحلاوة .

٤ـ تعدد فنون العتابي الشعرية ، ولكنه لم يخرج في شيء منها عما وصف به من التكلف والتعقيد والغلظ ، في حين كان شعر العباس في فن واحد ، هو فن الغزل ، فأكثر فيه وأحسن .

٥ـ هاجى العتابي الشاعر أبا قابوس النصراني فغلبه أبو قابوس في كثير مما جرى بينهما ، على ضعف أبي قابوس في فن الشعر .

٦ـ أجود ما للعتابي قصيدته في مدح الرشيد ، والتي مطلعها :

يا لَيْلَةً لي بِحُـوَّارينَ ساهِـرةً حتى تكلّم في الصُّبْحِ العَصَافِيرُ

١ـ انظر: الموشح ، ص ٤٤٩ ـ ٤٥١

٢ـ نفسه ، ص ٤٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاء في هذه القصيدة بيتان سرقهما العتابي من بشار، فسخ ما سرق " وحق من أخذ معنى وقد سبق إليه أن يصنع أجود من صنعة السابق إليه، أو يزيد فيه حتى يستحقه، فأما إذا قصر عنه فإنه مسيء معيب بالسرقة، مذموم في التقصير ."[١]

كما ورد فيها بيتان استعمل فيهما العتابي اشتقاقات نابية غير مألوفة[٢]، مع أنه "ما شيء أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حسن اللفظ، وهذا عمل التكلف، وسوء الطبع . وللعباس إحسان كثير ."[٣]

وهذه الموازنة على ما بها من صواب في الاحتكام إلى بعض مقاييس الفن، تظل غير شاملة، فقد ركزت على جوانب سلبية في شعر العتابي، وهي جوانب، بمجموعها، لا تتناول إلا عنصرا واحدا من عناصر العمل الإبداعي، هو عنصر الأداء . في حين أهملت ما سواه من عناصر كالتخييل، والموسيقى، والعاطفة .

وهناك شيء آخر في هذه الموازنة هو ما بين الشاعرين من تباين في المذهب، فالعتابي شاعر من الشعراء الحريصين على تصيّد الأفكار، في حين كان العباس من شعراء الصياغة الشعرية العذبة . وحالهما في هذا تشبه من بعض الوجوه حال البحتري وأبي تمام . ومثلما قيل إن الموازنة بين هذين الشاعرين غير دقيقة،[٤] نقول هنا، للسبب نفسه، إن الموازنة بين العتابي والعباس بن الأحنف غير دقيقة . وعلى أية حال يظل لهذه الرسالة قيمة خاصة وذلك عندما قدم صاحبها العباس على العتابي لأنه أبدع في فن واحد.

وقريب من هذه الموازنة بين العباس بن الأحنف والعتابي، الموازنة بين بشار بن برد ومروان بن أبي حفصة، فقد سأل أبو حاتم السجستاني أستاذه الأصمعي يوما : "أبشار أشعر أو مروان ؟ قال : فقال بشار أشعرهما . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأن مروان سلك طريقا كثر سلاكه فلم يلحق بمن تقدمه، وإن بشارا سلك طريقا لم يسلكه أحد، فانفرد به

١ــ الموشح، ص٤٥١ . وقد وقفنا على هذا الاقتباس، والأبيات المشار اليها في الحديث عن السرقات .

٢ــ انظر : نفسه، ص٤٥١ . وقد وقفنا عليهما في موضع سابق من الدراسة وذلك لدى الحديث عن الاشتقاقات غير المألوفة .

٣ــ نفسه، ص٤٥١

٤ــ انظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٤، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠، ص٢٣٧ــ ٢٣٨ وانظر كذلك : نفسه، ص١٩٥ ــ ١٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحسن فيه ، وهو أكثر فنون شعر ، وأقوى على التصرف ، وأغزر وأكثر بديعا ، ومروان آخذ بمسالك الأوائل ."[1]

وهذه الموازنة كسابقتها تعرض لشاعرين من مذهبين شعريين مختلفين فمروان متبع وبشار مبتدع ، ولما كان الأصمعي في هذا النقد من أنصار الابتداع ، فهو لذلك يقدم بشارا ، وخاصة لما وجده في شعر مروان من تقصير عن بلوغ شأو المتقدمين ، وما وجده كذلك في قدرة بشار على التفنن في أغراض الشعر .

أما البحتري وأبو تمام اللذان أقام الآمدي كتابه " الموازنة " عليهما فليس في الموشح أخبار عن هذه الموازنة إلا ما أخذه المرزباني من أستاذه الصولي في مثل قوله : "... سمعت بعض العلماء " يقول " : كيف يقاس البحتري بأبي تمام ، وهو به ، وكلامه منه ، وليس أبو تمام بالبحتري ، ولا يلتفت إليه ."[2] أو قوله " حدثني الحسين بن إسحاق ، قال : قلت للبحتري : الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام . فقال : والله ما ينفعني هذا القول ، ولا يضر أبا تمام . والله ما أكلت الخبز الا به ، ولوددت أن الأمر كما قالوه ، ولكني ، والله ، تابع له ، لائذ به ، آخذ منه ، نسيمي يركد عند هوائه ، وأرضي تنخفض عند سمائه ."[3] قال الصولي معقبا على هذا القول : " وهذا من فضل البحتري أن يعرف الحق ، ويقر به ، ويذعن له . وإني لأراه يتبع أبا تمام في معانيه حتى يستعير مع ذلك بعض لفظه ، فلا يقع إلا دونه ، ويعود في بعضها طبعه تكلفا ، وسهله صعبا ."[4]

وهذه الأقوال ليست ذات غناء يذكر فتبني ميزان النقد الموضوعي لأنها أولا تصدر عن نفس منحازة إلى أبي تمام ، متعصبة على البحتري ، ولأنها ثانيا ركزت على ضرب واحد من مقاييس النقد القويم ، هو مقياس السرقة الشعرية في أبيات متفرقات ،[5] ولم تنظر في الأعمال الأدبية الكاملة لكلا الشاعرين .

---

١ ـ الموشح ، ص ٣٩٢
٢ ـ الموشح ، ص ٥٠٧ ، أخبار أبي تمام ، ص ١٠١
٣ ـ الموشح ، ص ٥٠٧ ، أخبار البحتري ، ص ٦٠
٤ ـ المصدران السابقان
٥ ـ انظر للتمثيل على ذلك : الموشح ، ص ٥٠٧ ـ ٥١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان الآمدي قد وقف على جزء كبير من سرقات البحتري من أبي تمام[1] موقف الناقد البصير، فلم يسلم بصحة كل ما وقف عليه بشر بن يحيى النصيبي منها، فإن المرزباني اكتفى بإيراد ما قصر فيه البحتري عن مدى أبي تمام أو شاركه في عيبه.[2] ولم يعرض ما نقله من بشر في معرض الموازنة الذي ظهر في كتاب الآمدي، وذلك التزام من المرزباني بخطته في كتابه، وهي عدم الاحتجاج للشعراء فيما يعابون فيه.

٢ـ المقابلة بين الشعراء.

في المقابلة، أو المفاضلة بين الشعراء كما يعكسها الموشح، يقع الدارس على ثلاثة ألوان من صور هذه المقابلة، أو المفاضلة، وهي:

أ ـ لون يكتفي فيه بإطلاق الأحكام العامة دونما تعليل، كقول الأصمعي: طُفَيْل الغَنَوي في بعض شعره أشعر من امرئ القيس،[3] أو قوله: "لم يكن النابغة وزهير وأوس يحسنون صفة الخيل، ولكن طفيل الغنوي في صفة الخيل غاية النعت".[4] أو قوله: "دريد بن الصمة في بعض شعره أشعر من الذبياني، وقد كاد يغلب الذبياني".[5] وقوله كذلك: "أوس بن حجر أشعر من زهير، ولكنّ النابغة طأطأ منه".[6]

ب ـ ولون تتكئ المفاضلة فيه على أسس ومقاييس لا علاقة لها بالفن الشعري. صحيح أن المفاضلة كان موضوعها ـ في الغالب ـ الشعراء أصحاب المنزع الشعري الواحد، كشعراء الغزل، وشعراء النقائض، ولكنها لم تكن تحتكم في تفضيلها شاعراً على آخر، إلى مافي الشعر من عناصر الفن، وإنما كان عمادها ما اصطلح الأستاذ إحسان عباس على تسميته باللياقة[7]. فغير لائق في الغزل أن يقول كُثيّر بن عبد الرحمن:

١ـ انظر: الموازنة، جـ ١، ص ٣٢٥ - ٣٤٣.
٢ـ الموشح، ص ٥٢٤.
٣ـ انظر: الموشح، ص ٣٧، نحولة الشعراء، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، المطبعة المنيرية، مصر، ١٩٥٣، ص ١٦.
٤ـ الموشح، ص ٥٠، نحولة الشعراء، ص ١٧.
٥ـ الموشح، ص ٥١، نحولة الشعراء، ص ٣٠.
٦ـ الموشح، ص ٥٩، نحولة الشعراء، ص ١٥.
٧ـ انظر: تاريخ النقد الأدبي، ص ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَأَخْلَفْنَ مِيْعادِي وَخُنَّ أَمانَتي ... وَلَيْسَ لِمَنْ خانَ الأَمانةَ دِيْنُ

إذ قال له ابن أبي عتيق ، " يابْن أبي جمعة ، وعلى الديانة تبعتها ؟ فأنشد ، :

كَذَبْنَ صَفاءَ الوُدِّ يَوْمَ مَحَلِّـــه ... وَأَدْرَكَنِي مِنْ عَهْدِهِنَّ رُهُـــونُ

فقال ابن أبي عتيق : يابن أبي جمعة : فذاك والله ، أصلح لهن ، وأدعى للقلوب إليهن ، وكان عبد الله بن قيس الرقيات أعلم بهن منك ، وأوضع للصواب مواضعه منهن حيث يقول :

حَبَّ هذا الدلُّ والغَنَجُ ... والتي في طَرْفِها دَعَجُ

والَّتي إن حَدَّثَتْ كَذَبَتْ ... والتي في وَعْدِها خَلَجُ ."(١)

وغير لائق في المدح أن يقول الفرزدق في الحجاج :

وَمن يأْمَنِ الحجاجَ والطَّيْرُ تَتَّقي ... عُقُوبَتَه إلا ضَعيفُ العزائِمِ

" لأن الطير تتقي كل شيء ، الثوب ، والصبي وغير ذلك "(٢) وفضل عليه قول جرير :

ومن يأمن الحجاجَ أمّا عِقابُـه ... فَمُرٌّ ، وأما عَهْدُه ، فَوَثِيـقُ

وغير لائق في نعت الناقة أن يقول ذو الرمة :

تُصْغِي إذا شَدَّها بالكُورِ جانِحةً ... حتّى إذا ما اسْتَوَى في غَرْزِها تَثِبُ(٣)

وفضل أبو عمرو بن العلاء عليه قول الراعي في ناقته .(٤)

وهْيَ إذا قامَ في غَرْزِهـــا ... كِمِثْلِ السَّفينـةِ أَوْ أَوْقَـــرُ

ولا تُعْجِلُ المَرْءَ قَبْلَ السُّرو ... كِ وَهْيَ بِرُكْبَتِهِ أَبْصَـــرُ

وغير لائق أن ينعت امرؤ القيس فرسه بقوله :

فللسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وللسَّاقِ دِرَّةٌ ... وللزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ(٥)

لأنه أجهد فرسه بسوطه في زجره ، ومراه بساقه ، ففضلت زوجته قول علقمة :

فَأَدْرَكَهُنَّ ثانِيًا مِنْ عِنانِـــه ... يَمُرُّ كَمَـرِّ الرائِحِ المُتَحَلِّبِ(٦)

لأنه أدرك طرائده بفرسه ثانيا من عنانه ، ولم يضربه ، ولم يتعبه .(٧)

١ـ الموشح ، ص ٢٣١ .
٢ـ نفسه ، ص١٧٨ ـ ١٧٩
٣ـ الغرز للناقة بمنزلة الركاب للدابة وهي نسع مضفورة ، والكور : الرحل . من تفسير الصولي . الموشح ، ص٢٧٨
٤ـ انظر تفصيل ذلك : الموشح ، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩
٥ـ الاخرج : ذكر النعام ، والخرج بياض في سواد ، وبه سمي : الموشح ، ص٢٩
٦ـ الرائح : السحاب . المتحلب : المتساقط المتتابع .
٧ـ انظر : الموشح ، ص٢٨ ـ ٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغير لائق أن يقول جرير متغـزلا :

طَرَقَتْكَ صائِدةُ القُلوبِ وليسَ ذا ... وقتَ الزيارةِ فارْجِعي بِسلامِ (١)

لأنه طرد طيف صاحبته إذ جاءه زائرا ، فليته إذ كان طردها ما كان وصفها .

وفضلوا على هذا قولـــه :

بِنَفْسي مَنْ تَجَنُّبُه عَزيـــزٌ ... عليَّ ومَنْ زِيارَتُه لِمَـــامُ

ومَنْ أُمْسي وأُصْبِح لا أراه ... ويَطْرُقُني إذا هَجَعَ النِّيامُ (٢)

وإذا كان الأخطل قد أجاد في وصف الخمر حيث يقول :

وتَظَلُّ تُنْصِفُنا بها قَرَوِيَّةٌ ... إبْرِيقُها بِرُقاعِهِ مَلْشُومُ (٣)

فإذا تعاوَرَتِ الأكُفُّ زُجاجَها ... نَفَحَتْ فَنالَ رِياحَها المَزْكُومُ

فإن نعت الأعشى ـ فيما يقول الشعبي ـ كان أجود : لأنه يقول : (٤)

وأدْكَنَ عاتِقٍ جَحْلٍ سِبَحْلٍ (٦) ... صَبَحْتُ بِراحِـهِ شَرْبًا كِراما (٥)

من اللائي حُلِنَ على الرَّوايا ... كَريحِ المِسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكامَا

ولو أردنا أن نضرب مزيدا من الأمثلة على هذا اللون من المقابلة ، لاجتمع لدينا مقدار ضخم منها .(٧) وغاية ما نستطيع أن نقوله في هذا اللون النقدي أنه ضرب ساذج من الموازنـــات لا يتكئ على أي عنصر من عناصر الموازنة التي تنظر في الفن الشعري من حيث هو، والـذي غايته " أن يعرف ... عناصر الأدب من عاطفة وخيال ومعنى وأسلوب ، ثم يعرض عليهـــا شعر كل منهما ، فمن كان حظه أكثر كان أشعر ".(٨) أما هذه الفاضلة فانها تنظر فـــي مقاييس اجتماعية ، أو مقاييس اللياقة بوجه عام إن في الغزل ، أو في الوصف ، أو في المدح .

---

١ ـ انظر الموشح ، ص ٢٠١

٢ ـ نفسه ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١

٣ ـ تنصف ، تخدم

٤ ـ الموشح ، ص ٢٢٣

٥ ـ الجحل : الزق ، والسبحل : الضخم من السقاء/ اللسان

٦ ـ الروايا : المطايا . اللسان مادة روى .

٧ ـ لمزيد من الأمثلة انظر : الموشح ، ص ٧٨ ـ ٧٩ ، ٢٥٢ ـ ٢٥٤ ، ٣١٣ ، ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، ٣٩٤ ـ ٣٩٥

٨ ـ احمد امين : النقد الادبي ، ص ٤٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ــ المفاضلة بين الشعراء على أسس فنيـــة

احتكم بعض النقاد في تفضيلهم شاعرا على آخر إلى بعض مقاييس الفن الشعرى، ويمكننا أن نجمل تلك المقاييس في المحاور الرئيسة التالية :

(١)ــ منزع التوسط والاعتـدال :

فضل أصحاب هذا المذهب الشعرى أبيات الشاعر التي لم يبالغ صاحبها فيهـــا على أبيات الشاعر الذى جنح إلى المبالغة . ومن الأمثلة على ذلك تفضيل الصولـــي أبيات النابغة الذبياني في نعت الليل والتي منها قوله :

كِلِيني لهمٍّ يا أُمَيْمَةُ ناصـبِ وليلٍ أُقاسِيهِ بطيءِ الكواكب

وصدرٍ أراحَ الليلُ عازِبَ هَمِّهِ تَضاعَفَ فيهِ الحُزْنُ مِنْ كِلِّ جانِبِ

على أبيات امرئ القيس التي منها قوله :

وليلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُولَه عَلَيَّ بأنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلـي

فقلتُ له لمّا تَمَطَّى بِصُلْبِـــهِ وأرْدَفَ أعْجازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

وذلك ــ فيما يقول الصولي ــ لأن امرأ القيس "كره أن يقول : إن الهمَّ في حبـــه يخف عنه في نهاره ، ويزيد في ليله ، فجعل الليل والنهار سواء عليه في قلقه وهمه وجزعـه ، وغمه ، فقـال :

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انْجَلي بِصُبْحٍ وما الإصْباحُ منْكَ بأمْثَلِ ."(١)

في حين كان النابغة "أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل ، وتبعه الناس ."(٢)

ومن تبعه الطرماح بن حكيم الذى أرى امرأ القيس "استحالة معناه في المعقـــول وأن الصورة تدفعه ، والقياس لا يوجبه ، والعادة غير جارية به ." وذلك في قوله :

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا اصْبحِ بِبَمٍّ(٣) ، وما الإصباح فيك بأرْوَحِ

"فأتى بلفظ امرئ القيس ومعناه ، ثم عطف محتجا مستدركا ، فقال :

بَلى إنَّ للعينين في الصُّبْحِ راحةً لِطَرْحِهِما طَرْفَيْهِما كُلَّ مَطْرَحِ

١ــ الموشح ، ص ٣٤

٢ــ نفسه ، ص ٣٤

٣ــ بم : أرض من كرمان ، وقيل موضع . حاشية الموشح ، ص ٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأحسن في قوله وأجمل ، وأتى بحق لا يدفع ، وبين عن الفرق بين ليله ونهاره . "(١)

ويستمر الصولي معللا هذه الظاهرة من منظور اجتماعي نفسي ، فيقول : " وإنما أجمع الشعراء على ذلك من تضاعف بلائهم بالليل ، وشدة كلفهم لقلة المساعدة ، وفقد الحبيب ، وتقييد اللحظ عن أقصى مرامي النظر الذي لا بد أن يؤدي إلى القلب بتأمله سببا يخفف عنه ، أو يغلب عليه ، فينسى ما سواه . "(٢)

ومع أن هذا النقد يظهر الصولي ناقدا من أنصار الصدق الواقعي في الشعر ، الا أنه لم يستطع أن ينكر ما في أبيات امرئ القيس من جمال وفن ، يقول : " وأبيات امرئ القيس في وصف الليل أبيات اشتمل الإحسان عليها ، ولاح الحذق فيها ، وبان الطبع بها . "(٣)

واذا اجتمعت بين يدي الناقد أبيات لشاعرين ، فيها جميعا مبالغة ، حكم أنصار التوسط والاعتدال بتقدم أقلها مبالغة . ومن الأمثلة التي توضح ذلك ماورده المرزباني بأن " أهل العلم " فضلوا بيت امرئ القيس :

مِنَ القاصِراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ من الذَّرِّ فَوْقَ الإتْبِ منْها لأَثَّرا(٤)

على بيت حسان بن ثابت :

لو يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ عَلَيْها لأَنْدَبَتْها الكُلُوم(٥)

(٢) أنصار اللفظة الشعرية

وقفنا في غير هذا الموضع على ما اصطلح بعض النقاد القدامى على تسميته بلفظة شعرية ولفظة غير شعرية ، ونزيد هنا فنقول : فضل أنصار اللفظة الشعرية الشاعر الذي لا ترد في شعره لفظة غير شعرية على الشاعر الذي يستعمل لفظة غير شعرية . ومن الأمثلة التي توضح ذلك أننا وجدنا يونس بن حبيب يقدم مروان بن أبي حفصة على الأعشى ، اذ جاء مروان حلقة يونس يوما فقال له : " قد قلت شعرا أعرضه عليك ، فإن كان جيدا أظهرته ، وإن كان رديئا سترته ، وأنشده :

١ــ الموشح ، ص ٣٥
٢ــ نفسه ، ص ٣٥
٣ــ نفسه ، ص ٣٥
٤ــ المحول : الذي أتى عليه الحول ، والإتب ، ثوب رقيق له جيب ، وليس له كمان / اللسان
٥ــ انظر ، الموشح ، ص ٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طَرَقَتْكَ زائِرَةٌ فحيَّ خَيالَها بَيضاءُ تَخْلِطُ بالجمال دَلالَها

فقال له : ياهذا ، إذهب فأظهر هذا الشعر ، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى ... في قولـه :

رحلت سُمَيَّةُ غُدْوَةً أجْمالَها غَضْبى عليْكَ فما تقولُ بدالَها "

فقال له مروان : قد سوءتني وسررتني ، فأما الذى سررتني به فلارتضائك الشعـر ، وأما الذى سوءتني به فلتقديمك إياى على الأعشى ، قال : نعم ، إن الأعشى قال :

فرميْتُ غفْلَةَ عيْنِهِ عنْ شاتـه فأصبْتَ حبَّةَ قلْبِهِ وطِحالَها

والطحال لا يدخل في شيء الا أفسده . وأنت لم تقل ذلك ."(١)

وقد ذكرت هذا الخبر من قبل وأثبت أن مثل هذا النقد لا يستقيم ، فهو تأثرى انطباعي ، لا يستند إلى أى مقياس .

(٣) — المقياس الكمـي .

نقصد بالمقياس الكمي ، المقياس الذى يقف على مجموع الإنتاج الكلي للشعراء مصنفا إياه في مستويات ، ثم ينتهي بإصدار الحكم بتقدم شاعر ، وتأخر آخر على أساس من ذلك التصنيف . وخير الأمثلة التي توضح ذلك ماروواه المرزباني عن ابن سلام عن العلاء ابن حريز الذى قال : " كان يقال للأخطل إذا لم يجئ سابقا فهو مُسَكَّيت ، والفرزدق لا يجيء سابقا ولا سكيتا ، فهو بمنزلة المصلي ، وجرير يجيء سابقا وسكيتا ومصليا ."(٢)

وفسّر ابن سلام هذا التصنيف ومصطلحاته بقوله : "إن للأخطل خمسا ، أو ستا ، أو سبعا طوالا روائع غرا جيادا ، هو بهن سابق ، وسائر شعره دون أشعارهما ، فهو فيما بقي بمنزلة المُسَكَّيت ، والسكيت آخر الخيل في الرهان . ويقال : إن الفرزدق دونه في هذه الروائع ، وفوقه في بقية شعره ، فهو مصل ، والمصلي الذى يجيء بعد السابق ، وقبل السكيت . وجرير له روائع هو بهن سابق ، وأوساط هو بهن مصل ، وسفسافات هو بهن سكيت ."(٣)

---

١ — الموشح ، ص ٧٤ — ٧٥

٢ — نفسه ، ص ١٨٣ ، طبقات ابن سلام ، جـ١ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٥

٣ — نفسه ، ص ١٨٣ ، طبقات ابن سلام ، جـ١ ، ص ٢٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع أن هذا التصنيف لم يخرج بنتيجة محددة توضح أي الشعراء الثلاثة أشعر، إلا أن ما ورد بعد ذلك من أخبار يوضح أن جريرا هو الأشعر، يليه الفرزدق، ثم الأخطل. ومن تلك الأخبار قول ابن سلام: "وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب."(١)

وعلل بشار بن برد تقديمه جريرا على صاحبيه الآخرين بقوله: أما الأخطل فإنه لم يكن مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له، وأما جرير فقد كان يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ودلل على هذا بعجز الفرزدق عن نظم قصيدة في رثاء زوجه النوار، فاضطرت النساء إلى النياح عليها بشعر جرير.(٢)

وأما من اقتصر من النقاد على النظر في نقائض جرير والفرزدق، فكان يقدم الفرزدق؛ لأنه أقدر على التنويع في هجائه من جرير. وممن تبنى هذا الموقف أبو عبيدة معمر بن المثنى، وإسحاق الموصلي، وأبو الخطاب الأخفش الأكبر والمرزباني.

أما أبو عبيدة فيقول لصاحبه وهو يحاوره: "ويحك! هل قال جرير للفرزدق إلا في ثلاثة أنواع: الزبير، وجعثن، والقين. وللفرزدق فيه مئة نوع."(٣)

وأما اسحاق فيقول: "قال لي مروان بن أبي حفصة: كان جرير إذا أخذ الناس غلبهم، وإذا اخذ الفرزدق جريرا غلبه الفرزدق، ومن نظر في النقائض تبين له ذلك، وعلم أن جريرا لم يقم فيها للفرزدق (٤)

وعقب المرزباني على قول مروان بقوله: "وصدق مروان في هذا القول، والأمر فيه ظاهر غير مستتر."(٥)

وأما الأخفش الأكبر فقال: "لم يهج جرير الفرزدق إلا بثلاثة أشياء يكررها في شعره كلها كذب منها: جعثن والزبير والقين."(٦) ثم قال أيضا: "ولا نجد للفرزدق قصيدة إلا وفيها هجاء بديع ليس في الأخرى مثله."(٧)

١ــ الموشح، ص ١٨٣، ١٨٤، طبقات ابن سلام، جـ١، ص٣٧٥ ــ ٣٧٦

٢ــ انظر: الموشح، ص ١٨٣ــ ١٨٥، وانظر، طبقات ابن سلام، جـ١، ص ٣٧٤

٣ ــ الموشح، ص ١٩٣

٤ــ نفسه، ص ١٩٢

٥ ــ نفسه ص ١٩٣

٦ــ نفسه، ص ١٩٣

٧ ــ نفسه، ص ١٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد مثل المرزباني — فيما يرويه عن شيوخه — بأبيات للفرزدق في هجاء جرير ، يتبين من خلالها قدرته على التنويع في معاني الهجاء ، في حين كانت الأبيات التي مثل بها على هجاء جرير الفرزدق لا تكاد تخرج عن الإطار الذي سبق وصفه ، وهو أن جريرا لم يكن يتجاوز فيما يهجو به الفرزدق جعثن والزبير والقين .(١)

وغير بعيد عن هذا المقياس ، مقياس آخر هو الاحتكام إلى تنوع الأغراض الشعرية التي ينظم فيها الشاعر ، فمَنْ تنوعت أغراضه الشعرية كان أولى بالتقديم من الشاعر الذي يدور في فلك موضوع واحد ، لا يكاد يتعداه إلى سواه ، وإن هو فعل تهبط شاعريته .

ومن الأمثلة التي توضح ذلك القول التالي : " أجمع العلماء بالشعر على أن الشعر وضع على أربعة أركان : مدح رافع أو هجاء واضع ، أو تشبيه مصيب أو فخر سامق ، وهذا كله في جرير والفرزدق والأخطل . وأما ذو الرمة فما أحسن قط أن يمدح ولا أحسن أن يهجو ، ولا أحسن أن يفخر ، يقع في هذا كله دونا ، وإنما يحسن التشبيه فهو ربع شاعر ."(٢)

وهذه المقاييس ، على ما بينها من اختلاف قل أو كثر ، تظل ضربا من الموازنة النقدية الساذجة ولكنها على سذاجتها — احتكمت إلى بعض مقاييس الفن الشعري ، كما لاحظنا ذلك في المفاضلة بين شعراء النقائض الثلاثة .

(٤) — أصحاب المنزع الفني في بناء القصيدة .

سبق أن أوضحنا موقف بعض النقاد الذين عرض المرزباني آراءهم في " الموشح " من طريقة بناء القصيدة العربية ، وكنا قد ألمحنا إلى أن عددا منهم كان يرى أن القصيدة يجب أن تتوافر المشاكلة بين أبياتها .

ومن هذا المنطلق وجدنا بعض النقاد يفضلون الشاعر الذي تتآخى أبياته الشعرية ، ويقدمونه على الشاعر الذي تتنافر عنده الأبيات . وكان المبرد من هؤلاء

---

١ — انظر : الموشح ، ص ١٩٤ — ١٩٧

٢ — الموشح ، ص ٢٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقاد، إذ كان يقدم الفرزدق على جرير لأنه " يجيء بالبيت وأخيه ، وجرير يأتي بالبيت وابن عمه ."(١) وللسبب نفسه قدم الراعي شعره على شعر عمه .(٢) كما قدم بعض النقاد عُمَارة بن عُقيل بن جرير على جده جرير ، واحتجوا لذلك بقولهم : " عمارة بن عقيل بن جرير أحسن استواء شعر من جده جرير ، ولجرير فضله ، إلا أن جريرا اعتد عليه بسقط في شعره وضعف ، وما أصابوا لعمارة سقطة واحدة في شعره ."(٣)

وعبر بعض النقاد عن إحساسهم بأن القصيدة بناء فني ، وأنها ليست نقلا أمينا لحقائق الوجود ، أو معرضا للأفكار السياسية عندما نظروا في قصيدة الكميت التي مطلعها :

هَلْ أَنْتَ عنْ طَلَبِ الأَيْفَاعِ مُنْقَلِبُ أَمْ هَلْ يُحَسِّنُ مِنْ ذي الشَّيْبَةِ اللَّعِبُ

والتي يعارض فيها قصيدة ذي الرمة التي مطلعها :

ما بالُ عَيْنِكَ منْها الماءُ يَنْسَكِبُ كأنه من كُلًى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ .(٤)

فقدم ذو الرمة لأنه يشبه شيئا قد رآه بعينه ، أما الكميت فشبه ما وصف له ، ولم يره بعينه ، ولا يجيء به جيدا كما ينبغي ولكنه يقع قريبا منه .(٥)

وممن استند إلى مقاييس فنية في تقديم شاعر على آخر عبد الله بن أبي عتيق ، فقد روى أنه قدَّمَ عمر بن أبي ربيعة على الحارث بن خالد المخزومي ، واحتج لذلك بقوله :

" فلشعر عمر لوطة في القلب ، وعلق بالنفس ، ودرك للحاجة ماليس لشعر غيره .. و " أشعر قريش من رق معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن صاحبه ."(٦)

ولكن هذه الموازنة النقدية ، على ما فيها من دقة ، يقلل من قيمتها الأبيات التي استشهد بها عبد الله بن أبي عتيق للتدليل على تفوق عمر على صاحبه الحارث بن خالد المخزومي ، لأن الأبيات التي أوردها لا تفضل أبيات المخزومي من الوجهة

١ــ الموشح ، ص ١٩٢
٢ــ انظر : نفسه ، ص ٢٥٠
٣ــ نفسه ، ص ١٨٩
٤ ــ سربت المزادة إذا سالت . مفرية : مقطوعة ، الكلى : الرقع التي تحت العروة . انظر ، ديوان ذي الرمة ، جـ١ ، ص ٣٥
٥ــ أنظر : الموشح ، ص ٣٠٧
٦ــ نفسه ، ص ٣٢٨ ، الاغاني ، جـ١ ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغنية ، وإنما لأنها أليق بمخاطبة النساء لأن الحارث قال فيما قال في صاحبته :

إني وما نَحَرُوا غَداةَ مِنىً ... عِنْدَ الجِمارِ تَئُودُها المِعقَلُ
لو بُدِّلَتْ أعلى منازِلِها ... سُفْلاً وأصْبَحَ سُفْلُها يَعْلُو

في حين قال عمر :

سائلا الرَّبْعَ بالبُلَيِّ(١) وقولا ... هِجْتَ شوقًا لِيَ الغَداةَ طويلا
أيْنَ حيٌّ حلُّوك إذْ أنت مَحْفو ... فٌ بهِمْ آهِلٌ أراكَ جَمِيلا

قال ابن أبي عتيق لعمر قدم أبيات المخزومي : " يابن أخي ، استر على صاحبك ، ولا تشاهد المحاضر بمثل هذا ، أما تطيّر الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ... ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبة من صاحبك ، وأجمل مخاطبة .."(٢)

(٥)— مقياس علماء اللغة والنحو في المفاضلة بين الشعراء

لما كان علماء اللغة والنحو هم أحرص الناس على سلامة الأداء ، واستقامة الأسلوب فإنه يتوقع منهم أن يقدموا الشاعر الذي لا يتعثر أداؤه على الشاعر الذي يختل أسلوبه ، ويقع في بعض مظاهر اللحن . وكان ثعلب من هؤلاء العلماء ، فقدم جريرا على الفرزدق بعد أن وقف على أخطاء النحو التي وقع فيها الفرزدق.(٣) وظل بيته في مدح هشام بن عبد الملك :

وما مثله في الناس الا مملكا ... البيت"

لعنة تطارده لأنه شديد الالتواء ، بالغ التعقيد ، ولهذا قُدِّمَ جريرٌ عليه ، أما أنصار الفرزدق فقد احتجوا لهذا الضرب من التعقيد بقولهم : إنه تعقيد يمتحن الرجال فيه عقولها ، حتى يستخرجوه " وأما سقطات جرير فهي ضرب من العي.(٤)

وبعد ، فإن الكثير من أحكام من تصدوا للمفاضلة بين الشعراء إنما هي موازنات بين خمور وخيول وعشاق ... وفيها تعصب لشاعر كتعصب الكوفيين لأبي العتاهية

١— البليّ : تل أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق . حاشية الموشح ، ص ٣٢٩/عن معجم البلدان لياقوت الحموي .
٢— الموشح ، ص ٣٢٨ — ٣٢٩ ، وانظر الأغاني ، جـ١ ص ١٠٩
٣— انظر، الموشح ، ص ١٨٥ — ١٨٦
٤— انظر ، نفسه ، ص ١٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقديمهم إياه على سائر الشعراء . وتعصب البصريين لأبي نواس وتقديمهم إياه كذلك على سائر الشعراء "[١] وإذا كان علماء البصرة قد عللوا تقديمهم أبا نواس لأنه كان يحسن التصرف في أغراض الشعر حتى الزهد الذى ليس من طريقته "[٢] فإن الكوفيين لم يعللوا تقديمهم أبا العتاهية . ويلفت انتباهنا قول محمد بن زياد الأعرابي في تعقيبه على من فضل أبا نواس ، وهو : "لو كان أخوك تصفح جملة شعره لعلم أن فيه من الإساءة ما يعفي على المحاسن ، وأيّ الناس إذا تخيرت كلامه لم تجد له البيت والبيتين ."[٣] واللافت للنظر في هذا القول أن محمد بن زياد الأعرابي لم يرض عمن قدم أبا نواس لمجرد ورود بيت أو بيتين جيدين في شعره ، وأن الأصل في الموازنة النظر في جملة الإنتاج . ولكن يظل القول إن ما في شعر الشاعر من مساوئ يعفى على المحاسن قولا غير صائب . لأن وقوع الشاعر في خطأ نحوي أو لغوي . . . لا ينتقص من قدر الشعر الرائق الجميل في قصائد أخرى .

ومع ذلك فإن هذه الضروب من المفاضلة بين الشعراء أنتجت عددا من الملاحظات النقدية الصائبة ، ولو أنها ضمت بعضها إلى بعضها الآخر لشكلت منظورا متقدما في معيار الموازنة بين الشعراء على وجه الخصوص ، وفي ميدان النقد الأدبي على وجه العموم .

١ــ انظر ، الموشح ، ص ٤٠٢ ــ ٤٠٣

٢ــ انظر ، نفسه ، ص ٤٢٤ ــ ٤٢٥

٣ــ الموشح ، ص ٤٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

IV قضايا نقدية أخـــرى :

١ــ قضية الفحولـــــه

٢ــ الاخلاق والدين والشعـــر .

٣ــ مبدأ اللياقـــــــــة .

أ في الغـــزل

ب ــ في المديـــح

جـ ــ في أغراض أخرى

٤ــ براعة الاستهلال وفساده

٥ــ القديم والمحـــدث .

٦ــ نقد المعنـــى :

أــ المعنى الرفيع والمعنى الوضيـــع

ب ــ عيوب المعاني :

١ــ فساد القســـم

٢ــ فساد المقابـلات

٣ــ المقلوب

٤ــ المبتـــور

٧ــ النقد العروضـــي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قضايا نقدية أخـــــرى

ترد في الموشح كثير من القضايا النقدية التي شغلت أذهان بعض النقاد العـرب على امتداد القرون الهجرية الأربعة الأولى ، بعضها ظهر ثم اختفى كقضية "الفحولة" وبعضها الآخر ظل مدار أخذ وعطاء في كتب النقد التالية كقضية الدين والاخـــلاق والشعـــر .

وسنعرض في الصفحات التالية لمجمل تلك القضايا مبينين آراء النقاد فيها .

١ــ قضية الفحولـــــة

لم يعرض المرزباني لقضية الفحولة على النحو الذى عرضه الأصمعي ، ولكنه اكتفـى منها بإيراد تعريف الأصمعي لمعنى الفحل من الشعراء فقال : هو من "له مزيـــة على غيره كمزية الفحل على الحقاق ."(١) وأتبع ذلك بذكر أسماء طائفة كبيرة من الشعراء ممن لم يعد هم الأصمعي فحولا . وسكوت المرزباني عن ذكر أسماء الفحول من الشعراء والاكتفاء بذكر أسماء من ليسوا فحولا يدخل في تنفيذه لخطته ، وهي ذكر مآخذ العلماء على الشعراء دون الاحتجاج لهم . ويفهم من أقوال المرزباني في خطـة الكتـــاب هذه أن نصه بعد على أسماء غير الفحول هو ضرب من العيب والطعن في شاعريـــة هؤلاء الشعراء التي لم ترق إلى مستوى الفحول منهم .

وإذا كان تعريف الأصمعي لمعنى الفحل من الشعراء غير بيّن فقد نستطيع تلمّس هذا المعنى ، وذلك بعد أن نصنف الشعراء الذين أخرجهم من دائرة الفحولـــة على النحو التالـــي :

أ ــ إن المهلهل لو قال مثل قولـــه :

أليْلَتَنا بذي حُسُـمٍ أنيـري
خمس قصائد لكان أفحلهـــم .(٢)

وأن الحويدرة لو قال خمس قصائد مثل قصيدته العينية كان فحلا .(٣)

وأن معقّر بن حمار البارقي لو أتم خمسا أو ستا لكان فحلا .(٤)

١ــ الموشح ، ص ٦٣ ، فحولة الشعراء ، ص١٣ (والحقاق بكسر الحاء ما كان من الابل ابن ثلاث سنين وقد دخل في الرابعة ، حاشية فحولة الشعراء ، ص ١٣) .
٢ــ الموشح ، ص ١٠٦ ، فحولة الشعراء ، ص٢٢
٣ــ الموشح ، ص ١١٩ ، فحولة الشعراء ، ص ٢٢
٤ــ الموشح ، ص ١١٩ ، فحولة الشعراء ، ص ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأن أوس بن مِغراء الهُجَيْمي " لو كان قال عشرين قصيدة لحق بالفحول ، ولكنه قطع به ."(١) فهؤلاء الشعراء وآخرون غيرهم كان من الممكن أن يكونوا فحولا لو نظموا قصائد أخرى جيادا كجودة قصائدهم المسماة . وإذن فالشاعر الفحل هو الشاعر الذي ينظم عددا من القصائد الجياد .

ب ــ أما الفئة الثانية ممن ليسوا فحولا فهم طائفة من الشعراء الفرسان ، ومنهم عنترة والزبرقان بن بدر ، وعباس بن مرداس السلمي . وقد عدهم الأصمعي أشعر الفرسان .(٢)

جـ ــ والفئة الثالثة من الشعراء غير الفحول هي فئة الشعراء الكرام ، ومن هؤلاء عروة بن الورد ، وحاتم الطائي .(٣)

وهذان الصنفان الأخيران من الشعراء لا يُستَند في إسقاط صفة الفحولة عنهم إلى قلة الانتاج ورداءته ، في مقابل مالاحظناه في الصنف الأول من اشتراط الجودة والكثرة في الإنتاج ، وإنما يُستند إلى أنهم عرفوا بلون واحد من الشعر ، وبصفة غالبة في الحياة هي الفروسية عند فريق ، والكرم عند فريق ثان ، لا قرض الشعر والانقطاع له ، والاشتهار به .

ومع هذا كله يظل القطع بتحديد مفهوم الفحولة الذي تصوره الأصمعي غير محدد .

وفي الموشح مفهوم آخر لمعنى الفحل من الشعراء ، ففي خبر أن ذا الرمة أنشد قصيدته التي أولها :

أمنزلتَيْ مَيَّ سلامٌ عليكما هل الأزمنُ اللائي مَضَيْن رواجعُ

فراقت هذه القصيدة الفرزدق ، فقال له ذو الرمة : فعالي يا أبا فراس لا أُعَدُّ في الفحول ؟ فقال : لتجافيك عن المدح والهجاء ، واقتصارك على الرسوم والديار."(٤)

فهذه إضافة جديدة في تحديد معنى الفحل ، وهي النظم في موضوعات شعرية متعددة وعدم حصر الشاعر شاعريته في غرض واحد .

١ــ الموشح ، ص ١١٩ ، ولم يرد ذكر لهذا الشاعر في فحولة الشعراء .
٢ــ انظر : نفسه ، ص ١١٩ ، فحولة الشعراء ، ص ٢٧
٣ــ انظر : الموشح ، ص ١١٩ ، فحولة الشعراء ، ص ٢١ ، ٢٦
٤ــ الموشح ، ص ٢٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتفق إشارة الغرزدق هذه في تحديد معنى الفحل مع ما ورد عن الأصمعي في موضع آخر من الموشح ، ففي حديث المرزباني عن حسان بن ثابت أورد قول الأصمعي التالي : " طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي وحمزة وجعفر وغيرهم لان شعره . وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول من مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل ، والحروب والافتخار ، فاذا أدخلته في باب الخير لان ." (١)

واذن فالفحل من الشعراء هو الذي يكثر من الشعر ، ويكثر من النظم في موضوعات مختلفة ، ومع أن الأصمعي عد حسان بن ثابت من الفحول (٢) إلا أنه — فيما يبدو — حكم على شاعريته في مرحلتها الأولى ، وقبل أن يحصرها صاحبها في باب الخير .

وأضاف ابن رشيق بعدا جديدا لمفهوم الفحولة ، وذلك عندما اشترط توافر عنصر الثقافة في الشاعر حتى يكون فحلا . (٣)

وفي لسان العرب " يعرف ابن منظور الفحل بقوله : " فحول الشعراء هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم ، مثل جرير والفرزدق وأشباههما ، وكذلك كل من عارض شاعرا فغلب عليه ، مثل علقمة بن عبدة ، وكان يسمى فحلا ، لأنه عارض امرأ القيس ." (٤)

وهذا التعريف ، على ما به من تحديد ، يظل بعيدا عن المفهوم الذي أراده الأصمعي لمعنى الفحل ، اذ جعله ابن منظور محصورا في بابي النقائض والمعارضات الشعرية والغالب في أحد هذين الضربين من الشعراء يعد فحلا .

١ــ الموشح ، ص ٨٥ ، ٩٠ . ولم يرد هذا النص في فحولة الشعراء للأصمعي ، وقد أضافه محققا الفحولة اعتمادا على الموشح ، انظر ، الفحولة ، ص ٤٢ .

٢ــ انظر : فحولة الشعراء ، ص ٢٠

٣ــ انظر : العمدة ، جـ١ ، ص ١٩٧ — ١٩٨

٤ــ اللسان مادة فحل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ــ الأخلاق والدين والشعـــر .

الشعر ضرب من الفن الرائق الجميل ، وغايته إحداث الإدهاش والإمتاع فـــي نفوس المتلقين ، وهذا ما عبر عنه بطريقة ما قول أبي حية النميري ليحيى بن نوفـــل الحميري ، " أنشدني " فأنشد يحيى ، ولما فرغ من إنشاده ، قال له أبو حية : ألـم أقل لك أنشدني ؟ "[1] . . . كأن ما سمعه منه لم يحدث في نفسه إمتاعا ولا إدهاشـا .

وإذا استطعنا أن نفهم هذه الغاية التي يسعى إليها الشعر ، أمكننا أن نفهـم موقف فريق من النقاد في " الموشح " وهم الذين فصلوا بين عالم الشعر وعالـــم الدين والأخـــلاق .

ولكنا ، في الوقت نفسه ، نجد فريقا آخر من الناس ، ومن نقاد الشعر ، يرون أنّ ليست الغاية من الشعر هي إحداث الإمتاع والإدهاش ، وإنما هي حمل المضامـــين الخلقية ، والقيم الاجتماعية ، ويوضح هذا المنحى قول أبي عبيدة معمر بن المثنى لإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فقد أنشد إسحاق أبا عبيدة أبياتا لبعض القدمـــاء فقال أبو عبيدة : " أترى فيها مثلا أو معنى حسنا " ، فقال إسحاق : " لا ، فقال : من جعلك حامل أسفار ؟ "[2]

وإذا استطعنا أن نفهم هذا أيضا ، أمكننا أن نفهم موقف الفئة الثانية من نقـــاد الشعر ممن رأوا أنه لا يجوز للشاعر بحال أن يتجاوز معايير الجماعة ، ومعتقداتها وقيمهـــا .

ويعكس " الموشح " ذينك الموقفين المتباينين من عالم الشعر ، وعالم الديـــن والأخـــلاق .

الأول هو موقف الذين يعيبون الشعر الذي يتنافى مع القيم الخلقيـــة والدينية ، وهو موقف بعض الساسة من أمويين وعباسيين ، وموقف علماء الدين ودعاة الإخلاق وبعض نقاد الشعر المتخصصين . وهذه طائفة من الأخبار التي توضح هذا الاتجاه .

١ــ انظر : الموشح ، ص ٥٥٥

٢ــ نفسه ، ص ٥٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— أخرج مروان بن الحكم ، وهو يومئذ وال بالمدينة ، الفرزدق عنها لأنه نظم قصيدة يحكي فيها قصة زنا له ، (١) منها قوله :

هُما دلّتاني مِنْ ثمانينَ قامةً كما انقضّ بازٍ أقتمُ الريشِ كاسِرُهْ

وعيره خصمه جرير بها في قوله له : (٢)

تَدَلّيْتَ تزني مِنْ ثمانينَ قامةً وقصّرْتَ عن باعِ العُلا والمكارِمِ

وقالت له سكينة بنت الحسين : " سوأة لك ، ما استحييت من الفحش تظهره في شعرك ، ألا سترت عليك ؟ أفسدت شعرك . " (٣)

— وقصة عبد الملك بن مروان مع عمر بن أبي ربيعة تتطابق وقصة الفرزدق مع مروان ابن الحكم ، فقد حج عبد الملك عاما فالتقى عمر ، فأمر بإخراجه من مكة حتى يقضي الناس حجهم ، (٤) لأن عمر قال :

ولولا أنْ تُعنّفَني قريشٌ مَقالَ الناصِحِ الأدنى الشفيقِ
لَقُلْتُ إذا الْتَقَيْنا قَبّليني ولوْ كُنّا على ظَهْرِ الطريقِ

— بل إن عالما متدينا كسعيد بن المسيب لم يرض عن عمر بن أبي ربيعة ، لأنه صغّر ما عظمه الله ، فقد بلغه بيت عمر :

وغابَ قُمَيْرٌ كنْتُ أرْجو غُيُوبَه وروّحَ رُعْيانٌ ونوّمَ سُمّرُ

فقال : " ماله قاتله الله ، لقد صغّر ما عظمه الله عز وجل ، قال " والقمر قدّرْناه منازل حتى عاد كالعُرْجون القديم . " (٥) ثم قال : لا تقولوا مُسَيْجد ، ولا مُصَيْحف ، وما كان لله — عز وجل — فهو عظيم حسن جميل . " (٦)

— ومن أثار حفيظة الساسة من الشعراء أبو نواس ، فقد روي أن الرشيد وقف على أبيات لأبي نواس يظهر فيها كفره وزندقته ، وذلك من مثل قوله منكرا البعث والنشور : (٧)

---

١ — انظر : الموشح ، ص ١٨٠
٢ — انظر : نفسه ص ٢٦٦
٣ — نفسه ، ص ٢٦٦
٤ — انظر ، نفسه ، ص ٣١٨ — ٣١٩
٥ — سورة يس آية ٣٩
٦ — الموشح ، ص ٣٢٢
٧ — انظر في ذلك ، الموشح ، ص ٤٢٧ — ٤٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا ناظِرًا في الدين ما الأَمْرُ ... لا قَدَرٌ صَحَّ ولا جَبْرُ
ما صَحَّ عندي مِنْ جَميعِ الذي ... تَذْكُرُ إلا الموتُ والقبْرُ

وقولـــه :

باحَ لِساني بِمُضْمَرِ السِّـــرِّ ... وذاك أنّي أقولُ بالدَّهْرِ
وليْسَ بعْدَ المَماتِ مُرْتَجَـــعٌ ... وإنما المَوْتُ بَيْضَةُ العُقْرِ (١)

— ومن النقاد الذين عابوا التهتك الخلقي في الشعر ، عبد الله بن المعتز ، فقد عاب أبيات امرئ القيس المعروفة في المعلقة ، (٢) كما عاب زهير بن أبي سلمى في بعض شعره الذي ذكر فيه العورة ذكرا صريحا لا مواربة فيه . (٣)

— ولعن أبو الهُذَيْل العلّاف العباس بن الأحنف لأنه يعتقد الكذب والفجور في شعره . (٤)

الثانـي : هو موقف النقاد الذين فصلوا بين عالم الشعر وعالم الديـــن والأخـــلاق .

وإذا كان أنصار الموقف الأول كثيرين ، فإن لذلك أسبابا عقدية وسياسية ، فضـــلا عما في الأبيات التي كانت موضع ثورة أولئك الساسة أو العلماء الفقهاء ، أو النقـــاد ، من مجاهرة صريحة بالفسوق والفجور ، أو بالكفر والإلحاد ، وخلوها جميعا من جمـال الفن إلا قصيدة الفرزدق .

أما دعاة الفصل بين الدين والشعر فهم قلة ، ومنهم عبد الله بن أبي عتيق ، والأصمعي وأبو عمرو بن العلاء .

أما ابن أبي عتيق فلم يمنعه ما في شعر عمر بن أبي ربيعة من معصية ، من تقديمـــه إياه على الحارث بن خالد المخزومي ، وذلك في قوله لبعض ولد خالد : " بعض قولك يا ابن أخي ، فلشعر عمر لوطة في القلب ، وعلق بالنفس . . . وما عصي الله — عز وجـــل — بشعر أكثر مما عصي بشعر عمر . "(٥)

١ــ بيضة العقر : بيضة الديك ، مثل في الشيء يقع مرة لا ثانية لها / اللسان / عقر
٢ــ انظر ، الموشح ، ص ٤١
٣ــ انظر ، نفسه ، ص ٥٩
٤ــ انظر ، نفسه ص ٤٤٩
٥ــ الموشح ، ص ٣٢٨ ، وانظر ، الأغاني جـ١ ، ص ١٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما أبو عمرو بن العلاء فعلى الرغم من تصريحه بأنه معجب بلبيد بن ربيعة رجلا ، دينا خيرا فان ذلك لم يمنعه من القدح في شعره . يقول : " ما أحد أحب إلي شعرا من لبيد بن ربيعة ، لذكره الله — عز وجل — ولإسلامه ، ولذكره الدين والخير ، ولكن شعره رحى بزّر ." (١) أي هو شعر ذو طنين ، ولكن ليس وراءه كبير فائدة في مقاييس الفن .

وأما الأصمعي فقد قال : " شعر لبيد كأنه طيلسان طبرى ." وفسّر أبو حاتم السجستاني هذا بقوله : " يعني أنه جيد الصنعة ، وليست له حلاوة " ويقول : أيضا ، هو رجل صالح كأنه ينفي عنه جودة الشعر . (٢)

والرأى الذى تبناه هؤلاء النقاد الثلاثة ، هو الرأي الذى سار عليه كثير من النقاد العرب بعد ، كالصولي في قوله دفاعا عن أبي تمام : " وما ظننت أن كفرا ينقص من شعر ، ولا أن ايمانا يزيد فيه ." (٣) والقاضي الجرجاني في قوله بصورة أجلى : " فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين .. ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر ." (٤) والقاضي أبو بكر الباقلاني الذى يقول : " الشاعر المغلق إذا جاء إلى الزهد قصّر ." (٥)

---

١ — الموشح ، ص ١٠٠

٢ — الموشح ، ص ١٠٠ ، فحولة الشعراء ، ص ٢٨

٣ — أخبار أبي تمام ، ص ١٧٢

٤ — الوساطة ، ص ٦٤

٥ — اعجاز القرآن ، ص ٣٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ــ مبـــدأ اللياقـــة

في " الموشح " كثير من الأخبار التي تعكس منظور بعض النقاد العرب فيمـــا يليق وما لا يليق للشاعر أن يقوله في مدح ممدوحيه ، أو هجاء مهجويه ، أو نعـت النساء المعشوقات . وهي أخبار أوحت من غير شك ، إلى البـلاغيين المتأخريـن بوضع مصطلحهم المشهور " لكل مقام مقـــال " .

وكان قدامة بن جعفر من أوائل النقاد المتخصصين الذين وقفوا على هذه الظاهرة وذلك في الفصول التي تحدث فيها عن نعوت المدح والهجاء والنسيب والمراثي ،[١] وتابعه ابن رشيق القيرواني في كثير مما ذهب إليه ، وزاد فيه .[٢]

وسنقف على الأغراض الشعرية التي كانت موطن إثارة هذه القضية النقدية .

أ ــ في الغـــــزل

روي في " الموشح " أن كثير عزة لما أنشد قولـــه :

فما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّـرى ... يَمُجُّ النَّدى جَنْباتُها وعرارُها
بأطْيَبَ مِنْ أردانِ عَزَّةَ مَوْهِنًـــا ... إذا أوْقَدَتْ بالمَنْدَلِ الرطب نارُها

فقالت له امرأة مدينية : " فض الله فاك ، أرأيت لو أن ميمونة الزنجية بخـــرت بمندل رطب ، أما كانت تطيب ، ألا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس :

ألم تَرَ أنَّي كُلَّما جِئْتُ طارِقًا ... وجدْتُ بها طِيبًا وإنْ لم تَطَيَّبِ[٣]

ولما أنشد كُثَيِّرُ عبدَ الله بن أبي عتيق قوله :

ولسْتُ براضٍ من خليلٍ بنائـلٍ ... قليلٍ ، ولا أرْضى له بقليـــل

قال ابن أبي عتيق : " هذا كلام مكافئ وليس بعاشق ، القرشيان أصدق منك وأقنع "[٤] فعمر يقـــول :

١ــ انظر ، نقد الشعر ، في الصفحات ، ٦٨ ــ ١٤٩
٢ــ انظر ، العمدة ، جـ٢ ، باب النسيب ، وباب المديح ، وباب الافتخار ، وبـاب الرثاء ، وباب العتاب ، وباب الهجاء ، وباب الاعتذار ، وباب الوصف .
٣ــ الموشح ، ص ٢٣٩
٤ــ نفسه ، ص ٢٣٧ ، والقرشيان هنا هما عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَصِدِي نائلًا وإنْ لم تُنيلي ... إنما يَنْفَعُ المُحِبَّ الرجاءُ

وابن قيس الرقيات يقول :

رُقَيَّ بعُمْرِكُمْ لا تَهْجُرينا ... ومَنِّينا المُنَى ثمَّ امْطُلينا
عِدينا في غدٍ ما شِئْتِ إنّا ... نُحِبُّ ولو مَطَلْتِ الواعدينا
فإمّا تُنْجزي عِدَتي وإمّا ... نَعيشُ بما نُؤمِّل منْكِ حينا

ولما أنشد عمر أبياته التي منها قوله :

قالتْ لأُخْتٍ لها تُعاتِبُها ... لنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ في عُمَرِ
قُومي تَصَدَّيْ له ليُبْصِرَنا ... ثمّ اغْمُزيه يا أختُ ، في خَفَرِ

قال له كثير : " لقد قلتَ فأحسنت في كثير من شعرك ، ولكنك تخطئ الطريق ، فتشبب بها ، ثم تدعها وتشبب بنفسك "(١) ..... إن المرأة إنما توصف بالخَفَر ، وأنها مطلوبة ممنعة ، ولهذا فضل عليه قول الأحوص الذي وصف صاحبته بأنها ممنعة :(٢)

لقد مَنَعَتْ معْروفَها أمُّ جَعْفَرٍ ... وإنّي إلى مَعْروفها لَفَقيرُ
أُدُورُ ولولا أنْ أرَى أمَّ جَعْفَرٍ ... بأبياتِكم ما دُرْتُ حيثُ أدُورُ (٣)

وعبر عبد الله بن أبي عتيق عن شيء قريب من هذا الذي قاله كثير في غزل عمر ، فقد أنشده عمر يوما قوله :

بَيْنَما يَعْتَنِي أبْصَرْنَني ... دُونَ قِيدِ الميْلِ يعدُو بي الأغَرّ
قالت : أتُعْرِفْنَ الفتى قُلْنَ نعم (٤) ... قد عرفْناهُ وهل يخفى القمر

فقال : " أنت لم تنسب بها ، إنما نسبْتَ بنفسك ، إنما كان ينبغي أن تقول : قلتُ لها ، فقالت لي ، فوضعتُ خدي فوطِئَتْ عليه ."(٥)

وقال علي بن هارون المنجم في ذلك أيضا : " وكان المفضل ـ بن سلمة ـ يضع من شعر عمر في الغزل ، ويقول : إنه لم يرقّ كما رقّ الشعراء ، لأنه ما شكا قط من

---

١ ـ الموشح ، ص ٢٥٧
٢ ـ انظر ، نفسه ، ص ٢٥٨
٣ ـ في الأصل ، أزور ... مازرت حيث أزور ، والصواب ما أثبت .
٤ ـ هكذا في الأصل ، والصواب ، قالت الصغرى وقد تيمتها ، انظر ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ١١٩
٥ ـ الموشح ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حبيب هجرا ، ولا تألم لصد ، وأكثر أوصافه لنفسه ، وتشبيبه بها ،[1] وأن أحبابه يجدون به أكثر مما يجد بهم ، ويتحسرون عليه أكثر مما يتحسر عليهم ، ألا تراه في هذا الشعر وهو من أرق أشعاره — قد ابتدأه بذكر حبيب هواه هواه ووصف أنه هو هجره من غير إساءة ، واجتنب بيته مع قربه ، وفي غير ذلك يقول :

قد عرفْناه وهلْ يخفى القمر

يصفُ وصْفَهن إياه بالحسن ، ويقول :

قالتْ لِقَيِّمِها وأذْرَتْ عَبْرةً ... مالي ومالكَ يا أبا الخطَّابِ
أطْعَمْتَني حتى إذا أوردْتَني ... حَلَّأْتَني ولَمَ اسْتَتِمَّ شرابي .[2]

إن هذه المقاييس التي احتكم إليها هؤلاء النقاد هي مقاييس نابعة من نظرة العربي القديم إلى طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة ، فالمرأة يحب ما فيها من تمنع ، والرجل هو الذي يسعى إليها ، ويطلبها ، فإن لم يلفها بكى وشكا وتضرع وتذلل وسهر يعد النجوم ! وليس في هذا النقد شيء ذو بال عند الاحتكام إلى مقاييس الفن الخالص .

ونجد شيئا من التطور في النظرة إلى فن الغزل باعتباره فنا شعريا ، على خلاف النظرة التي تحتكم إلى قوانين اللياقة الاجتماعية ، وذلك لدى الناقدين ابن المعتز وقدامة بن جعفر .

أما ابن المعتز فقد أورد نماذج من غزل أبي تمام القبيح في لفظه ، المعمى في معانيه ، ولمن من واصله من الأحباب على مثله .[3] ومن الأبيات التي أوردها لأبي تمام في الغزل قوله :

ومَنْ قَدْ شَفَّني فصَبَرْت حتَّى ... ظَنَنْتُ بأنَّ نفْسي نفسُ كَلْبِ

وقوله :

طالَتْ يدي لما بلغتُك سالما ... وانْحَتَّ عن خَدَّيَّ ذاكَ المِظْلَمُ

ثم قال : المظلم : عصارة شجرة ربما دبغت به الجلود ، أفترى لو قال هذا روبة والعجاج لم يكونا فيه بفيضين ثقيلين !.[4]

---

١ — في الموشح : " وتشبيهه " وهي لفظة لا معنى لها في هذا السياق ، والأولى ما اقترحت ، انظر ، الموشح ، ص ٣٢١ .
٢ — الموشح ، ص ٣٢٠ — ٣٢١
٣ — انظر ، الموشح ، ص ٤٨٨ ،
٤ — الموشح ، ص ٤٩٠ ، ولمزيد من الأمثلة : انظر ، نفسه ، ص ٤٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفهم من ثورة ابن المعتز على غزل أبي تمام ، ومن خلال الأبيات التي تمثل بها أنه يشترط أن يكون الغزل معروضا بلفظ رائق عذب ،وبمعان واضحة لا يحتاج فهمها إلى إعمال فكر وكبير جهد .

وهذا الذى فهمناه من ابن المعتز دون تصريحه به ،هو الذى قاله قدامة بن جعفر : " المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة ، واستعمال الألفاظ اللطيفة المستعذبة المقبولة غير المستكرهة ،فإذا كانت جاسية مستوخمة كان ذلك عيبا ."(١) ولكنه عندما أخذ في التطبيق على الغزل المعيب بسبب خشونة اللفظ أخفق ، لأن الأبيات التي أوردها ترتد كلها إلى المعيار اللائق وغير اللائق ،ومن ذلك قوله : من المستخشن قول عبد الرحمن القس :

سلامُ ليْتَ لِسانًا تَنْطِقين بـه قبْلَ الذي نالني من صوته قُطِعا

" فما رأيتُ أغلظ ممن يدعو على معشوقة أجادت في غنائها بقطع لسانها ."(٢)

فلفظة " الخشونة " عنده تعني الغلظة في الخطاب .

ولعل أقوال هذين الناقدين هي التي أوحت إلى القاضي الجرجاني أن يقول في غزل أبي تمام : " ولست أدري-ويشهد الله - كيف تصور له أن يتغزل وينسب ،وأي حبيب يستعطف بالفلسفة . . ."(٣)

ب - في المديح .

تنطبق مقولة البلاغيين " لكل مقام مقال " أيما انطباق في النقد الموجه لعدد كبير من الشعراء ممن لم يراعوا حال الممدوحين النفسية ،أو مكانتهم الاجتماعية ،ومن ذلك أن جريرا مدح بشر بن مروان فقال :

قد كان حَقُّكَ أنْ تقولَ لِبَارقٍ يا آلَ بارقَ فيمَ سُبَّ جريرُ

فقال بشر : " أما وجد ابن المراغة . . رسولا غيري "(٤) وعلّق الصولي على هذا الموقف ،فقال : " وليس كذا يخاطب الأمراء ."(٥)

١- الموشح ،ص ٣٥٢ ، نقد الشعر ، ٢٢٤ - ٢٢٥

٢- المصدران السابقان انفسهما .

٣- الوساطة ،ص ٦٨

٤- الموشح ،ص ١٨٩

٥- نفسه ،ص ١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك أيضا أن الفضل بن يحيى قال لما مدحه أبو نواس :

سَأَشْكو إلى الفَضْلِ بنِ يحيى بنِ خالدٍ هَواكُمْ لعلّ الفضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

" ما زاد على أن جعلني قوادا . "(١)

ومن هذا أيضا أن كُثيِّر بن عبد الرحمن قال في مدح عبد العزيز بن مروان :

وما زالَتْ رُقاكَ تَسُلُّ ضِغْنِي وتُخْرِجُ مِنْ مكامِنِها ضَبَابي

وَيَرْقيني لَكَ الراقُونَ حتّى أَجَابَكَ حَيَّةً تحْتَ الحِجَابِ

فهو " زعم أن عبد العزيز ترضاه ، واحتال له ، ورقاه حتى أجابه ، أهكذا يمدح الملوك ؟ "(٢)

إن هذه الملاحظات النقدية الطائرة ، وأخرى كثيرة على شاكلتها (٣) هي التي أوحت — في أكبر الظن — إلى قدامة بن جعفر أن يقول في نعت المدح — مع ما في تعبيره من تأثر بأسلوب الفلاسفة اليونان — " أفضل مديح الرجال ما قصد به الفضائل النفسية الخاصة ، لا بما هو عرضي فيه ، وما أتى من المدح على خلاف ذلك كان معيبا . "(٤) فبعض الأمثلة التي يمثل بها على المدح المصيب ، والمدح المعيب هي ذاتها التي تمثل بها غيره من النقاد قبله ؛ قال قدامة : " ومن الأمثلة الجياد في هذا الموضع ما قاله عبد الملك به مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات ، حيث عتب عليه في مدحه إياه ، إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللهِ تَجَلَّتْ عن وجْهِهِ الظَّلْماءُ

وقلتَ فيّ :

يأْتَلِقُ التاجُ فوْقَ مَفْرِقِهِ على جبينٍ كأنّهُ الذّهَبُ

فوجه عتب(٥) عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك ودخل في جملته ، إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة ، وذلك غلط وعيب . "(٦)

---

١ — الموشح ص ٤٢٤

٢ — نفسه ، ص ٢٢٩

٣ — لمزيد من الأمثلة على هذا الضرب من النقد : انظر ، الموشح ، ص ١٩١ — ١٩٢ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٣٣٥ ، ٥٣٨ ، ٥٤٦ .

٤ — الموشح ، ص ٣٤٦ ، نقد الشعر ، ص ٢١٤

٥ — في الموشح ، عيب ، والصواب " عتب " كما في نقد الشعر . انظر ، الموشح ، ص ٣٤٦ ونقد الشعر ، ص ٢١٥

٦ — الموشح ص ٣٤٦ — ٣٤٧ ، نقد الشعر ، ص ٢١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذان البيتان ونقدهما سبق الحديث عنهما في موضع آخر من الموشح[١].

وعلى أية حال فإن نظرة قدامة تظل أوضح وأجلى وأكثر تحديدا لمذهب العرب الشعرى في المديح من ناقدين متخصصين آخرين هما أحمد بن محمد الحلوانـــي ، وعبد الله بن المعتز ، لأن غاية ما أفصح عنه هذان الناقدان لا يزيد عن الوقـــوف على بعض أبيات المدح التي لم يوفق قائلوها فيها ،

فمن أحمد بن محمد الحلواني أخذ العرزباني القول التالي : "ذكر أحمد بن عبيد ابن ناصح أنه قال لأبي تمام ــ وكان يجيء إلى المسجد الجامع ينشد أشعاره ــ فأنشد وهو يصول بـــه :

لو خرّ سيفٌ من العَيّوق[٢] مُنْصَلِتا ما كان إلا على هاماتِهِمْ يَقَـعُ

فقلنا : ما في الدنيا أحدٌ أذلّ من هؤلاء . . . فقال أبو تمام : قال زهير :

وإنْ يُقْتَلوا فَيُشْتَفى بدمائهـمْ وكانوا قديمًا مِنْ منايَاهُمُ القَتْلُ

فقلت : إنما وصف أنهم لا يموتون إلا تحت السيوف ، وأنت قلت : لو خرّ سيـف لم يقع إلا على هاماتهـــم ."[٣]

ومن ابن المعتز أخذ العرزباني مجموعة من أبيات أبي تمام المعيبة ، منها قوله :

عَلَوْا بجُنوبٍ مُوجَداتٍ كأنَّهـا جُنُوبُ فُيُولٍ مالَهُنَّ مَضَاجِـعُ

فقال ابن المعتز في هذا البيت : "أراد أنهم لا يغلبون ، ولا يصرعون ، كما أن الفيلة لا تضطجع ، وهذا بعيد جدا من الإحسان ."[٤]

ووردت لابن المعتز تعليقات أخرى على أبيات في المدح معيبة ، ومن تلك التعليقات قوله : " وقد كان الناس قبلنا ينكرون على الشاعر أقل من هذه المعايب ، حتى هجّنـوا شعر الأخطل ، وقد موا عليه بثلاثة أبيات لم يصب فيها ، وهو شاعر زمانه ، وسابق ميدانه . . . فكيف نجيز للمحدثين ، مع تصفحهم لأشعار الأوائل ، وعلمهم بها ، مثلَ هذا الجنون ."[٥]

١ــ انظر ، الموشح ، ص ٢٩٤

٢ــ العيوق ، كوكب مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال ، ويطلع قبل الجوزاء / اللسان

٣ــ الموشح ، ص ٤٦٨ ــ ٤٦٩

٤ ــ نفسه ، ص ٤٧٣

٥ ــ نفسه ، ص ٤٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا النقد يظهر ابن المعتز ناقدا من أنصار القديم ، فهو يحاول أن يسوغ للقدماء ما وقعوا فيه من عيوب لأنهم لم يجدوا من يبصرهم بها ، أما المحدثون فلا عذر لهم فيما يقعون فيه بعد أن تصفحوا أشعار الأوائل ، وبعد أن علموا ما بها من خطأ ، وإذن فحقيق بهم ألا يقعوا في شيء من ذلك .

جـ — في أغراض اخرى .

يلاحظ أن الموضوعين الشعريين اللذين كانا مدار الاهتمام في نطاق مايليق ومالا يليق هما الغزل والمديح .

ومع ذلك ترد إشارات قليلة ، ومواقف نقدية متفرقة في الأغراض التالية : الوصف ، والرثاء ، والهجاء .

أما الوصف فمدار الحديث فيه هو ما سبق لنا بيانه في حديثنا عن الصدق الفني والصدق الواقعي ، والمبالغة والكذب .

وأما الرثاء فليس في الموشح عنه إلا وقفة أحمد بن محمد الحلواني من بعض أبيات أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي ، فقد روى الحلواني أن أحمد بن عبيد بن ناصح قال لأبي تمام بعد أن أنشده مرثيته في محمد بن حميد الطوسي التي مطلعها :

كذا فَلْيجِلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدِحِ الأَمْرُ ... وليس لعَيْنٍ لَمْ يفِضْ ماؤُها عُذْرُ

" فقلتُ له : عجزه لا يشبه صدره ، إنما كان ينبغي أن تذكره بمدح ورقة ثم تقول

وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ولا يقال : كذا فليقتلنا الله إنما يقال : كذا فليصبنا أبدا

. . . وقلتُ لأبي تمام : أخبرني عن قولك :

كأن بني نبهان يوْمَ وفاتِهِ ... نجومُ سماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ

أردْتَ أن تصفَ حسن حالهم بعده أو سوء حالهم ؟ قال : لا والله إلا سوء حالهم ، لأن قمرهم قد ذهب . فقلت : والله ما تكون الكواكب أحسن ما تكون إلا إذا لم يكن معها قمر ، ألا قلت كما قال أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخُرَيْمي :

بَقِيَّةُ أَقْمارٍ من العِزِّ لوْخَبَتْ ... لظَلَّتْ مَعَدٌّ في الدُّجَى تَتَسَكَّعُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا قَمَرٌ منها تَغَوَّرَ أو خَبَا بَدَا قَمَرٌ مِنْ جَانِبِ الأُفْقِ يَلْمَعُ.(١)

وهذا النقد ما يزال يحوم في دائرة ما يليق ومالا يليق من حيث الفكرة وفي دائرة المشاكلة من حيث الصياغة ، وهو،بعد، لا يطرح منظورا عاما يحدد السمات التي يجب توافرها في قصيدة الرثاء حتى تكون بناء فنيا صادقا وجميلا .

وأما الهجاء فقد بسطنا القول فيه في حديثنا عن المفاضلة بين شعراء النقائض ، والذى يدخل منه فيما نحن بصدده ما عيب به الفرزدق لما قال في هجاء جرير :

بأيِّ رِشاءٍ ياجريرُ وماتِحٍ تدلَّيْتَ في حَوْماتِ تِلكَ القَماقِمِ

فقيل في عيبه : " فجعله تدلى عليه وعلى قومه "(٢) وما في طيات هذا البيت من إشارة إلى رفعة جرير وانحطاط الفرزدق وآله بقوله : تدليت .

كما يدخل في هذا الاطار رأى العرزباني في أهاجي البحترى وابن الرومي وهو ما بسطنا القول فيه أيضا لدى حديثنا عن العرزباني الناقد .

هذا،وقد سمى ابن طباطبا العلوى كثيرا من الأبيات التي لم يراع فيها أصحابها المعايير الاجتماعية ،ولم تتواءم وأقدار المخاطبين ممدوحين كانوا أو معشوقات " بالأبيات التي زادت قريحة قائليها على عقولهم " وقد تحول جزء كبير من تلك الأبيات من كتاب "عيار الشعر" إلى كتاب "الموشح ".(٣)

وأما ما أورده العرزباني عن قدامة بن جعفر ، مما سمي ، "بمخالفة العرف" الذى هو " الإتيان بما ليس في العادة والطبع ."(٤) فهو شيء آخر يراد به أن يخالف الشاعر المعلوم الشائع من طبائع الأشياء ،ومن أمثلة ذلك قول المرقش :

وخالٍ على خدَّيْكِ يبدو كأنه سنا البدر في دعْجاءَ باد دُجُونُها(٥)

لأن " المتعارف المعلوم أن الخيلان سود ،أو ماقاربها في ذلك اللون ، والخدود الحسان إنما هي البيض ،وبذلك تُنْعَت ،فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى "(٦)

١ــ الموشح ،ص٤٦٩ ــ ٤٧٠ ،وانظر ماأورده العرزباني عن الصولي في هذين البيتين ، الموشح ، ٤٩٥ ،واحتجاج الصولي لأبي تمام ،أخبار أبي تمام ،ص ١٣٤ .

٢ــ الموشح ،ص ٢٦٢ ،ولمزيد من الامثلة : انظر ،الموشح ،ص٢١٣ ــ ٢١٧ ،وقد وردت هذه الامثلة في الاغاني ،جـ ٨،ص ٣١١ ، ص ٢٩٨ .

٣ــ انظر ،عيار الشعر ،ص ٩٥ ــ ٩٨ ،وقابل ذلك بما في الموشح ،ص ٨١ ، ٢٤٦ ــ ٢٤٧ .

٤ــ الموشح ،ص ٣٦٢ ، نقد الشعر ،ص ٢٤٤

٥ــ الدعجاء : الشديدة السواد . . . الدجون جمع الدجن وهو الغيم المطبق المظلم/ اللسان .

٦ــ الموشح ،ص ٣٦٣ ، نقد الشعر ،ص ٢٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤— براعة الاستهلال وفساده .

قضية الاستهلال من القضايا الوثيقة الصلة بما اصطلح البلاغيون على تسميته بقولهم : لكل مقام مقال ، وهو ما اصطلحنا على تسميته بمقياس اللياقة . وقد أبدأ العرزباني الحديث عنها وأعاده في مواضع متفرقة من الموشح ،(١) وكان عماده فيها في معظم المواطن كتاب " عيار الشعر " .

وتكرار العرزباني الوقوف على هذه الظاهرة يتفق مع خطته في حصر أخطاء كل شاعر بعينه ، فهو لما كان بصدد الحديث عن أخطاء الأعشى أثار هذه القضية في المرة الأولى ، ثم لما وقف على أشعار الأخطل ،أثارها مرة ثانية ، وحين تحدث عن عيوب عامة في أشعار بعض الإسلاميين ، اقتطف الجزء الأكبر من أقوال ابن طباطبا العلوي فيها . . .

يقول ابن طباطبا في هذه الظاهرة : " ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ، ومفتتح أقواله مما يتطير منه ،أو يستجفى من الكلام والمخاطبات ، كذكر البكاء ، ووصف الخطوب الحادثة ،فإن الكلام إذا كان مؤسسا على هذا المثال تطير منه سامعه ،وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح ،فيجتنب مثل ابتداء الأعشى :

ما بُكاءُ الكبيرِ بالأطْلالِ "وسُؤالي وما ترد سؤالي

ومثل قول ذي الرمة :

ما بَالُ عينِكَ منها الماءُ ينْسَكِبُ

وقول أبي نواس:

أَرِبْعَ البِلى إنَّ الخُشُوعَ لبادي عليكَ وإني لم أخُنْكَ وِدادي

ومثل إنشاد البحتري لأبي سعيد الثغري :

لكَ الوَيْلُ مِنْ ليْلٍ بطِاءٍ أواخرُهْ "ووشْكِ نَوى حَيٍّ تُزَمُّ أَباعِرُهْ "

فقال له أبو سعيد : الويل لك والحرب ."(٢)

١— انظر هذه القضية في الموشح ،ص ٧٠ — ٧١ ، ٢٦٦ ، ٣٧١ — ٣٧٣ ، ٤٢٢ — ٤٢٣

٢— الموشح ص٣٧١ — ٣٧٢ ، عيار الشعر ،ص ١٢٦ — ١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهؤلاء الشعراء لم يحالفهم التوفيق في ابتداءاتهم ،لأنهم لم يراعوا حالة العمد وحين النفسية بهذه المطالع المنفـــرة .

وقد ظلت قضية براعة الاستهلال قضية تبرز في كتب النقد والبلاغة ،فهذا أبو هـــلال العسكري يخصص لها جانبا من كتابه،ومع أنه نقل نقلا حرفيا ماقال به ابن طباطبا العلوي إلا أنه لم يشر إلى ذلك .(١) ووقف على هذه القضية القاضي الجرجاني ،ولكنه أضـاف إلى براعة الاستهلال قضيتين أخريين لا تقلان أهمية عنها ، هما " حسن التخلـــص والخاتمـة " وعالج أمر هذا الموضوع من وجهة نفسية في قوله : " والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص ، ويعدهما الخاتمة ،فإنها المواقف التـــي تستعطف أسماع الحضور ،وتستميلهم إلى الإصغاء ."(٢)

ومن البلاغيـــين المتأخرين الذين وقفوا على هذه القضية نذكر ابن حجة الحموي ، ومما قاله في هذا الشأن : " وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء فإنه أول شيء يقرع الأسماع ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين ، ويتفقـــد ما يكرهون سماعه . . . ليجتنب ذكره . ."(٣)

إن هذه القضية التي احتكم إليها المتلقون من العمد وحين،كانت ذات أثر عكســـي أحيانا في الشعر ، فقد روى أن بعض الشعراء كان يضطر إلى تغيير بعض ألفاظ شعره حتى يفوز بالرضا ، أو ليصلح ماأفسد ، من ذلك ما روى عن ذي الرمة أنه اضطر إلـــى تغيير مطلع قصيدته المشهورة فقال :

ما بالُ عيْنيَ منها الماءُ ينسكـــب

ومثلما روى عن اضطرار الأخطل إلى تغيير مطلع قصيدته ،بوضع لفظة " اليوم " فـــي موضع " منك " وذلك في قوله :

خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكروا .(٤)

وقد يكون هذا التغيير من فعل الرواة ، وفي الموشح مواضع كثيرة تظهر عبثهم بالأشعار، كأنهم كانوا يرون ذلك حقا لهم .(٥)

١ــ انظر ،الصناعتين ،ص ٤٣١
٢ــ الوساطة ،ص ٤٨
٣ــ خزانة الأدب ،مطبوع بهامشه رسائل الهمذاني ،بلا تاريخ ،ولا مكان نشر ،ص ٤
٤ــ انظر ،الموشح ،ص ٣٧٥
٥ ــ للتمثيل على ذلك : انظر ،الموشح ص ١٥٩ ، ١٩٩ ، ٢٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ــ القديم والمحـــدث .

قضية القدماء والمحدثين من القضايا التي شغلت أذهان النقاد العرب قديما وستظل تبرز في كل عصر ، لأنها تمثل في بعض جوانبها صراعا بين الأجيال . ولعـــل لذلك أسبابا نفسية ، أبينها أن جيل الأجداد والآباء يحاول التشبث بالقيم التـــي درجوا عليها ، وعايشوها ، في حين أن جيل الأبناء يحاول أن يثبت وجوده المستقـــل عن طريق التحرر من سلطة الآباء والأجداد ، والاستقلال بمعايير جديدة في الفـــن والحياة .

والذي حدث في قضية القديم والمحدث في الأدب العربي في العصر العباسي يتصل ببعض ما قلناه آنفا ، ولعل الصولي هو خير من عبر عن شيء قريب من هذا ، وذلك عندما تحدث عن بواعث إقبال الناس على الشعر القديم وإعراضهم عن الشعر المحدث.(١)

وفي الحديث عن قضية القدماء والمحدثين كما يعكسها "الموشح" يلفت الانتبـــاه فيه ابتداء ، ما قام به المرزباني عندما تسقط أخطاء الشعراء جاهليين وإسلاميـــين ومحدثين . فهذا عمل يعني أن الخطأ ظاهرة مشتركة بين الشعراء لا يبرأ منه قديم ولا محدث ، وهو عمل يحدد في نهاية المطاف منزع المرزباني الذي لم يكن يناصـــر فريقا على فريق ، ما داموا جميعا في الخطأ سواء .

والقضية التي شغلت أذهان أنصار القديم ، كما يعكسها الموشح ، هي قضية "عمود الشعر" . ومع أن هذا المصطلح لم يرد في أي صفحة من صفحات الموشح ، إلا أننـــا نستطيع أن نقول إنه جوهـــر قضية الصراع بين أنصار القديم والمحدث . وللتدليـــل على ذلك نورد المقتطفات التالية :

أ ــ قال الأصمعي : "وطريق الشعر هو طريق الفحول . . . من صفات الديـــار والرحل والهجاء ، والمديح ، والتشبيب بالنساء ، وصفة الخمر والخيل ، والافتخار."(٢)

ب ــ وقال ابن الأعرابي : "إنما أشعار هؤلاء المحدثين ــ مثل أبي نواس وغيـــره ــ مثل الريحان ، يشـــم يوما ، ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا ."(٣)

١ــ انظر ، مناقشة هذه القضية لدى الصولي ، أخبار أبي تمام ، ص ١٥ ــ ١٦

٢ــ الموشح ، ص ٩٠

٣ــ نفسه ص ٣٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ — وقال أحمد بن أبي طاهر : كان أبو علي البصير لا يرضى أبا نواس ، ولا مسلم ابن الوليد ، ولا من كان في طريقهما من الشعراء ."(١)

د — وقال المبرد : " في المحدثين إسراف وتجاوز وغلو وخروج عن المقدار، من ذلك قول بكر بن النطاح :

تَمْشِي على الخَزِّ مِنْ تَنَعُّمِها فَيَشْتَكِي رِجلُها من النَّزَفِ
لو مَرَّ هارونُ في عساكِرِهِ ما رَفَعَتْ طَرْفَها مِن السَّجَفِ ."(٢)

وقال أيضا : " أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ، ونبّه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره ، وساقه برصف قوى ، واختصار قريب ، وعدل فيه عن الإفراط ."(٣)

هـ — وقال أبو نواس في نعت شعره : " لو كان شعرى كله يملأ الفم ما تقدمني أحد ."(٤)

و — وقال العتابي في أبي نواس : هو والله شاعر ظريف ، مليح الألفاظ ، إلا أنه أفرط في طلب البديع حتى قال :

لمّا بَدَا تَعْلَبُ الصُّدودِ لَنَا أرْسَلْتُ كَلْبَ الوِصالِ في طَلَبِهِ ."(٥)

ز — وقال دعبل بن علي الخزاعي : " لم يكن أبو تمام شاعرا ، وإنما كان خطيبا ، وشعره بالكلام أشبه منه بالشعر ."(٦) ولهذا لم يُدْخل أبا تمام في كتابه " كتاب الشعراء ."(٧)

ح — وقال أحمد بن عبيد الله بن عمار : " بشار أستاذ المحدثين الذى عنه أخذوا ، ومن بحره اغترفوا ، وأثره اقتفوا، يأتي من الخطأ والإحالة بما يفوت الإحصاء ، مع براعته في الشعر والخطب ."(٨)

---

١ — انظر ، الموشح ، ص ٤٣٤
٢ — الموشح ، ص ٤٥٦
٣ — نفسه ، ص ٣٨٠ ، الكامل ، جـ١ ، ص ٢٩٤
٤ — الموشح ، ص ٤٠٩
٥ — نفسه ، ص ٤١٨ — ٤١٩
٦ — نفسه ، ص ٤٦٥
٧ — انظر ، نفسه ، ص ٤٦٥
٨ — الموشح ، ص ٣٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذه الأقوال جميعا ،وأخرى غيرها وردت في كتب النقد[١] ، كانت بلا شك ، من المصادر التي عوّل عليها المرزوقي في وضع مقاييس عمود الشعر ، وهذه المقاييس هي : " شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ،والاصابة في الوصف . . . والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ،ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما ."[٢]

وهكذا نجد مدى التوافق بين ما ورد في الموشح ، ومقاييس المرزوقي في عمود الشعر، وأن أنصار القديم لذلك، قد انتقدوا الشعراء المحدثين لأنهم خرجوا على، ماسعى من بعد ، عمود الشعر بعنايتهم الفائقة في الغوص على المعاني الدقيقة ،دون عناية منهم بعباراتهم الشعرية ، فجاءت مليئة باللحن والخطأ ، ولم يحافظوا على شرف المعنى وصحته فكثرت إحالاتهم وخروجهم عن المقدار ، كما انتقدوهم لمبالغاتهم في طلب فنون البديع ،ولعا في تشبيهاتهم من كذب يتجاوز الحقيقة والواقع كثيرا،ولا تدنو منهما بحال .

وبعد ،فإن الدارس لا يقع في الموشح على آراء تحاول أن تنصف الشعراء المحدثين فليس فيه مثل قول ابن قتيبة : " نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه ."[٣] ولا مثل قول المبرد : " وليس لقدم العهد يفضل القائل ،ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحقه ."[٤] وذلك لسبب بسيط هو أن " الموشح " كما سبق أن بينا ـ كتاب في مآخذ العلماء على الشعراء دون الاحتجاج لهم . وأما ما كان يرد فيه من مواقف ثناء على بعض الشعراء ،فهو أولا قليل جدا ، وهو ثانيا ،وهذا ما يعنيناهنا ،لإبراز مدى الإخفاق الذى يقع فيه بعض الشعراء لا على مذهب القائلين : " والضد يظهر حسنه الضد " بل على مذهب الضد يظهر قبحه الضد .

١ــ انظر في ذلك مثلا ، الموازنة ،جـ١ ،ص ١٨ ، الوساطة ،ص ٣٣ ــ ٣٤
٢ــ شرح ديوان الحماسة جـ١ ،ص ٩
٣ ــ الشعر والشعراء ،جـ١ ،ص ١٠
٤ــ الكامل ،جـ١ ،ص ٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن تمام الحديث عن قضية القدماء والمحدثين ،كما يصورها الموشح ، أن نذكر أسماء بعض العلماء الذين تعصبوا للقدماء ،وأن نبرز صورتين توضحان مدى مناصرتهم لهم .

أما العلماء الذين ناصروا القدماء فهم أبو عمرو بن العلاء ،وإسحاق بن ابراهيم الموصلي ، والأصمعي ،وأبو الحسن علي بن يحيى المنجم ،وابن الأعرابي ،والعتابي .

وأما مناصرتهم للشعر القديم فتبرز في شكلين ظاهرين ،عدا عن نفورهم من الشعر المحدث للأسباب التي بيناها قبل حين في الحديث عن عمود الشعر .

١ــ الصورة الأولى : ويظهر فيها هؤلاء الأنصار متعصبين تعصبا مطلقا ،دونما تعليل ،من مثل قول يونس النحوي عن أبي عمرو بن العلاء : " كان أبو عمرو بن العلاء أشد تسليما للعرب " .(١) ومن مثل قول ابن الأعرابي لمن أنشده شعرا حسنا لأبي نواس ،فسأله سائل : " أما هذا من أحسن الشعر ؟ قال : بلى ،ولكن القديم أحب الي ."(٢) ومن مثل ما قيل عن إسحاق الموصلي الذي شاع عنه مناصرته المطلقة للقدماء : " وكان إسحاق في كل أحواله يناصر الأوائل ."(٣)

كما روى عنه أنه عندما كان ينشده أحد شعرا جيدا ،لا يحفل به ،من ذلك أنه لما أنشد قصيدة أبي نواس التي منها قوله :

وخَيْفَةٍ ناطورِ بِرأْسِ مُنيفَةٍ تَهُمُّ يَدا مَنْ رَامَها بِزَليلِ(٤)

فأظهر الموصلي عدم رضاه عن هذا البيت ،فقيل له : " والله لو كانت لبعض أعراب هذيل لجعلتها أفضل شيء سمعته قط ."(٥)

٢ــ الصورة الثانية : الاحتجاج لما يقع فيه بعض القدماء من أخطاء ،ويوضح ذلك الخبر التالي : " روى أحمد بن أبي طاهر . . . قال : حدثني محمد بن كناسة ، قال : جعل إسحاق الموصلي " يوما يعيب شعر الكميت ،ويتتبع مساويه ،فقلت له ، ماأحد يتتبع عليه ما تتبعت من شعر الكميت إلا وُجد في شعره عيب ،فاختر من شئت

١ــ الموشح ،ص ٤٣
٢ــ نفسه ،ص ٣٨٤
٣ــ نفسه ،ص ٤٠٨
٤ــ الزليل : الانزلاق ،باللسان .
٥ــ الموشح ،ص ٤٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : قد اخترت النابغة ، فقلت : ما معنى قول النابغة

أَرْسْمًا جديدا مِنْ سُعادَ تَجَنَّبُ

لِمَ يتجنب رسمها ؟ ثم قال عقب هذا ،

عَفَتْ رَوْضَةُ الأَجْدادِ مِنْها فَيَثْقُبُ (١)

ما هذا من أول البيت في شيء

... فقال لي : أنت تعلم أن أول هذه القصيدة مطعون عليه . (٢)

فإسحاق — لشدة إعجابه بالقدماء وتعصبه لهم — ينزه أن يقع شاعر كبير منهم في خطأ ، وهو فساد المشاكلة ، ولذلك احتج للنابغة بقوله : إن أول هذه القصيدة مطعون عليه .

هذا هو مجمل ما ورد في الموشح من أخبار عن قضية القديم والمحدث . ونرى أن القول الفصل في هذه القضية هو ما تبناه نقاد كالمبرد وابن قتيبة والقاضي الجرجاني، فليس قدم الشعر أو حداثته هو المعول عليه في استحسان عمل أدبي واستهجان آخر ، بل إن عماد الاستحسان أو الاستهجان إنما ينبع من العمل الأدبي نفسه ، بغض النظر عمن قاله ، أو متى قيل ، فإذا توافر في العمل الأدبي مقومات الجمال والصدق ، كان عملا أدبيا ناجحا في ذاته .

٦ — نقد المعنى .

في دراسة ما في " الموشح " من نقد المعنى تبرز القضيتان التاليتان :

أ — المعنى الرفيع والمعنى الوضيع

لاحظ بعض النقاد أن نفرا من الشعراء يصوغون شعرا في قضايا تدل على بعد الهمة ، وسمو المطلب ، وهم أنفسهم يصوغون شعرا في قضايا مبتذلة تدل على نقص الهمة ، وانحطاط النفس . ومن هؤلاء النقاد أبو عمرو بن العلاء وأحمد بن عبيد الله بن عمار .

---

١ — روضة الأجداد لبلاد غطفان ، ويثقب : موضع بالبادية / معجم البلدان

٢ — الموشح ، ص ٤٨ — ٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد لاحظ هذان الناقدان أنه بينما قال امرؤ القيس أفخر قول في البيتين :

فَلَوْ أَنَّ ما أَسْعَى لِأَدْنَى مَعيشَةٍ كَفَاني ، وَلَمْ أَطْلُبْ قَليلٌ مِنَ المال
ولكنّما أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثالي

قال أنذل معنى في بيتيه :

لنا غَنَمٌ نُسَوِّقُها غِزارٌ كَأَنَّ قُرونَ جِلَّتِها (١) العِصِيُّ
فتملأُ بَيْتَنا أَقِطاً (٢) وَسَمْنا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنىً شِبَعٌ وَرِيُّ (٣)

وذَمَّ بشار بن برد لأنه قال :

وإذا أَدْنَيْتِ مِنّي بَصَلا غَلَبَ المِسْكُ على ريحِ البَصَلْ
إن سلمى خُلِقَتْ مِنْ قَصَبٍ قصبُ السُّكَّرِ لا عَظْمِ الجَمَلْ

ولقوله لجاريته :

رَبابَةُ رَبَّةُ البَيْتِ تَصُبُّ الخَلَّ في الزَّيْتِ
لها بَضْعُ دَجاجاتٍ ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

واستهجن النقاد ذلك منه ، وهو الذي يقول :

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً هَتَكْنا حِجابَ الشمسِ أَوْ مَطَرَتْ دَما
إذا ما أَعَرْنا سَيِّداً مِنْ قَبيلةٍ ذُرى مِنْبَرٍ صَلَّى علينا وسَلَّما (٤)

وفي ذلك يقول ابن عمار : ".. إنه ينظم الشذرة ، ثم يجعل إلى جانبها بعرة ." (٥)

وهذا النقد ، على ما بين هذه الأمثلة من تفاوت، لا من حيث رفعة المعنى وضعته فقط، بل من حيث الصياغة الفنية كذلك ، لا يقوم على فهم سليم لطبيعة النفس الشاعرة المرهفة المتقدة في آن . وقد كان بشار صادقا في فهم تلك الطبيعة عندما قال لمنتقديه : كل شيء في موضعه ، ورباية هذه جارية لي . وأنا لا آكل البيض من السوق فرباية هذه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع عليّ هذا البيض وتحظره لي ، فكان هذا من قولي لها أحب إليها وأحسن عندها من قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل (٦)

١ ــ الجلة : جمع جليل ، وهو المسن من الغنم وغيرها
٢ ــ الأقط : شيء يصنع من اللبن المخيض على هيئة الجبن / حاشية نقد الشعر ، ص ٢٠
٣ ــ انظر ، الموشح ، ص ٢٦ ، ٢٧
٤ ــ انظر ، نفسه ، ص ٣٨٦ ــ ٣٨٨
٥ ــ الموشح ، ص ٣٩٠
٦ ــ نفسه ، ص ٣٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأمر بعد ،كما قال الاستاذ إحسان عباس : " وهذا القانون الصارم — قانون الاستواء النفسي — يجهل تقلب الحال النفسية ،وينكر أن يكون شعر الشاعر متفاوتا بحسب تلك الحال ، وهو من القوانين الخاطئة التي لا تلبث أن تندرس ، كلما اتسع مجال الفهم النفسي لدى النقاد ."(١)

وفي رأينا أن الأمر الهام في هذه القضية هو مدى نجاح الشاعر نجاحا فنيا ، سواء أكان المعنى الذي يقدمه معنى رفيعا ،أو معنى وضيعا ،وهذا ما فصل فيه قدامة بن جعفر بقوله : " وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة . . . أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى النهاية المطلوبة . ومما يجب تقديمه أيضا أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين . . بأن يصف شيئا وصفا حسنا ،ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا أيضا غير منكر ، ولا معيب من فعله إذا أحسن المدح والذم ،بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته ، واقتداره عليها ."(٢)

ووقف قدامة على أبيات امرئ القيس السالفة الذكر ، واحتج لها احتجاجا حسنا .(٣) بما لا وجه لذكره هنا ، ولكنه يتفق مع ما سبق بيانه .

وموقف قدامة هذا يحمد له ، كما يحمد له عدم رضاه عن الشاعر الذي يتناقض في القصيدة الواحدة ، لأن القصيدة تناغم منسجم نابع من لحظة نفسية وفكرية متسقة ، ولكن قدامة لما مثل على ألوان من تناقض بعض الشعراء أخفق في كثير من الأمثلة التي اجتلبها لهذه الغاية ، أو بمعنى أدق إنه حكم عقليته المنطقية ،ولم يحتكم إلى الذوق. ومن الأمثلة التي توضح ذلك قوله : " ومن التناقض قول ابن هرمة :

تَراهُ إذا أبْصَرَ الضَيْفَ كلبُـه يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وهْوَ أعْجَـمُ

فإن هذا الشاعر أقنى الكلب في قوله : إنه يكلمه ،ثم أعدمه إياه عند قوله : إنه أعجم من غير أن يزيد في القول ما يدل على أن ما ذكره أجراه على طريق الاستعارة ."(٤) لأن أمر هذا البيت أوضح من أن يحتاج إلى مثل هذا التأويل .

---

١ — تاريخ النقد الأدبي ،ص ٤٨ — ٤٩
٢ — نقد الشعر ،ص ١٧ — ١٨
٣ — انظر ،نفسه ،ص ١٨ — ٢١
٤ — الموشح ،ص ٣٤٩ ، نقد الشعر ،ص ٢٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب — عيـــوب المعانـــي .

وقف المرزباني ، فيما أخذه من قدامة بن جعفر ، على جملة من عيوب المعانـــي وهذه هـــي :

١ــ فساد القسم ، وهو على أشكال ثلاثة :

- التكرير ، وذلك بأن يستعمل الشاعر لفظة ثم يورد لفظة أخرى مرادفة لها ، ومثل على ذلك بقول هذيل الأشجعـــي :

فما بَرِحَتْ تُومِي إليّ بِطَرْفِهـــا وتُومِضُ أحْيَانا إذا خَصْمُها غَفَـلْ

"لأن تومض و تومئ بطرفها متساويان في المعنى ." (١)

- ودخول أحد القسمين في الآخر ، ومثل عليه بقول أحدهم (٢)

أُبادِرُ إهْلاكَ مُسْتَهْلِكٍ لِمَا لِيَ أوْعَبَتَ العَابِـثِ

"فعبث العابث داخل في إهلاك مستهلك ." (٣)

- والنوع الثالث من فساد القسم ، هو ما يترك بعضه لما لا يحتمل الواجب تركـــه ، ومن أمثلته قول جرير في بني حنيفة :

صَارَتْ حنيفةُ أثْلاثًا فَثُلْثُهُمُ مِنَ العَبيدِ وثُلْثٌ مِنْ مواليها

وقد كان هذا البيت مثار سخرية من جرير ، إذ قيل لرجل من بني حنيفة : مـــن أي الأثلاث أنت ؟ فقال : من الثلث الملغـــى . (٤)

٢ــ فساد المقابـــلات :

وعرفه قدامة بقوله : " أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر ، إما علـــى جهة الموافقة أو المخالفة ، فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر ، ولا يوافقه ." (٥)

ومن أمثلته قول أبي عدي القبرشـــي :

يَابْنَ خَيْرِ الأخْيَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ أنْتَ زَيْنُ الدُّنيا وَغَيْثُ الجُنودِ

لأن قوله : "غيث الجنود لا يوافق قوله "زين الدنيا" ولا يضاده . وذلك عيب . (٦)

١ــ الموشح ، ص ١٢٤ ، نقد الشعر ، ص ٢٢٦

٢ــ هو وهب بن عبد مناف القرشي / حاشية نقد الشعر نقلا عن حماسة البحترى ، انظر ، حاشية نقد الشعر ، ص ٢٢٦

٣ ــ الموشح ، ص ١٢٤ ، نقد الشعر ، ص ٢٢٦

٤ــ الموشح ، ص ١٢٦ ، نقد الشعر ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩

٥ــ الموشح ص ١٢٦ ، نقد الشعر ، ص ٢٢٩

٦ــ انظر المصدرين السابقين أنفسهما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ ـ المقلـــــوب :

وعرفه قدامه بقوله : " أن يضطر الوزن الشعري إلى إحالة المعنى، فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد به ."(١)

ومثل عليه قدامة بأبيات منها قول الحطيئـــة :

فلمّا خَشِيْتُ الهُوْنَ والعَيْرُ مُمْسِكٌ على رَغْمِهِ ما أثْبَتَ الحَبْلَ حافِرُهْ .(٢)

لأن المعنى المراد : أثبت الحبل حافره ، ولكنه قلب المعنى اضطرارا للوزن .

٤ ـ المبتـــــور :

وعرفه قدامة بأنه " أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد ، فيقطعه بالقافية ، ويتممه في البيت الثاني ."(٣)

ويتضح لنا من خلال تعريف قدامة المبتور ، ومن خلال الأمثلة التي مثل بها عليه، أن المبتور هو ماسماه الصولي بالتضمين عند ما قال تعقيبا على بيتي امرئ القيس :

فَقُلْتُ له لَمّا تَمَطّى بِصُلْبِـهِ وأرْدَفَ أعْجَازًا ونَاءَ بِكَلْكَلِ

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصْبَاحُ مِنْكَ بأمْثَلِ

" خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر ، وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه عن بعض إلى وصوله إلى القافية ."(٤) وهو نفسه الذى سماه علي بن هـــارون المنجم بالتضمين حينا ، وبالاقتضاء والافتقار حينا ثانيا ، وذلك في قوله : " التضمين أحد عيوب القوافي الخمسة ، وليس يكون فيه أقبح من قول النابغة الذبياني :

وهم وَرَدُوا الجِفَارَ على تَمِيـمٍ وهُمْ أصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إنّـي

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَالِحاتٍ أثْنَيْتُهُمْ بِحُسْنِ الوُدِّ مِنّـــي

---

١ ـ الموشح ،ص ١٢٨ ، نقد الشعر ،ص ٢٥٢

٢ ـ نفســه ،ص١٢٨ ، نقد الشعر ،ص ٢٥٢

٣ ـ المصدران السابقان

٤ ـ الموشح ،ص ٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأما قول امرئ القيـــس :

وتَعْرِفُ فيه مِنْ أبيه شَمائِلا ومِنْ خَالِهِ ومِنْ يَزيدَ ومِنْ حَجَـرْ
سماحةَ ذا وبِرّذا ووفاءَ ذا ونائِلَ ذا إذا صحا وإذا سُكِـرْ

فليس ذا بمعيب عندهم ، وإن كان مضمنا ، لأن التضمين لم يحلل قافية البيت الأول مـن بيتي امرئ القيس ، وهذا عند نقاد الشعر يسمى الاقتضاء : أن يكون في الأول اقتضاء للثاني ، وفي الثاني ، افتقار الى الأول ."(١)

وعلى هذا تبرز لنا قضية المبتور ، أو قضية التضمين ضربا من العيب في الشعر من منظور نقاد العرب القدامى ، وخاصة ما انحلت فيه قوافي الأبيات .

٧ـ النقد العروضـي

استحوذت أخطاء الشعراء في العروض والقوافي على اهتمام المرزباني ، فبيـــن عن أهمية التنبيه عليها في مقدمة الكتاب ، وهو تنبيه سبقه إليه واضعو علم العروض والقوافي ، وقد لا حظ المرزباني أن ذلك قد آتى أكله فعدل " جماعة من شعراء الإسلام ، ومن تبعهم في أشعارهم .. عما أنكر على من تقدمهم من هذه العيوب .. فقال جرير :

فلا إقواء إذ مرس(٢) القوافي بأفواه الرُّواة ولا سِنادا ."(٣)

وأردف المرزباني هذه المقدمة بتخصيص الباب الأول من الموشح للحديث عن هـــذه العيوب العروضية فضلا عما أورده عنها في مواضع متفرقة من الكتاب .(٤)

أما هذه العيوب فهي : الإقواء والإكفاء والإبطاء ، والسناد ، والتخليع ، والتفصيل والمقلوب ، والتثليم والحشو والتكلف في طلب القافية .

ويمكن لنا أن نصنف هذه العيوب في ضربين عامين :

الأول : أخطاء شكلية لا تؤثر في الاتساق الموسيقي في الشعر ، ولا تحدث أي خلل في صياغة الألفاظ ، ولا تفسد المعنى ، ويدخل في هذا الضرب الإقواء والإكفاء والإبطاء والسنـــاد .

١ـ الموشح ، ص ٤٩
٢ـ مرس : مارس / حاشية الموشح ، ص ٣
٣ـ الموشح ، ص ٢ ـ ٣
٤ـ انظر مثلا ، في الصفحات ، ١١٨ ، ١٢١ ـ ١٢٣ ، ١٢٧ ـ ١٢٨ .. من الموشح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : أخطاء قبيحة حقا ،لأنها تحدث خللا في الاتساق الموسيقي في البيت أو القصيدة ، كما في التخليع ، أو تحدث خللا في المعنى كما في التفضيل والمقلوب والتثليم ، أو تحمّل البيت الشعرى ألفاظا هو غير مفتقر إليها إلا ليستقيم الوزن ، أو لتطلب القافية ،كالحشو والتكلف في طلب القافيـة .

ولبيان ذلك نقول : إن الإقواء ،أو الإكفاء هو الاختلاف في حركة حرف الروي ، كالذى روى عن اقواء النابغة الذبياني في موضعين من شعره ،(١) وكإقواء بشر بن أبي خازم في قوله :(٢)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُوْلَ الدَّهْرِ يُسْلي وَيُنْسِي مِثْلَما نُسِيَتْ جُذَامُ
وكانوا قَوْمَنا فَبَغَوْا علينَا فَسُقْنَاهُمْ إلى البَلَدِ الشَّآمِي

والملاحظ أن ظاهرة الإقواء كانت أظهر في أشعار شعراء البوادي ،وأنها لم تلاحظ — كما يعكس ذلك الموشح — في أشعار المحدثين ، ولعل التعليل الذى رواه المرزباني كان صائبا ،فقد جاء على لسان النابغة قوله : " قدمت الحجاز وفي شعرى صنعة ، ورحلت عنها ،وأنا أشعر الناس . " ثم عقب محمد بن سلام الجمحي على هذا الموقف بقوله : " وأهل القرى ألطف نظرا من أهل البدو ، وكانوا يكتبون لجوارهم أهل الكتاب."(٣)

هذا هو مفهوم الإقواء ، وهو — على ما هو بين — خطأ شكلي يسير .

وقيل في الاكفاء أيضا هو الاختلاف في حرف الروى وذلك إذا تقاربت مخارج الحروف كالسين والصاد ،والنون واللام والميم .(٤) ومن الأمثلة عليه قول بعض العرب :

إنْ يَأْتِني لِصٌّ فإنِّيَ لِصُّ أَطْلَسُ مِثْلُ الذِّئْبِ إذ يَعْتَسُّ
سَوْقي حِذائي وَصَفيري النَّسُّ(٥)

فقد جمع هذا الشاعر بين السين والصاد لقربهما في المخرج ،والملاحظ أن هذا العيب كان ظاهرة مشتركة لدى بعض شعراء الأعراب ،في حين لم يظهر شيء من ذلك في شعر شعراء القرى ،وذلك لأن شعراء الأعراب لم يكونوا يعرفون ،بوجه عام ،غير الصورة

---

١ — انظر ، الموشح ،ص ٤٥ — ٤٨
٢ — الموشح ،ص ٨٠
٣ — نفسه ،ص ٤٦
٤ — انظر ،الموشح ،ص ١٢ — ١٦
٥ — النس : المضاء في كل شيء ، اللسان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسموعة للحرف فيشتبه أمر الحروف المتقاربة في النطق عليهم ، فيجعلون حرفـــا في مكان حـرف آخـــر .(١)

وهو على هذا النحو ليس إلا خطأ ظاهريا شكليا لا قيمة له فيما نرى .

ومثله في انعدام قيمة التنويه به العيبان الآخران : الإيطاء والسناد ، أما الإيطاء وهو إعادة القافية ، فما العيب في أن يعيد الشاعر القافية مادامت " العرب قـــد استعملته "(٢) وخاصة إذا كانت الإعادة في بيتين متباعدين كقول الأعشى في بيت :(٣)

وهَلْ تُطيقُ وَدَاعًا أيُّها الرَّجُـــلُ

وقوله في بيت آخـر :

وَيْلي عليكَ وَوَيْلي مِنْكَ يارَجُـــلُ

وأما السناد فهو " أن تختلف القوافي . نحو نَقِيب وعَيْب ، وقَرِيب وشَيْب "(٤)

وواضح أنه ، كذلك ، خطأ شكلي لا قيمة له فيما نرى ، وأن قول ابن سلام بأنه ضرب من الخطأ قد يقع فيه " مقاحيم الشعراء وشيانهم "(٥) يفسر اعتبار هذا الضرب من الخطأ شكليا لا يقع فيه المبرزون من الشعراء .

أما أخطاء الضرب الثاني ، وهي التي زعمنا بأنها قبيحة حقا ، فأولها التخليـــع وفيه يقول قدامة بن جعفر : " من عيوب أوزان الشعر التخليع ، وهو أن يكون قبيـــح الوزن قد أفرط قائله في تزحيفه ، وجعل ذلك بنية للشعر الذي يعرف السامع لـــه صحة وزنه في أول وهلة ، إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه ، أو يعرضه على العروض ، فيصـح فيه ، فإن ما جـرى من الشعر هذا المجرى ناقص الطلاوة ، قليل الحلاوة ، وذلك مثـــل قصيدة الأسود بن يعفر :

إنّا زَعَمْنَا على ما خَيَّلَـتْ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ وَعَمْرًا مِنْ تَميم

١ــ انظر في تفصيل ذلك كتاب : نعمة رحيم العزاوي : النقد اللغوي حتى نهاية القـرن السابع ، منشورات وزارة الثقافة ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٨ ، ص ٣٠

٢ــ الموشح ، ص ٢٣

٣ــ انظر ، المصدر نفسه ، ص ٢٦

٤ــ المصدر نفسه ، ص ١٨ ، وانظر ، نفسه ، ص ٦

٥ــ انظر ، نفسه ، ص ١٩ ، والمقحم الذي يقتحم سنا الى أخرى ، وليس بالبازل ولا المستحكم والثنيان ، العاجز الواهن / الموشح ، ص ١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَضَبَّةَ المشتري العارَ بِنا وذاك عَمٌّ بِنا غَيْرُ رَحيم (١)

وضرب قدامة مثلا آخر على فساد الشعر بسبب فساد الوزن ، بقصيدة عبيد بن الأبرص لما في بعض أبياتها من خروج على العروض ، ومن ذلك قول عبيد :

والحَيُّ ، ما عاشَ ، في تكْذيب طُوْلُ الحياةِ لَهُ تَعْذيب

ولم يمنعه ما في هذا الشعر من " معنى جيد ، ولفظ حسن " (٢) من انتقاص قدره لأن " وزنه قد شانه ، وقبّح حسنه ، وأفسد جيده . " (٣)

ويتجاوز قدامة عن التزحيف إذا جاء في بيت أو بيتين ، بشرط أن يكون ذلك من غير توال ، ولا إفراط يخرجه عن الوزن . (٤)

والملاحظ أن التخليع لم يبرز بقوة إلا لدى شاعرين مفرقين في القدم ، هما الأسود ابن يعفر ، (٥) وعبيد بن الأبرص ، وذلك قد يكون دليلا على المحاولات الأولى في نظم الشعر .

أما التفصيل والمقلوب فقد سبق لنا بيانهما في غير هذا الموضع .

وأما التثليم فهو " أن يأتي الشاعر بأسماء يقصرعنها العروض ، فيضطر إلى ثلمها والنقص منها " (٦)

ومن أمثلته قول أمية بن أبي الصلت :

لا أَرَى مَنْ يُعينُني في حياتي غيرُ نفسي إلا بني إسْرال

إذ يريد الشاعر أن يقول : بني اسرائيل ، فاضطر ، تحت ضغط الوزن ، إلى اختزال الكلمة ، وهو اختزال يفسد اللفظ ، ويوقع المتلقي في حيرة .

١ــ الموشح ، ص ١٢١ ، نقد الشعر ، ص ٢٠٦

٢ــ الموشح ، ص ١٢٢ ، نقد الشعر ، ص ٢٠٧

٣ــ المصدران السابقان انفسهما

٤ــ انظر ، المصدرين السابقين ، ص ١٢٣ ، ٢٠٧ على التوالي

٥ــ انظر ترجمته في ، الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص ١٧٦ ، وله قصيدتان في المفضليات

٦ــ الموشح ، ص ٣٦٥ ، نقد الشعر ، ص ٢٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثله في القبح التذنيب ، وهو أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها ،[١] ومنه قول الكميت :

لا كَعَبْدِ المليكِ أوْ كَيَزيدٍ أو كَسُلَيْمانَ بَعْدُ أو كَهِشامِ

فعبد الملك أضحى عبد الملك اضطرارا للوزن .

وأقبح من هذا كله التغيير ، وهو أن يحيل الشاعر الاسم عن حاله — وصورته إلى صورة أخرى إذا اضطرته العروض إلى ذلك ،[٢] ومثله قول النابغة الذبياني :

وَنَسْجَ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَّاءَ ذائِلِ[٣]

فذكر "سليم" وأراد "سليمان" اضطرارا للوزن أيضا .

وأما التكلف في طلب القافية ، ففيها يقول قدامة : " ومن عيوب الشعر أن تكون القافية مستدعاة ، قد تكلف في طلبها ، فاشتغل معنى سائر البيت بها ، مثل ما قال أبو تمام الطائي :

كالظَّبْيةِ الأدْماءِ صافَتْ فارْتَعَتْ زَهْرَ العَرارِ الغَضَّ والجَثْجاثا

فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية ، وإلا فليس في وصف الظبية بأنها ترتعي الجثجاث كبير فائدة . . . لا سيما والجثجاث ليس من المراعي التي توصف."[٤]

---

١ — انظر ، الموشح ، ص ٣٦٦ ، نقد الشعر ، ص ٢٥٠

٢ — الموشح ، ص ٣٦٧ ، نقد الشعر ، ص ٢٥١

٣ — القضاء : الدرع الثقيلة ، وقد فسرها محقق الموشح بالمحكمة ، وهو خطأ ، انظر حاشية الموشح ، ص ٣٦٧ ، والذائل : الدرع الطويلة ، حاشية نقد الشعر ، ص ٢٥١

٤ — الموشح ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، نقد الشعر ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظواهر أخرى تبدو في الكتـــاب

١ــ ظاهرة التكـــــرار

٢ــ ظاهرة الشرح اللغـــوى

٣ــ الجانب التاريخـــي

٤ــ إضافات المرزباني في الموشح :

أ ــ المظهر الأخبـارى

ب ــ المظهر النقـــدى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ــ ظاهرة التكرار في "الموشح"

تتكرر في "الموشح" كثير من الأخبار والمواقف النقدية . ويستطيع الدارس أن يحصر أهم مبررات التكرار في النقاط التاليـــة :

أ ــ يورد المرزباني الرأي النقدي في حديث عام عن العيوب في صناعة الشعر، ثم يعيد ذكره في موطن خاص عن عيوب في صنعة شاعر بعينه، من ذلك أنه أورد في باب "جماعة من شعراء الاسلام" قول قدامة بن جعفر في عيوب ائتلاف المعنى والقافية : "ومن عيوب الشعر أن تكون القافية مستدعاة، قد تكلف في طلبها، فاشتغل معنـــى سائر البيت بها ..."(١) ثم أعاد إيراد هذا الاقتباس من قول قدامة مرة ثانيـــة، لدى حديثه عن مآخذ العلماء على شعر أبي تمام .(٢)

ب ــ الاختلاف في رجال السند قد يكون سببا في إيراد الخبر مرتين أو أكثر، إلـــى جانب إيراده الخبر نفسه في ترجمته لشاعر، وإعادته له في ترجمته لشاعر آخر لـــه صلة ما بالشاعر الأول . وللتدليل على الأمرين معا نسوق الخبر التالي : قال المرزباني "أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال : أخبرنا أحمد بن يحيى النحوي، قال : أخبرنا سعد بن المبارك، عن أبي عبيدة، قال : حدثني أدهم العنبري .. عن رجل أراه من بني سعد .

وكتب إليّ أحمد بن عبد العزيز، قال : أخبرنا عمر بن شبه، قال: حدثني أحمـــد ابن معاوية، قال : حدثني بعض أصحابنا عن رجل من بني سعد، وحدثني علي بـــن عبد الرحمن قال : أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، عن أبيه، قال : حدثنـــي إسحاق الموصلي، عن رجل من بني سعد : كنت مع نوح بن جرير في أصل شجرة ــ أو قال سدرة ــ ..."(٣)

فهذا الخبر برجال سنده وتمام نصه جاء في صدد حديث المرزباني عن مآخذ العلماء على شعر جرير أولا، ثم نراه يعيد ذكر الخبر نفسه وهو بصدد حديثه عن مآخـــذ العلماء على شعر نوح بن جرير، ولا فارق بين متني الخبر في الموضعين ألبتة، ولكن رجال السند ليسوا هم هم .(٤)

١ــ الموشح، ص ٣٦٨ ــ ٣٦٩
٢ــ المصدر نفسه، ص ٤٩٤ ــ ٤٩٥
٣ــ المصدر نفسه، ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩
٤ــ انظر المصدر نفسه، ص ٣٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ ــ وقد يورد البيت الشعرى الواحد في مواطن عديدة ،لأن موطن الاستدلال به في موطن قد يختلف عنه في موطن آخر . فبيت الفرزدق المشهور :

وما مِثْلُهُ في الناسِ إلّا مُلَمَّكًا أبُو أُمِّه حَيٌّ أَبُوه يُقارِبه

ورد في موطن للاستدلال به على وضع الكلام في غير موضعه ،(١) وفي موطن ثان للاستدلال به على الضرورات القبيحة ،والألفاظ الهجينة ،والمعاني البعيدة ،(٢) وفي موطن ثالث للاحتجاج على الفرزدق وتقديم جرير عليه .(٣)

د ــ وقد يكون الاختلاف في رواية البيت الشعرى هو الهدف من التكرار ،فبيت أبي تمام :

تِسْعين ألفًا كآسادِ الشَّرَى نَضِجَتْ أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ والعِنَب

جاء بهذه الرواية في رسالة ابن المعتز التي جعلها في محاسن أبي تمام ومساويه ، حيث قال ابن المعتز عنه : " وقد سبق الناس إلى عيب هذا البيت قبلي ، وهو من خسيس الكلام ."(٤)

ثم أعاد المرزباني ذكر هذا البيت بإضافة جديدة في نقده ، وباختلاف في روايته فقال : " حدثني علي بن يحيى ، عن علي بن مهدى الكسروى ،قال : من أشهر ما عيب به أبو تمام قوله . . . وقوله :

خمسون ألفا كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب

قال : وكان دعبل يزعم أنه غيره لمّا عيب عليه ، فقال :

خمسون ألفا كآساد الشرى فُقدت أعمارهم فهو وافي لُجَّةِ العَطَبِ

وأن الثاني شر من الأول ، وكان ينكر " لجة العطب " عليه ."(٥)

وأورد المرزباني البيت برواية جديدة ثالثة عن الصولي ،وهي قوله : " وعابوا أيضا قوله :

سبعون ألفا من الآساد قد نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب .(٦)

١ــ انظر الموشح ،ص ١٥٢ ، ٣٥٦
٢ــ انظر المصدر نفسه ،ص ١٦٢ ، ١٦٥
٣ــ انظر المصدر نفسه ، ١٨٧ ، ١٩٢
٤ــ المصدر نفسه ،ص ٤٧٢
٥ــ المصدر نفسه ،ص ٤٩٣ ــ ٤٩٤
٦ــ المصدر نفسه ،ص ٤٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ — وقد يكون الهدف من التكرار توضيح بعض الأحداث وأسماء الأعلام ، من ذلك ما أورده المرزباني من ذم ابن المعتز قول أبي تمام :

خَشُنَتْ عليهِ أُخْتَ بني خُشَيْنِ

لأنه كلام " لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهن . . . وهو بهجاء النساء أولى ."(١)

ثم جاءت الرواية الثانية للبيت نفسه في موضع ثال بإضافة توضيحية ، فعن الصولي قال : وعابوا قول أبي تمام :

خشنت عليه أخت بني خشين

" وخشين بن لأْي بن عُصَيم بن رِفزارة "(٢)

وعاب ابن المعتز قول أبي تمام "(٣)

لياليَنَا بالرَّقْمتين وأَرْضَها سَقَى العَهْدَ مِنْكَ العَهْدُ والعَهْدُ والعَهْدُ

دون بيان موطن العيب ، وتبعه الصولي فعابه كذلك ، ولكنه شرح معناه فقال " أراد سقى أيامَنا التي عهدناك عليها عهد الوصال ، وعهد اليمين التي حلفنا والعهد الأخير هو المطر وجمعه عهاد ."(٤)

ز — وقد يكون حرص المرزباني الراوية هو السبب في ما نجد في " الموشح " من أخبار متكررة .(٥) وهذا الأسلوب لا يمتاز به المرزباني عن جل رواة الشعر والأخبار.(٦)

---

١ — انظر الموشح ، ص ٤٧٤
٢ — الموشح ، ص ٤٩٧
٣ — انظر المصدر نفسه ، ص ٤٨٩
٤ — المصدر نفسه ، ص ٤٩٦ — ٤٩٧
٥ — انظر في ذلك مثلا ، الموشح ، ص ٤٩٩ — ٥٠٢
٦ — خير دليل على ذلك كتاب الأغاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ــ الشرح اللغــوى في " الموشح "

يقف الدارس على كثير من الشروح اللغوية في كتاب " الموشح " بعضها للعلمـاء الذين نقل المرزباني منهم ،أو سمع عليهم ،وبعضها شروح لغوية لا يستطيع القطـع بنسبتها إلى أصحابها ،لأن بعض المصادر التي استقى المرزباني منها مادة كتابـه مفقود . ومع ذلك نستطيع أن نرجح أن جانبا من تلك الشروح كان المرزباني صاحبها ،وذلك لدى مقابلة ما ورد في "الموشح " بما ورد منها في المصادر التـي كانت أصلا من أصوله ، والتي سلمت لنا من عوادى الدهـر .

ومن الأمثلة على شروح العلماء الذين نقل المرزباني منهم ،أو سمع عليهم،قولـه : " أخبرني محمد بن يحيى ، ومحمد بن الحسن ،قالا : أنشدنا أبو العباس ثعلـب أبيات امرئ القيس هذه فقال : البوهة : طائر يشبه البومة ،عقيقته : شعـره ، الأخدب : الذى يركب رأسه ولا يبالي ،والأحسب : إلى السواد ،يبتغي أرنبـا ليأخذ عظمها فيُصيّره عليه من خشية الجن . والخزرافة : يضطرب في جلوسه . والأمّر الضعيف ،شبهه بالجدى ،وأصحب : انقاد . ورجل مرثوء : ضعيف العقل ،ومرثو ، بلا همز ،وجع ، والرثيئة : الوجع .

وقال الصولي في حديثه : الرثأة : ضعف العقل ،والرثية ،بلا همز ،العلة "(١)

وقد أورد المرزباني هذا الشرح اللغوى على أبيات امرئ القيس التي يقول فيها :

يا هِنْدُ لا تَنْكِحي بُوْهَـةً ... عليهِ عَقيقَتُه أحْسَبَـا (٢)
مُرَسَّعَةٌ بيْنَ أرْباقِـــهِ ... بِهِ عَسَمٌ يبْتَغِي أرْنبا (٣)
ليجْعَلَ في سَافِهِ كعْبَها ... حِذارَ المنيَّةِ أن يَعْطَبا
ولسْتُ بخِزْرَافَةٍ في القُعُود ... ولسْتُ بطَيَّاخَةٍ أخْدَبَـا (٤)
ولسْتُ بذِي رَثْيَةٍ إمَّـرٍ ... إذا قِيدَ سُتكْـرَهَا أصْحَبا

١ــ الموشح ،ص ٤٤

٢ــ البوهة : تضرب مثلا للرجل لا خير فيه ،ولا عقل له . عليه عقيقته : عليه شعره الذى ولد به ،يريد أنه لا يتهيأ ،ولا يتنظف . والأحسب : من الحسبة ،وهـي صهبة تضرب الى الحمرة ،وهي مذمومة عند العرب ،الموشح ،ص ٤٤ .

٣ــ المرسعة مثل المعاذة تعلق به مخافة أن يموت أو يصيبه بلاء ويقال ،مرسعة ومرصعة ،والعسم ،يبس في الرسغ واعوجاج / اللسان

٤ــ الطياخة ،الذى لا يزال يقع في سوء لحمقه / اللسان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسبق لنا بيان أن هذه الأبيات والشروح عليها موجودة في مجالس ثعلب.

ومن الأمثلة على الشرح اللغوي الذي لا نستطيع القطع بنسبته إلى أصحابه، ما جاء منه في أعقاب أبيات أبي نواس :

أقولُ لِناقتي إذْ قَرَّبَتْني ... لَقَدْ أَصْبَحْتِ عِنْدي باليمين
فَلَمْ أَجْعَلْكِ للغِرْبانِ نُحلا ... ولا قلتُ : اشْرَقي بِدَمِ الوَتين
حَرَمْتُ على الأَزِمَّةِ والولايا ... وأعلاقِ الرِّحالة والوضين

قال : " الولايا : البرازع، والأعلاق : ما علق على الرحل من العهون وغيره، والوضين : حزام الرحل. "(١)

وأما الشرح الذي نرجح أنه للمرزباني، فمنه شرح الألفاظ، طالع وواقع وعاضد وقاصر، من قول ابن ميادة للقاسم بن جَنْدل الهزاري : " يابن جندل إنما الشعر كنبل في جفيرك ترمي به الغرض، فطالع، وواقع، وعاضد، وقاصر. "

فقال : " الطالع : الذي يطلع الغرض، أي يعلوه لم يزغ يمينا ولا شمالا، وهو يستحب. والواقع : الذي يقع بالغرض. والعاضد : الذي يقع عن يمين الغرض أو شماله، وهو شرها. والقاصر : الذي يقصر دونه، فلا يبلغه، وهو قاصد، والعاضد مابين الشبر إلى قيد الفرس، وكذلك القاصر. "(٢)

وتفسير لفظي الدِّهاس والمُقَيَّد من قول الحَكَم الخُضْري في وصف المطر :

رَكِبَ البلادَ وظَلَّ يَنْهَضُ مُصْعِدا ... نَهْضَ المُقَيَّدِ في الدِّهاسِ المُوقَرِ

فقال : " الدهاس : الليِّن من الرمل. والمقيد : البعير، فشَبَّهَ السَّحابَ بثقل سيرها هذا البعير المقيد الموقر في موضعٍ ليِّن تغوص فيه قوائمه. "(٣)

وأما كيف رجحنا أن هذا الشرح هو شرح المرزباني، فذلك بمقابلة هذين الخبرين اللذين أوردهما المرزباني في " الموشح " بما أورده أبو الفرج الأصفهاني "(٤) في الأغاني

١ــ الموشح، ص ٩٦
٢ــ نفسه، ص ٣٥٦
٣ــ المصدر نفسه، ص ٣٥٧ ــ ٣٥٨
٤ــ انظر، الاغاني، جـ٢، ص ٢٨٤، ولم يشر الاستاذ البجاوي الى ورود هذين الخبرين في الأغاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالخبران في الكتابين متطابقان ،ولا زيادة إلا هذا الشرح اللغوى الذى وجدناه في "الموشح".

وجاء في الموشح النقل التالي من "نقد الشعر":

"قال بعضهم:

لا يَرْمَضُون إذا حَرَّتْ مشافِرُهُم ولا تَرى مِنْهم في الطَّعْن مَيّالا

ويَفْشَلُون إذا نادى رَبيئَتُهُمُ ألا اركَبُنَّ فقد آنَسْتُ أَبْطَالا

الربي": الطليعة ،فأراد أن يقول: "ولا يفشلون" فحذف "لا" فعاد المعنى إلى الضد".(١)

وتفسير لفظة الربي" غير موجود في نقد الشعر ، فنرجح أن يكون ذلك من تفسير المرزباني.

وجاء في الموشح النقل التالي من "عيار الشعر" "من باب التشبيهات البعيدة...

وقول لبيد بن ربيعة:

فَخْمَةً ذَفْراءَ تُرْتَى بالعُرَى قُرْدُمانيًّا وتَرْكًا كالبَصَلْ

هاتان كلمتان بالفارسية قد أعربتا "قردمانيا" أى عمل قديما فبقي. والترك: البيضة ، وقول النابغة الذبياني:

كأنّ حِجاجَ مُقْلَتِها قَليبٌ من الشَّيْقَيْنِ حَلَّقَ مُسْتَقاهَا

الشيقين: موضع ، وحلّق: غار ،ومستقاها: ماؤها ،والحجاج لا يغور لأنه العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب."(٢)

فتفسير الألفاظ: قردمانيا ، والترك والشيقين ،وحلق ،ومستقاها" غير موجود في عيار الشعر ، وذلك ما يدفعنا إلى ترجيح القول إنه تفسير المرزباني.

١ــ الموشح ،ص ٣٦٤ ، ونقد الشعر ،ص ٢٤٧

٢ــ الموشح ،ص ١٣١ وعيار الشعر ،ص ٩٤ غير أن البيت الثاني منسوب الى النابغة الجعدى لا الذبياني كما في الموشح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ـ الجانب التاريخي في " الموشح "

ليس " الموشح " كتابا في التاريخ ، وليس كتابا في اللغة ، وانما هو كتاب في النقد اللغوي والفني ،

ومع ذلك فإنه لم يخل من فوائد تاريخية تجلي بعض مواطن الموازنة بين الشعراء أو تزيل غموضا عن بعض الأعلام المغمورة ، والأحداث الشخصية أو السياسية غير المشهورة .

فقصة عمرو بن هند مع الشاعرين : الحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم ، يرى المرزباني بنزعته الأخبارية ، أن يذكرها بوجه غير شائع لأنها مرتبطة بقضية الموازنة بين طرفة البكرى ، وعمرو بن كلثوم التغلبي .(١)

ولما كان ذكر " جِعْثن ، والزُّبَيْر والقَيْن " غير واضح وذلك في قول أبي الخطاب الأخفش " لم يهج جرير الفرزدق الا بثلاثة أشياء يكررها في شعره ، كلها كذب ، منها جعثن ، والزبير ، والقين ." (٢) كان لا بد من تفصيل الأمر ، فالجعثن " من خير نساء زمانها ، احتال بنو منقر فأقعدوا إنسانا في طريقها ، وقد خرجت لبعض أمرها ـ فرمى بها فوقعت ، ومضى يعدو ـ ليزيلوا عن أنفسهم شيئا زعموا أن الفرزدق فعله بهم ."(٣)

وأما الزبير فإنه وقف على مسجد بني مجاشع ، فسأل عن عِيَاض بن حِمار بن أبي حمار ، فقال النَّعِر بن زَمَّام المجاشعي : هو بوادي السباع ، فمضى الزبير يريده ، وخرج النعر بن زمام مع الزبير رحمه الله تعالى ، حتى بلغ النَّحَيْت (٤) ثم رجع ."(٥)

" وخبر القين أن رجلا استعان بالفرزدق ، فسأله أن يمشي معه إلى موالي بني سعد في حاجة ، فقال الفرزدق للمستعين به : إن عمتي كان لها قين ، فلما هجاني جرير جعلني قينا بذلك السبب . . . فهذه قصة القين ."(٦)

والأخبار في المهاجاة التي نشبت بين جرير ، وعمر بن لَجَأ التَّيْمي ، لا بد من سردها لأنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمآخذ كل من الشاعرين على الآخر .(٧)

١ـ انظر تفصيل ذلك ، الموشح ، ص ١١٠
٢ـ المصدر نفسه ، ص ١٩٣
٣ـ المصدر نفسه ، ص ١٩٣ ، وجعثن أخت الفرزدق
٤ـ النحيت : موضع من قرى البصرة الدانية . انظر معجم ما استعجم ، جـ٤ ص ١٣٠١
٥ـ الموشح ، ص ١٩٤
٦ـ المصدر نفسه ، ص ١٩٤
٧ـ انظر تفصيل ذلك ، الموشح ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقصة الجَحَّاف بن حَكيم السلمي لا بد من تفصيلها ، لأنها توضح موطن العيب في قول الأخطل مخاطبا عبد الملك بن مروان :

أَلاَ أَبْلِغِ الجَحَّافَ هَلْ هُوَ ثائِرٌ بِقَتْلَى أُصيبَتْ من سُلَيْمٍ وعامر

اذ قال الأخطل هذا القول مقدرا أنه يعير به الجحاف ، فأجراه الجحاف مجرى التحريض ، وخرج بقومه ، فبطشوا بالتغلبيين .(١)

وهكذا ، فإن ما في الموشح من سرد بعض الأحداث التاريخية ، لا ينأى بالكتاب عن الهدف الذى ألف من أجله .

٤ـ إضافات المرزباني في " الموشح "

أشرنا في موضع سابق من دراستنا إلى بعض إضافات المرزباني على ما كان يرويه من المصادر التي استقى منها مادة " الموشح " . ونزيد الأمر تفصيلا هنا فنبين عن المظاهر التي برزت فيها تلك الإضافات جاعلين ذلك في محورين :

الأول : الإضافات التي لم تصدر بعبارة " قال الشيخ أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، رحمه الله تعالى . "

الثاني : الإضافات التي صدرت بتلك العبارة ، والتي يغلب على الظن أنها إضافة من إضافات تلاميذه ، أما الأضافات الأولى فيمكن حصرها في المظاهر التالية :

١ـ الشروح اللغوية ، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في غير هذا الموضع من هذه الدراسة .

٢ـ توثيق نسبة الشعر ،

ومن أمثلة ذلك أنا وجدنا المرزباني ينقل رأى قدامة بن جعفر في التخليع ، كما نقل الأبيات التي مثل بها قدامة عليه ، وقد نسب قدامة تلك الأبيات إلى الأسود ابن يعفر ، ولكنا نجد في الموشح هذا التعبير : " وذلك مثل قول الأسود بن يعفر ، وتروى لغيره . . "(٢) فعبارة " وتروى لغيره " نرجح أنها إضافة من إضافات المرزباني لأنها لم ترد في " نقد الشعر " .

١ـ انظر ، الموشح ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ، عيار الشعر ، ص ٩٦

٢ـ انظر تفصيل ذلك في الموشح ، ص ١٢١ ، نقد الشعر ، ص ٢٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ــ ذكر وجوه أخرى لرواية بعض أبيات الشعر ،

ومن أمثلة ذلك أنا وجدنا المرزباني يورد قول الأخطل رواية عن محمد بن أحمد الحكيمي :

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّقَ السُّوسُ أَصْلَهُ لِعَا حَمَلَتْهُ وَائِلٌ بِمُطِيقِ

ثم يورد العبارة التالية : " ويروى : خرّب السوس جوفه " . وهذه العبارة لا نعثر عليها في طبقات ابن سلام ، وقد أضافها محقق الطبقات ، ونص على وجودها في الموشح ، كما لا نعثر عليها في الأغاني الذى أورد خبر هذا البيت كاملا تاما كما ورد في الموشح .(١)

ومثال ذلك أيضا رواية بيت الأخطل الذى قاله في سُوَيْد بن مَنْجُوف :

قد كُنْتُ أَحْسِبُهُ فِينَا وأُنْبِوُهُ فاليَوْمَ طَيَّرَ عن أَثْوابه الشَّرَرُ

ثم أتبع ذلك بعبارة : " ويروى : قد كنت أُنْبِوُهُ فينا وأُخْبِرُهُ "(٢)

فهذه العبارة الأخيرة لم ترد كذلك في طبقات ابن سلام ــ وان كان المحقق الاستاذ محمود محمد شاكر قد أضافها ــ ولا في الأغاني أيضا .(٣) مع أن الخبر والشعر بتمامهما فيه .

أما الإضافات المصدرة بعبارة : " قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني ... فيمكن حصرها في مظهرين بارزين هما : المظهر الأخبارى ، والمظهر النقدى .

أولا : المظهر الأخبارى

تتبدى نزعة المرزباني الأخبارية في مجمل مؤلفاته ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل ، كما تتجلى في إضافاته التي تبدو في الأخبار التي صدرت بعبارة " قال الشيخ أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني " . ويمكننا تصنيف هذه الإضافات ذات النزع الأخبارى في النقاط التالية :

١ــ انظر هذا البيت وخبره في ، الموشح ٢١٣ ، طبقات ابن سلام ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢١٣

٢ــ الموشح ، ص ٢١٤

٣ــ انظر توضيح ذلك كله في ، الموشح ص ٢١٣ ــ ٢١٤ ، طبقات ابن سلام ، جـ ١ ، ص ٤٧٠ ، الأغاني ، جـ ٨ ، ٣١٢ (ومعنى البيت على الرواية الأولى ، كان يقال لهم القيون فاليوم ذهب عنهم هذا اللقب بفعالهم / حاشية طبقات ابن سلام جـ ١ ص ٤٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ــ إضافة رواية لتعضد روايات أخرى وتقويها ، من ذلك قوله : " وقد روى هذا الحديث أيضا هشام بن الكلبي على هذه الحكاية ، ورواه أيضا عبد الله بن المعتز ، وذكره فيما أنكر من شعر امرئ القيس "(١) وذلك في أعقاب روايته خبر الموازنة بين امرئ القيس ، وعلقمة بن عبدة الفحل فيما رواه عن إبراهيم بن شهاب.(٢)

٢ــ تصحيح رواية بعض الأحداث التاريخية ، ومن أمثلة ذلك قول المرزباني في أعقاب رواية طويلة عن اجتماع رواة الشعراء : نُصَيْب ، وكُثَيِّر ، وجميل ، وحديثهم في شعر أصحابهم : " في هذا الخبر خطأ عند ذكر كثير ، لأن البيت الذي أوله :

يَقِرُّ بِعَيْنِي ما يَقِرُّ بِعَيْنِها

للأحوص بن محمد . "(٣)

وقوله في موضع آخر في أعقاب رواية طويلة عن دخول الفرزدق والأخطل وجرير والبعيث على الوليد بن عبد الملك : " وذكر الفرزدق في هذا الحديث غلط ، لأنه ماورد على خليفة قبل سليمان بن عبد الملك . "(٤)

ورواية المرزباني هذه الحادثة التاريخية عن الفرزدق ترجحها رواية المبرد لهذا الخبر نفسه في كتاب " الفاضل " ، فقد ورد فيه أن الفرزدق وجريرا والأخطل والبعيث وردوا على بشر بن مروان بالكوفة .(٥)

٣ــ ذكر وجوه أخرى في رواية متون النصوص الشعرية .

ومن أمثلة ذلك رواية المرزباني بيت إسحاق بن إبراهيم الموصلي ــ فيما أخبره به أبو الحسن علي به هارون المنجم ، وهو قول إسحاق :

ضَنَّتْ سُعادُ غَداةَ البَيْنِ بالزادِ وأَخْلَفَتْكَ فما تُوفي بميعادِ

فقال المرزباني في أعقاب ذلك : " هكذا قال أبو الحسن ، والرواية المشهورة الصحيحة في بيت الأحوص :

ضَنَّتْ عَقِيلَةُ لما جِئْتَ بالزَّادِ . "(٦)

١ــ الموشح ، ص ٣٢
٢ــ انظر ، الموشح ، ص ٣١
٣ــ الموشح ، ص ٢٥٤
٤ــ نفسه ، ص ٢٦٣
٥ــ انظر ، الفاضل ، ص ١٠٦ ــ ١٠٨
٦ــ الموشح ، ص ٤٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك أيضا ما أورده المرزباني في رواية عن عبد الرحمن بن أبي الزناد الذى قال : " مر أعرابي بكثير وهو ينشد :

أَوَدُّ لَكُمْ خيْرا وتطَّرِحُونَنِي أَسَعْدَ بْنَ ليْثٍ لاخْتِلافِ الصَّنَائِعِ "

فأضاف التعليق التالي : " ويروى ، وتتهمونني أكعب بن عمرو "(١)

٤ــ إضافة تعليقات تجلي بعض ما يتعلق بالشعر الذى يرويه عن شيوخه من أسماء الأعلام والاحداث التاريخية ، أو لتوضيح بعض الأخبار بعامة ،

فزياد بن أبيه يقطب وجهه لما أنشده أحد رواة الشعر مطلع قصيدة الأعشى :

رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمالَهـا غَضْبى عَلَيْكَ فما تقولُ بدالها

وقد فسّر المرزباني سبب تقطيب زياد وجهه فقال : " واسم أم زياد سُمَيَّة فكره ذكر ذلك ."(٢)

وكراهية عبد الملك بن مروان إنشاد إبراهيم بن متمم بن نويرة بعض مراثي أبيه في عمه ، والتي منها قوله :

أدَعَوْتَهُ باللهِ ثُمَّ قَتَلْتَـه لَوْ هُوْ دَعاكَ بمِثْلِها لَمْ يَغْدرِ

سببها أن " كره عبد الملك استماع هذا الشعر لقتله عمرو بن سعيد الأَشْدَق بعد إعطائه الأمان ، وقد رأن ابن متمم وضعه بنو عمرو بن سعيد على إنشاد البيت "(٣)

وأن قصيدة أبي تمام التي سرقها من مكنف أبي سلمى هي " قصيدة أبي تمام التي على روي هذه الأبيات ، ورثى فيها محمد بن حميد ، وأولها :

كذا فلْيَجِلَّ الخَطْبُ ولْيَفْدَحِ الأَمْـرُ ."(٤)

١ــ الموشح ، ص ٢٤٤

٢ــ نفسه ، ص ٣٧٣

٣ــ نفسه ، ص ٣٧٦

٤ــ نفسه ، ص ٥٠٤ ، وانظر أبيات مكنف ، ص ٥٠٣ من المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ــ المظهر النقــدى

تظهر شخصية المرزباني النقدية من خلال تعليقاته التالية :

١ــ عاب التضمين في قول امرىء القيس :

أبَعْدَ الحارثِ المَلِكِ ابْنِ عَمْــرو وبَعْدَ المَلْكِ حَجْرٍ ذي القِبابِ ـ
أُرَجِّي مِنْ صُرُوفِ العَيْشِ لِينًــا ولم تَغْفَلْ عن الضُّمِّ الهِضابِ (١)

وقد أوضحنا مفهوم التضمين لدى نقاد القرن الرابع ، وهو احتياج البيت الأول من الشعر إلى البيت الذى يليه في معناه .

٢ــ أنكر التناقض في قول زهيــــر :

حيّ الدِّيارَ الَّتي لَمْ يَعْفُها القِدَمُ بَلَى وغَيَّرها الأَرْواحُ والدِّيَمُ

إذ قال المرزباني " نفى في أول البيت تغيّر الديار بقدم عهدها ثم أوجــــب ذلك في آخــــره ." (٢)

٣ــ تابع المرزباني النابغةَ في نقده بيت حسان المشهور :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقْطُرْن من نَجْدَةٍ دما

وكان النابغة قد قال لحسان بعد سماعه هذا البيت : " أنت شاعر ، ولكنك أقلَلْتَ جفانك وأسيافك ، وفخرْتَ بمن وَلَدْتَ ، ولم تفخر بمن ولدك ." (٣)

فقال المرزباني : " . . . فأما قوله : فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك ، فــــلا عذر عندى لحسان فيه على مذهب نقاد الشعر . وقد احترس من مثل هذا الزلل رجــل من كلب ، فقال يذكر ولادتهم لمصعب بن الزبير وغيره ممن ولده نساؤهم :

وعَبْدُ العزيز قد وَلَدْنا ومُصْعَبًا وكَلْبٌ أَبٌ للصالحين وَلُودُ

فإنه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضّل رجالهم ، وأخبر أنهم يلدون الفاضلين ، وجَمَع ذلك في بيت واحد ، فأحسن وأجاد ." (٤)

١ــ انظر ، الموشح ، ص ٤٣ (لم تغفل ، أى الصروف ، وهي الأمور المتقلبة بالناس. والصم : جبال ليست بالشوامخ . والهضاب : الصلبة) .
٢ــ الموشح ، ص ٦٢
٣ــ نفسه ، ص ٨٢
٤ ــ نفسه ، ص ٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ــ عاب المرزباني التقديم والتأخير في قول الشماخ .

تَخامصُ عَنْ بَرْدِ الوِشاحِ إذا مَشَتْ تَخامُصَ حافي الخَيْلِ في الأَمْعَزِ الوَجِي

قال المرزباني : " يريد تخامص حافي الخيل الوجي في الأمعز ،فقدم وأخر." (١)

٥ــ عاب القلب الذى يضطر إليه الشاعر ليستقيم له به الوزن الشعرى ، فيأتي البيت على خلاف ما قصد به ، ومثل على ذلك بقول مجنون بني عامر :

يَضُمُّ إليَّ الليلُ أطْفَالَ حُبِّكم كما ضَمَّ أزرارَ القميص البنائقُ

لأنه انما " أراد كما ضم البنائقَ أزرارُ القميص ." (٢)

٦ــ رفض المرزباني النقد غير الموضوعي ،وذلك في ثلاثة مواضع من الموشح :

أولها : تحامل الأصمعي على الفرزدق عندما ادعى الأصمعي بأن تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة ،وأبان عن سبب هذا التحامل في نقد الأصمعي فقال : "وهذا تحامل شديد من الأصمعي ،وتقول على الفرزدق لهجائه باهلة . . ." (٣)

الثاني : لمّا حكمت النوار زوج الفرزدق بأن جريرا أشعر من الفرزدق قال المرزباني معقبا : " ولا يقبل قول النوار على الفرزدق لمنافرتها إياه ." (٤)

الثالث : لمّا بالغ الزبير بن بكار في تبيين سرقات كثير بن عبد الرحمن من جميل قال المرزباني معقبا : " تحامل الزبير بن بكار على كثير . . . ظاهر وهو خصم لا يقبل قوله على كثير . . ." (٥)

٧ــ واذا كان المرزباني قد رفض النقد غير الموضوعي ،وأبان عن حجته في هذا الرفض كما تبين لنا قبل حين ، فإنه يؤيد الحكم النقدي الذى يراه صائبا ،ولكنه لا يعلل قبوله هذا الحكم النقدي معتمدا على شهرة الشاعر في باب من أبواب

١ــ الموشح ،ص ٩٩ (تخامص : تتخامص ، أى تتجافى عن العشي . الأمعز : الأرض الغليظة ذات الحجارة ،والوجي : الحافي ،وهو هنا صفة للحافي . يريد أن هذه المرأة يؤذيها الودع الذى في وشاحها ببرده فتتجافى عنه في مشيها / حاشية الصفحة نفسها) .

٢ــ الموشح ،ص ١٢٩

٣ــ الموشح ،ص ١٦٨ ،وقد سبق

٤ــ نفسه ، ص ١٦٩

٥ ــ نفسه ،ص ٢٤٥ ،وقد سبق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر ، فقد أورد المرزباني رواية عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي " أن مروان بن أبي حفصة قال : من نظر في نقائض جرير والفرزدق علم أن جريرا لم يقم للفرزدق ." ثم عقب بعد هذا بقوله : " وصدق مروان في هذا القول ، والأمر فيه ظاهر غير مستتر."(١)

٨ــ والمرزباني من أنصار المبالغة في الشعر ، ويتضح ذلك في قوله ــ في أعقاب موازنة بين بيتين لكُثيِّر في مدح عبد الملك ، وبيتين للأعشى في مدح قيس بن معدي كرب ــ " رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير ، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الوسط ، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة ، على أنه ، وإن كان لبس الجنة ، أولى بالحزم ، وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه ، لأن الصواب له ،(٢) ولا لغيره إلا لبس الجنة ، وقول كثير يقصر عن الوصف."(٣)

واللافت للنظر في عبارة المرزباني هذه أنها وردت في " نقد الشعر " فهي من أقوال قدامة لا من أقوال المرزباني ، ولكنه لم يشر بأدنى إشارة إلى قدامة .(٤)

وبيتا الأعشى المعنيان هما قوله :

وإذا تجيءُ كتيبةٌ ملمومةٌ خرساءُ(٥) يخشى الذائدون نهالها(٦)

كنتَ المقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ بالسَّيفِ تضربُ معلِمًا أبطالَها

وبيتا كُثيِّر هما قوله :

على ابن أبي العاصي دلاصٌ حصينةٌ أجادَ السَّدي سَرْدَها وأذالَها(٧)

يؤودُ ضعيفَ القومِ حملُ قتيرِها " ويستضلعُ القومَ(٨) الأشمَّ احتمالَها

١ــ الموشح ، ص ١٩٣

٢ــ في " نقد الشعر لا أن الصواب له " انظر ، ص ٧٤ منه ، وهي الصحيحة .

٣ــ نفسه ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٢

٤ــ انظر ، نقد الشعر ، ص ٧٤ . ولم يقف محقق " الموشح " عليه ، انظر ص ٢٣١ منه

٥ــ في نقد الشعر ، شهباء ، انظر ، ص ٧٣ ، وقال ذلك بما في الموشح ، ص ٢٣١

٦ــ نهالها ، عطاشها من السيوف الرماح الظامئة الى شرب الدماء / حاشية الموشح ، ص ٢٣١

٧ــ أذالها : أطال ذيلها ، حاشية الموشح ، ص ٢٣١ ، نقد الشعر ، حاشية ، ص ٧٣

٨ــ هكذا رواية البيت في الموشح ، ص ٢٣١ ، والصحيح يستضلع القوم لأنه لا وجه لنعت القوم بالأشم ، وانظر ، نقد الشعر ، ص ٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩— وأنكر المرزباني — كما أنكر غيره من النقاد — سفساف شعر أبي العتاهية ومثل على ذلك بأبيات قالها أبو العتاهية في عتبة .(١)

١٠— وحاول المرزباني أن يحدد خصائص الشعر الجيد ، وذلك من خلال نظره في خبر أعرض فيه أبو عبيدة معمر بن المثنى عن الاستماع إلى ابن مناذر بعد أن أنشده خمسة أبيات من قصيدة له ، وذلك لأنها لم تشد انتباهه ، وقال أبو عبيدة إن شعر امرئ القيس ، والنابغة ، وزهير ، على قدمه ، مخلد .(٢)

ويورد المرزباني في موضع آخر أبياتاً في وصف الشعر الجيد على تطاول الأيام ، ومن أحسن ما جاء فيه قول عروة بن أذينة :

نَبِّئْتُ أَنَّ رجالاً خاف بعضهم ... شَتْمي، وما كنتُ لِلْأَقْوامِ شَتَّامـا
فإن يكونوا بَرَاءً لا تُطِفْ بهم ... مني شَكَاةً ولا أُسْمِعْهُمُ ذامـا(٣)
وإنْ يَحِيْنُوا أَقُلْ قَوْلاً له أَثَرٌ ... باقٍ يعنّي قَراطيسًا وأَقْلَامـا

وقول دعبل . . . " وقوله " أيضا :

يقولون إنْ ذَاقَ الرديءاتِ شِعْرُه ... وهَيْهَاتَ عُمْرُ الشِّعْرِ طالَتْ طَوائِلُهْ
سأَقْضِي ببَيْتٍ يَحْمَدُ الناسُ أَمْرَه ... ويَكْثُرُ من أَهْلِ الرِّوايةِ حامِلُـــه
يموتُ رَديءُ الشِّعْرِ من قَبْلِ أَهْلِهِ ... وجيِّدُه يَبْقَى ، وإنْ مات قائِلُه .(٤)

فالشعر الجيد هو الشعر الذى يبقى بعد رحيل صاحبه إلى العالم الآخر ، وهو الشعر الذى يكثر حافظوه ، وهو لا يبقى ولا يقبل الناس على روايته إلا لتوافر عناصر الجودة فيه ، وإن لم يفصح المرزباني عن تلك العناصر .

١— انظر ، الموشح ، ص ٤٠١ — ٤٠٢ .
٢— انظر ، المصدر نفسه ، ص ٤٥٣ .
٣— ذاما ، عيبا / اللسان
٤— الموشح ، ص ٥٧٥ — ٥٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١— ورفض المرزباني احتجاج أبي تمام لشعره عندما قال قائل له، وقد رآه عمل شعرا حسنا ، وفي الأبيات بيت واحد ليس كسائرها: " لو اسقطت هذا البيت (١) فقال أبو تمام : " مثل هذا مثل رجل له عشرة بنين ، منهم واحد أعمى ، فـــلا يحب أن يمـــوت ". (٢)

وعلق المرزباني على قول أبي تمام ، فقال : " وهذه حجة ضعيفة جدا ." (٣)

وفي رأينا أن حرص أبي تمام على إبقاء ذاك البيت ، وإصراره على عدم إسقاطه من القصيدة ، نابع من فطرة الفنان وذوقه ، وهي نظرة ترى أن العمل الأدبـــي كل متكامل ، وأن أي جزء فيه لم يرد اعتباطا ، بل كان تعبيرا عن ومضة ذهنية ، أو لحظة شعورية لا يسهل على صاحبهـا التفريط فيهـا ،

في حين أن نظرة النقاد إلى بيت أبي تمام ، هي نظرة خارجية لا تستبطن لحظات الخلق الشعري استبطان الشعراء المبدعين لها .

١٢— وتابع المرزباني أستاذه الصولي في ذم التكرار في الشعر . وكان الصولي قد ذم بيت أبي سعد المخزومي :

أَشِيبُ ولمْ أَقْضِ الشَّبابَ حُقُوقَه ولم يَمْضِ من عَهْدِ الشَّبابِ قَدِيمْ

لأنه ذكر الشباب في هذا البيت مرتين ، وكان يجب أن يغير الأول أو الثانـــي وتغيير الثاني أشبـــه . . . " (٤)

وعقب المرزباني قائلا : " وللبحتري مثله ، وهو قوله :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس ." (٥)

وفي رأينا أن كلا الناقدين غير مصيب ، فتكرار لفظ الشباب في بيت المخزومي مرتبط أشد الارتباط بحالته النفسية المفجوعة بتقضي عهد الشباب المحبوب ، وتكراره أبلغ في الدلالة على ماأراد الشاعر أن يقوله .

١— الموشح ، ص ٤٩٢
٢— نفســه ، ص ٤٩٣
٣— نفسه ، ص ٤٩٣
٤— نفسه ، ص ٥٣٠
٥— نفسه ، ص ٥٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك الحال بالنسبة إلى تكرار لفظة " نفس " في بيت البحتري ، إنه مرتبط أشد الارتباط بحال الشاعر النفسية الحزينة على الصديق المغدور ، والأنفة من القبول " بجدا " اللئيم الجبان ، وكأن النفس غدت نفسين : النفس المكلومة على الخليفة المقتول ، والنفس العزيزة الرافضة لصداقة الجبناء .

١٣ — ووقف المرزباني على سرقة الشاعر أحمد بن أبي فنن ، في قوله من أبيات يتغزل فيها في وصيف الخادم الصغير :

أَيُّها الظَّبْيُ المليحُ الـ ... ـقدِّ مَجْدُولٌ مُهَفْهَفْ
لا تَمِيلَنَّ فإنِّي ... خَائِفٌ أنْ أتَقَصَّفْ

فقال : إنما أخذه ابن أبي فنن من قول قيس بن الخطيم :

كأنَّها عُوْدُ بانةٍ قَصِفُ . (١)

١٤ — ولما قال ابن الرومي في مدح أبي الصَّقْر :

هذا الذي حَكَمَتْ قِدْمًا بِسُؤْدُدِه ... عَدْنَانُ ثم أجَازتْ ذَاك قَحْطانُ
قالوا: أبو الصَّقْرِ مِنْ شَيْبانَ، قُلتُ لهم: ... كَلَّا لَعَمْرِي ، ولكنْ مِنْهُ شَيْبَانُ

وقال أبو الصقر معلقا على هذا المدح : " هجاني والله . . . أنا بشيبان ، ليس شيبان بي . . . "

عقب المرزباني على قول أبي الصقر ، فقال : " وهذا ظلم من أبي الصقر لابن الرومي ، وقلة علم منه بالفرق بين الهجاء والمديح . " (٢)

ورفض أبي الصقر مديح ابن الرومي له نابع من نظرة النقاد العرب بأن الولد يفخر بآبائه لا أن تفخر القبيلة بمن ولدت . (٣)

١٥ — وأطول نص نقدي ، وأوضحه في الدلالة على المرزباني ناقدا هو قوله في أعقاب قصيدة طويلة للبحتري : " وهذه الأبيات من أقبح الهجاء ، وأضعفه لفظا ، وأسمجه معنى ، ولا سيما بيت " البَواري " وهي أيضا خارجة عن طريقة

---

١ — انظر ، الموشح ، ص ٥٢١ . (وصدر بيت قيس هو :
حَوْرَاءُ جِيْدَاءُ يُسْتضاءُ بها / حاشية التحقيق من الصفحة نفسها) .
٢ — الموشح ، ص ٥٤٦
٣ — انظر ما اثبتناه في رقم " ٣ " من إضافات المرزباني النقدية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هجاء الخلفاء والملوك المألوفة ،وهي بهجاء سفلة الناس ورعاعهم أشبه،مع ما جمعت من سخافة اللفظ ،وهلهلة النسج ، والبعد من الصواب .

وكثير من أهل الأدب ينكر خبث لسان علي بن العباس الرومي ،ويطعن عليه بكثرة هجائه ، حتى جعلوه في ذلك أوحد لا نظير له ،ويضربون عن إضافة البحتري إليه ، وإلحاقه به ،مع إحسان ابن الرومي في إساءته ، وقصور البحتري عن مداه فيه ،وأنه لم يبلغه في دقة معانيه ،وجودة ألفاظه وبدائع اختراعاته ،أعني الهجاء خاصة ،لأن البحتري قد هجا نحوا من أربعين رئيسا ممن مدحه ،منهم خليفتان ،وهما المنتصر والمستعين ، وساق بعدهما الوزراء ورؤساء القواد ،ومن جرى مجراهم من جلة الكتاب والعمال ،ووجوه القضاة والكبراء بعد أن مدحهم ،وأخذ جوائزهم ،وحاله في ذلك تنبئ عن سوء العهد ،وخبث الطريقة .

ومما قبح فيه أيضا ،وعدل عن طريق الشعراء المحمودة — أني وجدته قد نقل نحوا من عشرين قصيدة من مدائحه لجماعة توفر حظه منهم عليها إلى مدح غيرهم ،وأمات أسماء من مدحه أولا ، مع سعة ذرعه بقول الشعر ،واقتداره على التوسع فيه .

ولم أذكر حاله في ذلك على طريق التحامل مع اعتقادي فضله وتقديمه ، ولكنني أحببت أن أبين أمره لمن لعله انسترعنه . وحسبنا الله ونعم الوكيل .»(١)

والقصيدة التي أثارت هذه الموجة من النقد هي قصيدة البحتري في هجاء المستعين ومنها قوله :

أعاذلتي على أسماء ظلما ... وإجراء الدموع لها الغزارِ
متى عاودت بيني فيها بلوم ... فبيتي ضجيعة للمستعارِ
لأسلح حين يمسي من جباري ... وأقضم حين يصبح من جمارِ
ولو أنا استطعنا لافتدينا ... قطوع الرتم منه بالهواري(٢)
وما كانت ثياب الملك تخشى ... جريرة بائلٍ فيهن حارِ(٣)

١ــ الموشح ،ص ٥١٤ — ٥١٥
٢ــ الرتم : الدق والكسر . ورواية البيت في الديوان : قطوع الرقم ،والرقم ضرب مخطط من الوشي ، والهواري جمع الباري وهو معرب البوريا بالفارسية وهي الحصير المنسوج من قصب ،الديوان ،جـ٢ ،ص ٩٣٦ .
٣ــ انظر ،المصدر نفسه ،ص ٥١٣ — ٥١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا النص النقدى قيمة خاصة في الحكم على المرزباني الناقد ، فهو يظهـــره لنـــا :

١ــ ناقدا يرى أن هجاء الملوك والخلفاء له طريق تخالف طريقة هجاء سفلة الناس ورعاعهم ، وهذا نقد خاضع لمبدأ اللياقة .

٢ــ ناقدا يركز على فن القول ، ولهذا قال " . . . إحسان ابن الرومي في إساءته وقصور البحترى عن مداه فيه . " وأن البحترى لم يبلغ فنيا مبلغ ابن الرومي " فـــي رقة معانية ، وجودة ألفاظه ، وبدائع اختراعاته . "

فلفظ " احسان ابن الرومي " نعت لفن ابن الرومي ، " وإساءته " نعت للغـــرض الشعرى الذى هو الهجاء .

٣ــ ناقدا ذا معيار أخلاقي ، ومن هنا جاء ذمه خلق البحترى المتلون لأنه هجـــا من سبق له أن مدحهم ، ونال عطاياهم .

ولكن يجب ألا يصرفنا نقد المرزباني لخلق البحترى عن النظر إلى ما في هذا النقد الخلقي نفسه من نقد فني ، فملاحظة المرزباني على تحوير البحترى قصائده في المديح لتغدو قصائد مديح في ممدوحين آخرين بعد موت ممدوحيه الأولين ، فيهـــا كشف عن مدى افتقار مثل هذه القصائد إلى صدق الشعور . وهذه ملاحظة ذات مساس وطيد بفن النقـــد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــــــة

أثر الموشح في التواليف التالية .

على الرغم من أن عددا من المصنفين (١) عولوا في مصنفاتهم كثيرا على مؤلفات المرزباني ، فإنه لا يكاد يظهر أثر الموشح بصورة واضحة إلا في كتابين : الأول أمالي الشريـــف المرتضى ، والثاني خزانة الأدب للبغدادى . أما الشريف المرتضى فقد روى عـــن

١ــ انظر في ترجمة ثمامة بن أشرس : تاريخ بغداد ،جـ ٧ ،ص ١٤٥ — ١٤٨ ولعـــل هذه الترجمـة منقولة من كتاب المرزباني "أخبار المعتزلة "،وانظر أيضا في ترجمة جعفر بن بشـر المعتزلي ،جـ٧ ،ص ١٦٢ ، ولعلها أيضا من كتاب " أخبـــــار المعتزلـة " . وانظر في ترجمة جعفر بن يحيى البرمكي ،جـ٧ ،ص ١٥٢ — ١٥٣ ، ولعلها من كتاب المرزباني "أخبار البرامكة ،وانظر في ترجمة إسحاق بن إبراهيـم الموصلي ،جـ٦ ، ص ٣٤٢ — ٣٤٣ ،ولعل هذه الترجمة من كتاب المرزباني "الرائق" الذى قال عنه ابن النديم " وهو أخبار المغنين أكثر من ألف وستمئة ورقة "أو من كتابه الثاني في الغناء والمغنين وهو كتاب " الواثق " انظر : الفهرست ص١٤٧ وانظر : في ترجمة إسحاق بن إبراهيم الموصلي ،معجم الأدباء ،جـ٦ ،ص٩ ،حيث تطابق ما فيه منقولا عن المرزباني ،مع ما في تاريخ بغداد ، هذا عدا الكثير مما ورد في تراجم أعلام كثيرين ،انظر في ترجمة أبي العتاهية : تاريخ بغداد ،جـ٦ ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، وانظر في ترجمة الحسين بن الضحاك : تاريخ بغداد ، جـ٨ ص ٥٤ ،وانظر في تراجم عبد الله بن الحجاج ،وعبد اللـه بن خارجة أعشى بنـي ربيعة ،وعبد الله بن خازم السلمي ، والعجاج ،وعبد الله بن الزبير بن سليم الشاعر تاريخ مدينة دمشق /جـ ٣ ،الصفحات ١٠٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٣٦١ ، ٥٠٧ ، وانظر المصدر نفسه في ترجمة أحمد بن محمد بن فضالة ،جـ٧ ،ص ٣٨٠ ، ولعـــل هذه التراجم مأخوذة من كتاب المرزباني " معجم الشعراء " وانظر : معجم الأدباء جـ ٤ ،ص ٣٥ ، ٤٩ ، ٢٢٣ ، والمصدر نفسه ، جـ١٠ ،ص ١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيخه العرزباني في نيف وسبعين مرة (١)، ترجح لي من هذه الروايات جميعا خبران، كان مصدر المرتضى فيهما كتاب " الموشح " : الأول قال فيه المرتضى دون أن ينص على اسم العرزباني : " . . . رُوي عن أبي عمرو بن العلاء أنه لقي ذا الرمة فقال له أنشدني قصيدتك :

مابال عينك منها الماء ينسكب البيت

فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله :

تُصْغي إذا شَدَّها بالكُورِ جانحةً حتّى إذا اسْتَوَى في غَرْزِها تَثِبُ (٢)

فقال له أبو عمرو بن العلاء قول الراعي أحسن مما قلت :

تراها إذا قام في غَرْزِها كَمِثْلِ السَّفينة أَوْ أَوْقَرُ
ولا تُعْجِلُ المَرْءَ قَبْلَ الوُرُو كِ وهْيَ بِرُكْبته أَبْصَرُ

فقال ذو الرمة : إن الراعي وصف ناقة ملك ، وأنا وصفت ناقة سوقة." (٣)

والثاني ، قال فيه الشريف المرتضى : " أخبرنا محمد بن عمران العرزباني ، قال : أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل ، قال : حدثنا التوّزي عن أبي عمرو الأسدي ، قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : عمر بن أبي ربيعة حجة في العربية ، وما أخذ عليه شيء إلا قوله :

ثم قالوا تُحِبُّها قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ والحصى والتُّرابِ

١ــ انظر مثلا في ترجمة الحسين بن مطير ، ودعبل ، وأبي حية النميري ، وبشار وابن الرومي ، وقطرى بن الفجاءة ، أمالي الشريف المرتضى ، جـ١ ، ص ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ ، ٥٠٩ ــ ٥١٢ ، ٦٢٦ ــ ٦٢٧ ، ٦٣٦ ــ ٦٣٨ ، ولعل هذه التراجم مأخوذة من كتاب معجم الشعراء ، أو من كتاب المستنير ، أو من كتاب " المفيد ". وانظر حديث الشريف المرتضى عن البرامكة ، جـ٢ ، ص ٢٧٤ ، ولعله من كتاب العرزباني " أخبار البرامكة ".

٢ــ تصغي : تميل رأسها كأنها تستمع ، أي هي مؤدبة ليست بنفور ولا ضجور ، والغرز للناقة بمنزلة الركاب للدابة ، وهي نسع مضفور ، والكور : الرحل. الموشح ، ص ٢٧٨ .

٣ــ أمالي الشريف المرتضى ، جـ١ ، ص ٢٧٨ ــ ٢٧٩ ، وانظر الموشح ، ص ٢٧٨ ، غير أن رواية بيت الراعي الأول في الموشح جاءت هكذا : وهي . . .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وله فيه عذر إذْ أراد الخبرَ لا الاستفهام ... وأنشد أبو عمرو:

لَحَى اللهُ قومي إذ يبيعون مُهْجَتي بِجاريةٍ بَهْرًا لهم بَعْدَها بَهْرا

قال أبو عمرو: ويكون بهرا بمعنى ظاهرا يريد حبا ظاهرا من قولهم: تمر باهر، وقد روى بعض الرواة أنه قال:

قيل لي تحبها قلت بهرا

والرواية الأولى هي المشهورة.(١)

فهذا الخبر برجال إسناده وتمام متنه في الموشح.(٢)

أما عبد القادر البغدادي(٣) فقد صرح تصريحا في مقدمة كتابه "خزانة الأدب" بإفادته من الموشح، وتبدو مصداقية ذلك في عدد كبير من صفحات الخزانة كان يقول فيها(٤) حينا: "وقال أبو عمرو بن العلاء .. كما في الموشح للمرزباني. شعر ذي الرمة نقط عروس" ويقول حينا ثانيا: "روى المرزباني في كتاب الموشح عن أبي بكر الجرجاني عن المبرد، عن التوزي أنه قال ...".(٥).

أما غير هذين العالمين ممن لم ينصوا نصا صريحا على أخذهم من المرزباني وإفادتهم من موشحه، فإنه يصعب تبين هذا الأمر، وذلك لأن الأخبار التي ترد في الموشح ترد بنصها في كتب أخرى كثيرة ألفت قبل تأليف الموشح ككتاب الأغاني، وكتب الصولي: أخبار أبي تمام وأخبار البحتري والأوراق، وككتابي نقد الشعر، وعيار الشعر ... ولبيان هذه الصعوبة تكفي الإشارة الى كتابين: الأول كتاب القزاز القيرواني "الضرائر أو مايجوز للشاعر في الضرورة" والثاني كتاب ابن عصفور الاشبيلي "ضرائر الشعر".(٦) ففي هذين الكتابين كثير من مواطن التشابه مع ما في الموشح، ولكن ما ورد فيهما متشابها مع ما في الموشح موجود أيضا في كتب النحاة واللغويين السابقين للمرزباني. ويكفي للتدليل

---

١ ـ أمالي الشريف المرتضى، جـ١، ص٣٤٥.
٢ ـ انظر: الموشح، ص٣١٦ ـ ٣١٧
٣ ـ انظر: خزانة الأدب، جـ١، ص ٣٥
٤ ـ خزانة الأدب، جـ١، ص١٠٨، وانظر الموشح، ص ٢٧١
٥ ـ خزانة الأدب، جـ٣، ص٣٧، وانظر الموشح، ص٩٧. غيرأن نص الموشح يختلف اختلافا يسيرا عما هو في خزانة الأدب، ولمزيد من الوقوف على ماأخذه البغدادي من الموشح، انظر: جـ٣، ص ٣٩، ٤٠ ـ ٤٢
٦ ـ حققه ابراهيم محمد، دار الاندلس، ط١، ١٩٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على هذا ، النظر في البيتين التاليين :

أ ـ هُمُ القائلونَ الخيْرَ والآمرونَـهُ إذا ما خَشوا مِنْ مُحْدَثِ الأمْرِ مُعْظِما . (١)

ب ـ تَنْفي يداها الحصى في كلِّ هاجِرَةٍ نَفْيَ الدراهيمِ تَنْقادُ الصيارِيف (٢)

فقد ورد التعليق على هذين البيتين في الكتب الثلاثة بمضمون واحد، والسياق مختلف ، وهما شاهدان يردان في عدد من كتب اللغة والنحو كذلك .(٣)

وتتطابق كثير من الأخبار مما ورد في الموشح مع ما ورد في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ولكن تلك الأخبار يلفاها الدارس كذلك في كتب أسبق تأليفا من هذين الكتابين ، وللتدليل على ذلك سأكتفي بإيراد مثلين حسب :

١ ـ جاء في كتاب الصناعتين قول أبي هلال العسكري : " قول أبي العيال الهذلي

ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس مع الصداع فضل " . فهذا البيت والتعليق عليه موجود بنصه في عيار الشعر ، وفي الموشح .(٤)

٢ ـ وقال أبو هلال العسكري : " وقول النابغة :

ماضي الجِنَانِ أخي صبْرٍ إذا نَزَلَتْ حَرْبٌ يُوائِلُ منها كُلُّ تنْبَالِ

التنبال القصير من الرجال ، وليس القصير بأولى بطلب الموئل من الطوال ، وإن جَعَلَ التنبال الجبان فهو أبعد من الصواب ، لأن الجبان خائف وجل اشتدت الحرب أم سكنت " . وهذا الخبر موجود كذلك بنصه في عيار الشعر وفي الموشح .(٥)

---

١ ـ انظر : الموشح ، ص١٤٩ ، مايجوز للشاعر ، ص١٢٩ ، ضرائر ابن عصفور ، ص ٢٧

٢ ـ انظر : الموشح ، ص ١٥١ ، ما يجوز للشاعر ، ص١٢٨ ، ضرائر ابن عصفوره ص ٢٦

٣ ـ انظر : سيبويه ، جـ١ ، ص١٨٨ ، ٢٨ ، والمقتضب ، جـ٢ ، ص٢٥٨ وقال سيبويه عن البيت الأول " وزعموا أنه مصنوع " .

٤ ـ الصناعتين ، ص٣٥ ، عيار الشعر ، ص١٠٥ ، الموشح ، ص ١٣٩

٥ ـ الصناعتين ، ص٩٤ ، عيار الشعر ، ص١٠١ ، الموشح ، ص١٣٦ ـ ١٣٧ ولمزيد من التمثيل على مدى التشابه بين ما في الموشح وما في مؤلفات المتأخرين انظر مثلا كتاب الخطيب التبريزي : الكافي في العروض والقوافي ، تحقيق الحساني حسن الله نشرة خاصة عن الجزء الأول من المجلد الثاني عشر لمجلة معهد المخطوطات ، مؤسسة عالم المعرفة ، بيروت ، فقد وردت في هذا الكتاب تعريفات بعض المصطلحات العروضية كالتضمين وعيوب القوافي ، ص ١٥٤ ، ١٦٦ ، ولكن لا يمكن للباحث أن يزعم أن هذه التعريفات كان مصدرها الموشح ، على الرغم من التشابه الكبير بين تعريفات هذه المصطلحات في الكتابين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى أية حال ، فإنه يبدو لي أن صاحب كتاب الصناعتين لم يكن ينقل من الموشح ، لأن أبا هلال والمرزباني كانا متعاصرين ، وما كان ميسورا للمرزباني من المصادر كان بالقدر نفسه ميسورا لأبي هلال .

وبعد ، هذا هو كتاب الموشح في الصورة التي يمكن أن تدرس من خلاله قضايا النقد العربي بشتى اتجاهات هذا النقد اللغوى منها والنحوى والعروضي والفني ، وعلى الرغم من قيام هذا النقد على دراسة جوانب جزئية في بنية القصيدة العربية فان الصورة عن هذا النقد تغدو أوضح إذا انضافت ملاحظات اللغوي إلى العروضي إلى الراوية إلى الناقد المتخصص . وفي الموشح مواطن إفادة أخرى من ذلك أنه يعكس صورة للنزاع الذى يحتدم في كل عصر بين الشعراء وعلماء اللغة والنحو ونقاد الشعر على وجه العموم ، وفيه الكثير من النصوص النقدية التي لا يلفاها الدارس في غيره من المصنفات ، لأن كثيرا من الأصول التي استقى منها صاحبه ضاع ، هذا إلى جانب قيمته الخاصة لدى المشتغلين في ميدان تحقيق التراث .

أما أثر مؤلفات المرزباني الأخرى فيبدو واضحا في كثير من مصنفات العصور التالية وهذا دليل على ما كان لتلك المؤلفات من جليل الشأن وعظيم الأثر . ولعل الأيام تكشف لنا عن بعض تلك المؤلفات المفقودة ، أو لعل هناك من سيحمل على كاهله عبء البحث في مصادر التراث عن الضائع من تلك المؤلفات القيمة التي خلفها المرزباني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصادر البحث ومراجعه

أولا : المصـــــادر

١— أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تأليف المقدسي ، نسخة مصورة عن الطبعة الثانية ،بريل ، ١٩٠٦ ،مكتبة خياط ، بيروت .

٢— أخبار البحترى ،تأليف أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ) ، تحقيق د. صالـــح الأشتر ،ط ٢ ، دار الفكر ،دمشق ، ١٩٦٤ .

٣— أخبار أبي تمام ، تأليف أبي بكر الصولي ،تحقيق خليل محمود عساكر وصاحبيـه ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

٤— أخبار السيد الحميرى ، تأليف المرزباني ، (ت ٣٨٤هـ) ،تعليق محمد الهادى الأمينـي ،ط١ ،مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٦٥

٥— أخبار شعراء الشيعة ،تأليف المرزباني ،تلخيص محسن الأمين العاملي ،تحقيق محمد الهادى الأميني ، ط١ ، مطبعة المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٨

٦— أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق ، تأليف أبي بكر الصولي ، تحقيق ج . هيورث دن ، ط٢ ،دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٧— أسرار البلاغة ، تأليف عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ،تصحيح محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ،بيروت ، ١٩٨١ .

٨— الاشتقاق ،تأليف أبي بكر بن دريد (ت ٣٢٠هـ) ،تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ ،منشورات مكتبة المثنى ،بغداد ، ١٩٧٩

٩— أشعار النساء ، تأليف المرزباني ، تحقيق د . سامي مكي العاني وهلال ناجي ، دار الرسالة للطباعة ،بغداد ، ١٩٧٦ .

١٠— الإصابة في تمييز الصحابة (جـ ٤) ، تأليف ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، مطبعة مصطفى محمد ،مصر ، ١٩٣٩ .

١١— إصلاح المنطق ، تأليف ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ،دار المعارف ،مصر ، ١٩٤٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢ــ الأصمعيات ،تأليف الاصمعي ،عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ،ط٥ ، بيروت ، بلا .

١٣ــ الأصنام ، تأليف هشام ابن الكلبي (ت ٢٠٦هـ) تحقيق أحمد زكي ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ،سنة ١٩٢٤ ، الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة .

١٤ــ إعجاز القرآن ، تأليف الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) ، مطبوع بهامش الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ،ط٣ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،مصر ،١٩٥١ .

١٥ــ إعجاز القرآن ،تأليف الباقلاني ،ط١ ،مطبعة الإسلام بحارة الصقائين ، مصر ١٣١٥هـ .

١٦ــ الأغاني (ج ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، تأليف أبي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ،مؤسسة جمال للطباعة والنشر ،بيروت ،بلا .

١٧ــ الألفاظ الكتابية ، تأليف عبد الرحمن الهمذاني (ت ٣٢٢هـ) ،الدار العربية للكتاب، تونس ، ١٩٨٠ .

١٨ــ الأمالي ،تأليف أبي علي اسماعيل القالي (ت ٣٥٦هـ) مراجعة لجنة إحياء التراث العربي ،منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت ، ١٩٨٠ .

١٩ــ أمالي المرتضى (١ــ ٢) تأليف الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،ط ١ ،عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ،١٩٥٤ .

٢٠ــ الإمتاع والمؤانسة (١ــ ٢) تأليف أبي حيان التوحيدي (ت بعد الأربعمائة) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ،منشورات المكتبة العصرية ، بيروت وصيدا ،بلا

٢٢ــ أمل الآمل (القسم الثاني) تأليف الشيخ الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) ، تحقيق السيد أحمد الحسيني ،ط١ مكتبة الأندلس ،بغداد ،١٣٨٥هـ .

٢٢ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،تأليف ابن هشام(ت ٧٦١هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٦ ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٠

٢٣ــ إنباه الرواة على أنباه النحاه (ج ١ ، ٣) تأليف القفطي ،علي بن يوسف (ت ٦٢٤هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٤ـ الأنساب (جـ ١٢) ، تأليف السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) ،ط١ ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ، الهند ،١٩٨١ .

٢٥ـ أنوار الربيع في أنواع البديع (جـ ٥ ، ٦) ،تأليف ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) تحقيق شاكر هادى شكر ،ط١ ،مطبعة النعمان ، النجف ،١٩٦٨ .

٢٦ـ الأوراق ،الجزء الخاص بأخبار الراضي والمتقي ، تأليف أبي بكر الصولـــي ، تحقيق ج . هيورث دن ،دار المسيرة ،بيروت ،١٩٧٩ .

٢٧ـ البداية والنهاية (جـ ١١) ،تأليف ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ،ط٢ ،مكتبة المعارف بيروت ،١٩٧٧ .

٢٨ـ البديع ، تأليف عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ،تحقيق كراتشكوفسكي ، ط٣ ، دار المسيرة ،بيروت ،١٩٨٢ .

٢٩ـ البصائر والذخائر (جـ ٢ ، ٤) ،تأليف أبي حيان التوحيدى ،تحقيق د . إبراهيم الكيلاني ،مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء ،دمشق ١٩٦٤ .

٣٠ـ بغية الطلب (م/٩) لابن العديم (ت ٦٦٠هـ) ،نسخة مصورة في الجامعة الاميركية في بيروت .

٣١ـ بغية الوعاة ،تأليف جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ،دار المعرفة ،بيروت ، بلا .

٣٢ـ البيان والتبيين (جـ ١) ، تأليف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ،تحقيق عبد السلام هارون ،ط٢ ،مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد ،١٩٦٠ — ١٩٦١ .

٣٣ـ تاريخ بغداد (جـ٣ — ٨ ، ١٠ — ١١) ،تأليف الخطيب البغدادى ،(ت ٤٦٣هـ) ، ط١ ،مكتبة الخانجي والمكتبة العربية ،بغداد ،١٩٣١ .

٣٤ـ تاريخ مدينة دمشق (جـ٣) تأليف ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ،تحقيق سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي ، والجزء السابع ، تحقيق عبد الغني الدقر ومطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق ،١٩٨١ — ١٩٨٢ .

٣٥ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (القسم الرابع) ،تأليف ابن حجر العسقلانـــي ، تحقيق علي محمد البجاوى ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،بلا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٦ــ تلخيص المفتاح ،تأليف القزويني (ت ٧٣٩هـ) ،ط١ ،مكتبة مصطفى البابـــي الحلبي ،القاهرة ،١٩٣٨ .

٣٧ــ التنبيه والاشراف ،تأليف المسعودى (ت ٣٤٦هـ) ،مكتبة خياط ، بيروت، ١٩٦٥

٣٨ــ توشيع التوشيح ، تأليف صلاح الدين الصفدى (ت ٧٦٤ هـ) ،تحقيق ألبير جبيب مطلق ،دار الثقافة ، بيروت ،١٩٦٦ .

٣٩ــ ثمرات الأوراق ، تأليف ابن حجة الحموى ت ٨٣٧هـ) ، تحقيق مفيد محمد قمحية ، ط١ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٨٣ .

٤٠ــ جامع الرواة ، تأليف محمد بن علي الأردبيلي (ت ١١٠٠هـ) ،منشورات دار الأضواء ،بيروت ،١٩٨٣ .

٤١ــ جمهرة النسب ، تأليف هشام بن الكلبي ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، وقف على طبعه محمد خليفة التونسي ،مطبعة حكومة الكويت ،١٩٨٣ .

٤٢ــ جمهرة نسب قريش ، تأليف الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) ،تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني ،القاهرة ،١٣٨١هـ .

٤٣ــ الحماسة البصرية (١ــ٢) ،تأليف صدر الدين البصرى (ت ٦٥٩هـ) ،عالم الكتب ، بيروت ،بـــلا .

٤٤ــ الحيوان (جـ١ ــ٢) ،تأليف الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ،ط٣ ،القاهرة ، ١٩٦٩ .

٤٥ــ خزانة الأدب وغاية الأرب ، تأليف ابن حجة الحموى ، مطبوع بهامشه رسائـــل البهذاني ،بلا تاريخ ولا مكان نشـــر .

٤٦ــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (جـ١ ــ ٣) ، تأليف عبد القادر البغدادى ، (ت ١٠٩٣هـ) ،تحقيق عبد السلام هارون ،دار الكتاب العربي ، القاهرة ،١٩٦٨

٤٧ــ درة الغواص في أوهام الخواص ،تأليف الحريرى (ت ٥١٦هـ) ،طبعة بالأوفست ، مكتبة المثنى ببغداد ، بلا

٤٨ــ دلائل الإعجاز تأليف عبد القاهر الجرجاني ،تصحيح الشيخ محمد عبده ومحمـــد محمود التركزى الشنقيطي ،وقف على طبعه محمد رشيد رضا مكتبة القاهرة ،١٩٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٩ ــ ديوان الأخطل ، صنعة السكرى برواية أبي جعفر محمد بن حبيب ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ط١ ، دار الأصمعي ، حلب ، ١٩٧١ .

٥٠ ــ ديوان أمية بن أبي الصلت ، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، ط٢ ، المطبعة التعاونية ، دمشق ، ١٩٧٧ .

٥١ ــ ديوان البحترى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢

٥٢ ــ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى (جـ١ــ٢) تحقيق الدكتور محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥ .

٥٣ ــ ديوان جرير ، تحقيق الدكتور نعمان محمد طه ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١

٥٤ ــ ديوان شعر الحادرة ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣

٥٥ ــ ديوان ذى الرمة بشرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ورواية أبي العباس ثعلب (جـ١) ، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، مطبعة طربين ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٢ .

٥٦ ــ ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمرى (ت٤٧٦هـ) ، تحقيق دريه الخطيب ولطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٥ .

٥٧ ــ ديوان الفرزدق (جـ١ ــ٢) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠

٥٨ ــ ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١ .

٥٩ــ ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٣

٦٠ــ ذيل الأمالي والنوادر ، تأليف القالي ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠

٦١ــ روضات الجنات (جـ٧) تأليف محمد باقر الموسوى ، تحقيق أسد الله اسماعيليان ، نشر مكتبة إسماعيليان ، طهران ، بلا

٦٢ــ سير أعلام النبلاء (١٠ ، ١٥ ــ ١٦) ، تأليف الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ــ ١٩٨٣

٦٣ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب (جـ٣) ، تأليف ابن العماد الحنبلي ، ط٢ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٤— شرح أشعار الهذليين بصنعة السكرى (جـ٢) تحقيق عبد الستار أحمد فراج ومحمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٦٥— شرح ديوان الحماسة ، تأليف المرزوقي (ت ٤٢١هـ) ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١ .

٦٦— شرح ديوان زهير ، صنعة ثعلب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٤ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٦٧— شرح ابن عقيل ، ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ١٣ ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٦٢ .

٦٨— شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، جمع صلاح الدين المنجد ، ط١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢ .

٦٩— الصناعتين ، تأليف أبي هلال العسكرى (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٧٠— ضرائر الشعر أو ما يجوز للشاعر في الضرورة ، تأليف القزاز القيرواني (ت ٤١٢هـ) تحقيق المنجي الكعبي ، الدار التونسية ، ١٩٧١ .

٧١— ضرائر الشعر ، تأليف ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٩٦هـ) ، تحقيق إبراهيم محمد ، ط١ ، دار الأندلس ، ١٩٨٠ .

٧٢— طبقات الشعراء ، تأليف ابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ .

٧٣— طبقات فحول الشعراء ، (جـ١ — ٢) تأليف ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢) هـ) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٧٤— طبقات المعتزلة ، تأليف ابن المرتضى (ت ٨٤٠هـ) ، تحقيق سوسنه ديفلد فلزر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦١ .

٧٥— طبقات النحاة واللغويين ، تأليف ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ) تحقيق محسن غياض ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٦ــ العبر في خبر من غبر (جـ٣) ، تأليف الذهبي ،تحقيق فؤاد سيد ،الكويت، ١٩٦١

٧٧ــ العبر وديوان المبتدأ والخبر (جـ٣ ، ٥) ، تأليف ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ، منشورات دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، ١٩٦٧ .

٧٨ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (جـ١ــ ٢) ،تأليف ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط ٥ ،دار الجيل بيروت ، ١٩٨١ .

٧٩ــ عيار الشعر ، تأليف ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) ،تحقيق عباس عبد الستار ، ط١ ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ .

٨٠ــ عيون التواريخ (م/٦)تأليف ابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) ،مخطوط بمكتبة حافظ الأسد ،برقم ٣٤٠٨ تاريخ ، دمشق .

٨١ــ الفاضل في اللغة والأدب ، تأليف المبرد (ت٢٨٦هـ) ،تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ،دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥

٨٢ــ فحولة الشعراء ، تأليف الأصمعي ،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ،ط١ ،المطبعة المنيرية بالأزهر ، ١٩٥٣

٨٣ــ الفخري في الآداب السلطانية ، تأليف محمد بن علي بن طباطبا ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ .

٨٤ــ الفرج بعد الشدة (جـ١ ــ٢) ،تأليف أبي علي المحسن التنوخي (ت٣٨٤هـ) تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ،بيروت ، ١٩٧٨ .

٨٥ــ الفهرست ، تأليف ابن النديم (ت٣٨٥) ،تحقيق رضا تجدد ،طهران ١٩٧١ .

٨٦ــ فوات الوفيات (جـ١ــ٤) ،تأليف محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) ،تحقيق الدكتور إحسان عباس ،دار صادر ،بيروت .

٨٧ــ قراضة الذهب في نقد اشعار العرب ، تأليف ابن رشيق القيرواني ، تحقيق الشاذلي بويحيى ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٢ .

٨٨ــ قواعد الشعر ، تأليف أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ) ،برواية المرزباني ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ،ط١ ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٩— الكامل (١—٤) تأليف المبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته ، دار نهضة مصر ، بلا .

٩٠— الكامل في التاريخ (جـ٩) ، تأليف ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٢ .

٩١— الكافي في العروض والقوافي ، تأليف الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) تحقيق الحساني حسن الله ، نشرة خاصة عن الجزء الأول من المجلد الثاني عشر لمجلة معهد المخطوطات ، مؤسسة عالم المعرفة ، بيروت ، بلا .

٩٢— الكتاب (جـ ١ — ٢) ، تأليف سيبويه (ت ١٥٤هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا .

٩٣— كشف الظنون (جـ٢) تأليف حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) طبع وكالة المعارف العثمانية ، ١٩٤٣ .

٩٤— لب اللباب في تحرير الأنساب ، تأليف السيوطي ، طبعة بالأوفست ، مكتبة المثنى ببغداد ، بلا .

٩٥— لحن العوام ، تأليف أبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) ، تحقيق رمضان عبد التواب ط١ ، المطبعة الكمالية ، ١٩٦٤ .

٩٦— لسان العرب لابن منظور الافريقي

٩٧— لسان الميزان (المجلد الخامس) ، تأليف ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، ط٢ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧١ .

٩٨— ما تلحن فيه العوام ، تأليف الكسائي (ت ١٨٢هـ) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ .

٩٩— المثل السائر (جـ٢) تأليف ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٩

١٠٠— المحبر ، تأليف محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) ، تحقيق د . ليختن شتيتر ، طبع دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، ١٩٤٢ .

١٠١— مجاز القرآن ، تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) ، تحقيق د . محمد فؤاد سزكين ، ط١ ، منشورات محمد سامي الكتبي ، مصر ، ١٩٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٢ــ المجازات النبوية ،تأليف الشريف الرضى (ت ٤٠٦هـ) ،تحقيق محمود مصطفى مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٩٣٧

١٠٣ــ مجالس ثعلب ، تأليف أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ) ،تحقيق عبد السلام هارون ،دار المعارف بمصر ، ١٩٤٨ .

١٠٤ــ المعمرون من الشعراء ، تأليف القفطي (٦٢٤هـ) ،تحقيق حسن المعمري ، منشورات دار اليمامة ،الرياض ، ١٩٧٠ .

١٠٥ــ مختصر التاريخ ،تأليف ابن الكازروني ، تحقيق د . مصطفى جواد ،مطبعة الحكومة، بغداد ، ١٩٧٠ .

١٠٦ــ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة ،تأليف ابن قيم الجوزية ، تحقيق زكريا علي يوسف ،ط٢ ،مطبعة الامام ، مصر ، ١٣٨٠هـ .

١٠٧ــ المذكر والمؤنث ، تأليف المبرد ، تحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادى ،مطبعة دار الكتب ،بغداد ، ١٩٧٠ .

١٠٨ــ المذكر والمؤنث ،تأليف محمد بن القاسم بن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ) ،تحقيق طارق عبد عون الجنابي ،ط١ ، مطبعة العاني ،بغداد ، ١٩٧٨ .

١٠٩ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان (جـ٢) ،تأليف اليافعي (ت ٧٦٨هـ) ،مطبعة المعارف النظامية ،حيدر آباد الدكن ،الهند ، ١٣٣٨هـ .

١١٠ــ مراتب النحويين ، تأليف أبي الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ،بلا .

١١١ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تأليف المسعودى (ت ٣٤٦هـ) ،ط٢ ،مؤسسة مطبوعات إسماعيليان ،طهران ، ١٩٧٠ .

١١٢ــ المزهر في علوم اللغة (جـ١) ،تأليف السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، بلا .

١١٣ــ معالم العلماء ، تأليف ابن شهر اشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ) ،تحقيق محمد كاظم الكتبي ،المطبعة الحيدرية ،النجف ، ١٩٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٤ــ معجم الأدباء (جـ ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٨ ، ١٩) ، تأليف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، دار ايحاء التراث العربي ، بيروت ، نسخة مصورة عن نسخة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بلا .

١١٥ــ معجم الشعراء ، تأليف المرزباني ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

١١٦ــ معجم الشيوخ ، تأليف الصيداوي (ت ٤٠٢هـ) ، دراسة عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ودار الإيمان ، طرابلس ، ١٩٨٥ .

١١٧ــ معجم ما استعجم (جـ ٤) ، تأليف أبي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥١ .

١١٨ــ المعرب من الكلام الأعجمي ، تأليف أبي منصور الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦١هـ .

١١٩ــ المغني في ضبط الأسماء ، تأليف محمد طاهر بن علي الهندي (ت ٩٨٦هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٩

١٢٠ــ المغني في الضعفاء (جـ ٢) ، تأليف الذهبي ، تحقيق نور الدين عتر ، بلا تاريخ ولا مكان نشر .

١٢١ــ المفضليات ، تأليف المفضل الضبي (ت ١٧٨هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤ .

١٢٢ــ المقتضب (ج ١ ــ ٣) ، تأليف المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ .

١٢٣ــ الملل والنحل (جـ ١) ، تأليف الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

١٢٤ــ من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني ، جمع د . إبراهيم السامرائي ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٥ــ مناقب آل أبي طالب (جـ١) ،تأليف ابن شهراشوب المازندراني ،تحقيق محمد كاظم الكتبي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٥٦ .

١٢٦ــ المنتظم (جـ١ ــ ٧) ، تأليف ابن الجوزى ،أبي الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ) ط١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٨هـ .

١٢٧ــ منهاج البلغاء ، تأليف حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه ، تونس ، ١٩٦٦ .

١٢٨ــ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى (١+٢) ،تأليف الآمدى ،الحسن بن بشر ، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ .

١٢٩ــ الموشح ، تأليف المرزباني ،تحقيق علي محمد البجاوى ،دار نهضة مصر ، ١٩٦٥ . الموشح ،المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ

١٣٠ــ ميزان الاعتدال في نقد الرجال (جـ ٣) ،تأليف الذهبي ،طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،القاهرة ، بلا .

١٣١ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (جـ٤ ، ٧) تأليف ابن تغرى بردى ، (ت ٨٧٤هـ) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ،بلا تاريخ .

١٣٢ ــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ،تأليف أبي البركات كمال الدين بن الأنبارى (ت ٥٧٧هـ) ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ، بلا .

١٣٣ــ نزهة الجلساء في أشعار النساء ، تأليف السيوطي ، تحقيق د . صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٨ .

١٣٤ــ نسب قريش، تأليف المصعب بن عبدالله الزبيرى (ت ٢٣٦هـ) ، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٥٣ .

١٣٥ــ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (جـ ٢ ، ٧) ، تأليف أبي علي المحسن التنوخي ، تحقيق عبود الشالجي ، مطابع دار صادر ، بيروت ، ١٩٧١ ــ ١٩٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٦ـ نقد الشعر ، تأليف قدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق كمال مصطفى ، ط٢ ، منشورات مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٦٣ .

١٣٧ـ نور القبس المختصر من المقتبس ، اختصار أبي المحاسن اليغموري (ت ٦٧٣هـ) ، تحقيق رودلف زلهايم ، دار نشر فرانتز شتاينر ، ڤيسبادن ، ١٩٦٤ .

١٣٨ـ هدية العارفين (جـ ٢) ، تأليف إسماعيل باشا البغدادي ، طبع وكالة المعارف ، استانبول ، ١٩٥٥ .

١٣٩ـ الوافي بالوفيات (جـ ١) تأليف صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، اعتناء هلموت ريتر ، ط٢ ، دار نشر فرانتز شتاينر ، ڤيسبادن ، ١٩٥٩ ، (جـ ٢ ـ ٤) اعتناء س . ديدرينغ .

١٤٠ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تأليف القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بلا .

١٤١ـ وفيات الأعيان (جـ ٤ ، ٧) ، تأليف ابن خلكان ت ٦٨١هـ) ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢

١٤٢ـ يتيمة الدهر (جـ ١ ، ٢ ، تأليف الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : المراجـــع الحديثـــة

أ ـ الكتـــب :

١ـ أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجرى ، تأليف عبد الحكيم بلبع ، مكتبـــة نهضة مصر بالفجالـة ، بلا

٢ـ الأدب ومذاهبة ، تأليف محمد مندور ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، بـلا .

٣ـ أسس النقد الأدبي عند العرب ، تأليف أحمد أحمد بدوى ، دار نهضة مصر ، القاهـرة بـلا .

٤ـ أعيان الشيعة (جـ ٤٦) ، تأليف محسن الأمين ، مطبعة الإنصاف ، بيروت ، ١٩٥٩

٥ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشـف الظنون (جـ ٢) ، تأليف اسماعيل باشا ، وطبع وكالة المعارف ، استانبول ، ١٩٤٧ .

٦ـ البلاغة تطور وتاريخ ، تأليف د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ .

٧ـ بناء القصيدة العربية ، تأليف يوسف حسين بكار ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٩ .

٨ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ، تأليف السيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ) ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١

٩ـ التاج المكلل ، تأليف الحسيني البخارى (ت ١٣٠٧هـ) ، ط ٢ ، تحقيق عبد الحكيـم شرف الدين ، المطبعة الهندية العربية ، ١٩٦٣ .

١٠ـ تاريخ آداب العرب ، تأليف مصطفى صادق الرافعي ، ط ٢ ، مطبعة الاستقامة ، مصر ، ١٩٦٠

١١ـ تاريخ الأدب العربي (جـ ٢) ، تأليف بروكلمان ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ .

١٢ـ تاريخ الأدب العربي ، الأعصر العباسية (جـ ٢) ، تأليف عمر فروخ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣- تاريخ الإسلام السياسي ، (ج ٣) ، تأليف د . حسن إبراهيم حسن ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ .

١٤- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، تأليف د . إحسان عباس ، ط١ ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧١ .

١٥- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، تأليف د . محمد زغلول سلام ، مطبعة المعارف ، الإسكندرية ، بلا .

١٦- الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، تأليف تارل بلات ، ترجمة د . ابراهيم الكيلاني ، نشر دار اليقظة العربية ، دمشق ، ١٩٦١

١٧- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، تأليف آدم متز ، ترجمة د . محمد عبد الهادى أبوريدة ، ط٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧

١٨- أبوحيان التوحيدى سيرته وآثاره ، تأليف عبد الرزاق محيى الدين ، ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

١٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، القسم الثالث من الجزء التاسع ، تأليف آغابزرك الطهراني ، ط١ ، النجف ، بلا .

٢٠- السرقات الأدبية ، تأليف د . بدوى طبانة ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، بلا .

٢١- ضحى الإسلام (ج ٣) ، تأليف أحمد أمين ، ط٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٦ .

٢٢- الضرائر أوما يسوغ للشاعر دون الناثر ، تأليف محمود شكرى الآلوسي ، المطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ، ١٣٤١هـ .

٢٣- العصر العباسي الأول ، تأليف د . شوقي ضيف ، ط٦ ، دار المعارف بمصر ، بلا .

٢٤- العصر العباسي الثاني ، تأليف د . شوقي ضيف ، ط٤ ، دار المعارف ، ١٩٨١

٢٥- علوم الحديث ومصطلحه ، تأليف د . صبحي الصالح ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٢٦- الغدير في الكتاب والسنة (جـ ٢) ، تأليف عبد الحسين أحمد الحسيني ، ط٣، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ .

٢٧- في اللهجات العربية ، تأليف د . إبراهيم أنيس، ط٢ ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، تأليف د . شوقي ضيف، ط٤ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠

نون الشعر في مجتمع الحدانيين ، تأليف د . مصطفى الشكعة ، مكتبة الأنجلو صرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

بن جعفر والنقد الأدبي ، تأليف د . بدوى أحمد طبانة ، ط٣، مكتبة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

تاب (جـ٣) ، تأليف الشيخ عباس القمي ، منشورات المطبعة الحيدرية ١٩٧

لتطور اللغوى ، تأليف د . رمضان عبد التواب ، ط١ ، القاهرة، ١٩٦٧

، تأليف د . منير سلطان ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

وية في التراث الادبي ، تأليف د . عز الدين إسماعيل ، دار ١٩٧٦

ليف د . ناصر الدين الأسد ، ط٢ دار المعارف

جال ، تأليف آغابزرك الطهراني ، ط١، طهران ١٩٥٩

والبيان ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، ط١، ١٩٤ .

٣٨ـ المعتزلة ، تأليف زهدى حسن جار الله ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٣٩ـ معجم المؤلفين (جـ ١١) ، تأليف عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٩٦٠ .

٤٠ـ مناهج التأليف عند العلماء العرب ، تأليف د . مصطفى الشكعة ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢

٤١ـ الموازنة بين الشعراء ، تأليف زكي مبارك ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبـــي

٤٢ـ النثر الفني في القرن الرابع (جـ ٢) ، تأليف زكي مبارك ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

٤٣ـ نفطويه النحوى ، تأليف أكرم ضياء العمرى ، مستل من مجلة كلية الآداب ، العدد الخامس عشر ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٢ .

٤٤ـ النقد الأدبي ، (جـ ٢) تأليف أحمد أمين ، ط٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧

٤٥ـ النقد اللغوى حتى نهاية القرن السابع الهجرى ، تأليف د . نعمة رحيم العزاوى ، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية ، بغداد ، ١٩٧٨ .

الدوريـــــــــات
==========

١ـ دراسة الآراء النقدية في كتاب الموشح ، مجلة كلية الآداب ، جـامعة الملك سعود ، سنة ١٩٨٢ ، وليد قصاب .

٢ـ تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب ، تحقيق الأب لويس شيخو ، مجلة الشرق مجلد ١٢ ، سنة ١٩٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

كلمة الشكر	
مقدمة	ص: أ ـ ب
الفصل الاول	ص١ ـ ٥٨
أ ـ عناية المعاصرين بكتاب الموشح	ص: ١ ـ ٢٦
١ ـ طبعه	ص: ١ ـ ٥
٢ ـ النسخ المخطوطة من الموشح	ص: ٥ ـ ٦
٣ ـ الدراسات السابقة لهذه الدراسة	ص: ٦ ـ ٢٦
آ ـ دراسة منير سلطان	ص: ٦ ـ ٢٠
ب ـ دراسة زكي مبارك	ص٢٠ ـ ٢٤
جـ ـ دراسة وليد قصاب	ص: ٢٤ ـ ٢٦
ب ـ حياة المرزباني	ص: ٢٦ ـ ٤٧
اسمه وكنيته	ص: ٢٦ ـ ٢٧
لقبه	ص: ٢٧ ـ ٢٨
أسرته	ص٢٨ ـ ٢٩
أصله ومولده	ص: ٢٩
ثقافته وصفاته	ص: ٣١ ـ ٣٤
هل نظم المرزباني الشعر؟	ص: ٣٤ ـ ٣٨
المرزباني بين التشيع والاعتزال	ص: ٣٨ ـ ٤٦
وفاته	ص: ٤٦ ـ ٤٧
جـ ـ مؤلفات المرزباني	ص: ٤٧ ـ ٥٨
اتجاهات التأليف عنده	ص : ٤٧ ـ ٥١
مؤلفاته التي وصلت	ص
معجم الشعراء	ص: ٥١ ـ ٥٢
أشعار النساء	ص٥٢ ـ ٥٣
أخبار شعراء الشيعة	ص٥٣ ـ ٥٤
أخبار السيد الحميري	ص٥٤ ـ ٥٥
نور القبس المختصر من المقتبس	ص٥٥ ـ ٥٧
نصان من كتابي أخبار أبي نواس والمستنير	ص٥٧ ـ ٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثانـــي	ص٥٩ ـ ٩٩
كتـــاب الموشـــح :	ص: ٥٩ ـ ٦٤
١ـ تحقيق الاســـم	ص: ٥٩ ـ ٦٠
٢ـ سبب التسميـــة	ص: ٦٠
٣ـ دوافع تأليفـــه	ص: ٦٠ ـ ٦٤
٤ـ هل احتذى فيه مؤلفه على مثال سابق ؟	ص: ٦٤ـ ٦٥
٥ـ شيوخ المرزباني " دراسة في مصادر الموشح "	ص: ٦٥ ـ ٩٤
٦ـ منهج المرزباني في الموشح	ص: ٩٤ـ ٩٩
أ ـ مقدمتـــه	ص: ٩٤
ب ـ مدى تطبيق خطة الكتاب	ص: ٩٥ ـ ٩٨
جـ ـ تقسيم الشعراء فيـــه .	ص: ٩٨ـ ٩٩
الفصـــل الثالـــث	ص: ١٠٠ ـ ٢٤٠
* الاتجاهات النقدية التي يعكسها الموشح	
١ـ النقد اللغوي والنحوي في الموشح	ص: ١٠٠ ـ ١٥١
١ـ في اللفظة المفـــردة	ص: ١٠٠ ـ ١٢٧
أ ـ لغات القبـــائـــل	ص: ١٠٠ ـ ١٠٢
ب ـ تجاوز الشعراء بعض قواعد النحو :	ص: ١٠٢ ـ ١١٦
(١) الضرائر الجائـــزة	ص: ١٠٢ ـ ١٠٨
(٢) الضرائر غير الجائزة	ص: ١٠٨ ـ ١٠٩
(٣) أخطاء لم يرخص فيها للشعراء بأي وجه .	ص: ١٠٩ ـ ١١٦
جـ ـ أثر الاقليم والوسط الاجتماعي في لغة الشعر .	ص: ١١٦ ـ ١١٩
د ـ الألفاظ الأعجمية في الشعر	ص: ١١٩
هـ ـ الألفاظ الحوشية والسوقية	ص: ١١٩ ـ ١٢٥
و ـ الألفاظ الشعرية وغير الشعرية	ص: ١٢٥ ـ ١٢٧
٢ـ في الأسلوب والصياغـــة	ص: ١٢٧ ـ ١٣٤
أ ـ المشاكلة أو استـــواء النسج	ص: ١٢٧ ـ ١٣٤
ب ـ قضايا فرعية أخـــرى عن الأسلوب :	ص: ١٣٤ ـ ١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) الشعر المحكك والشعر المطبوع ص: ١٣٤ ـ ١٣٦
(٢) التقديم والتأخير ص: ١٣٦ ـ ١٣٨
(٣) الايجاز ص: ١٣٨ ـ ١٣٩
(٤) الحشو ص: ١٣٩ ـ ١٤١
جـ ـ الصورة الشعرية ص: ١٤١ ـ ١٤٥
د ـ الصدق والكذب والمبالغة ص: ١٤٥ ـ ١٥١

II الانتحال والسرقة كما يتمثلان في الموشح ص: ١٥٢ ـ ١٧٥
أ ـ الانتحال ص: ١٥٣
أ ـ ارتباط ظاهرة الانتحال بتوثيق الشعر وروايته ص: ١٥٣ ـ ١٥٦
ب ـ بواعث الانتحال: ص: ١٥٧ ـ ١٦٤
أولا: في العصر الجاهلي ص: ١٥٧ ـ ١٥٩
ثانيا: في العصرين الأموي والعباسي ص: ١٥٩ ـ ١٦٤

٢ ـ السرقات الشعرية ص: ١٦٤
أ ـ عدة الناقد في الكشف عن السرقات الشعرية ص: ١٦٥ ـ ١٦٦
ب ـ مواقف النقاد من السرقات الشعرية ص: ١٦٦ ـ ١٧٥
(١) السرقات المعذورة ص: ١٦٦ ـ ١٦٨
(٢) السرقات المعيبة ، ومصطلحاتها ص: ١٦٨ ـ ١٧١
(٣) الاجازة وصلتها بالسرقات ص: ١٧١ ـ ١٧٢
(٤) التوارد ص: ١٧٢
(٥) السرقات في كتب ألفت بعد الموشح ص: ١٧٢ ـ ١٧٤
٣ ـ التزيد في بعض أخبار السرقات الشعرية في الموشح ص: ١٧٤ ـ ١٧٥

٠٣٠/٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis D

III المفاضلة والموازنة بين الشعـراء : ص: ١٧٦

١ـ الموازنة بين العباس بن الأحنف والعتابـي ص: ١٧٧ ـ ١٨٠

٢ـ المفاضلة بين الشعراء ص: ١٨٠ ـ

أ ـ المفاضلة غير المعللـة ص: ١٨٠ ـ ١٩٠

ب ـ المفاضلة استنادا الى مبدأ اللياقة ص: ١٨٠ ـ ١٨٣

جـ ـ المفاضلة على أسس فنية ص: ١٨٣ ـ ١٩٠

(١) منزع التوسط والاعتدال ص١٨٣ ـ ١٨٤

(٢) انصار اللفظة الشعرية ص: ١٨٤ ـ ١٨٥

(٣) المقياس الكمـي ص: ١٨٥ ـ ١٨٧

(٤) أصحاب المنزع الفني في بناء القصيدة ص: ١٨٧ ـ ١٨٩

(٥) مقياس علماء اللغة والنحو ص: ١٨٩ ـ ١٩٠

IV قضايا نقدية أخـرى : ص: ١٩١

١ـ قضية الفحولـة ص: ١٩١ ـ ١٩٤

٢ـ الاخلاق والدين والشعر ص: ١٩٤ ـ ١٩٧

٣ـ مبدأ اللياقـة ص: ١٩٨ ـ ٢٠٦

أ ـ في الغـزل ص: ١٩٨ ـ ٢٠١

ب ـ في المديح ص: ٢٠١ ـ ٢٠٤

جـ ـ في أغراض أخرى ص: ٢٠٤ ـ ٢٠٦

٤ـ براعة الاستهلال وفساده ص: ٢٠٦ ـ ٢٠٨

٥ـ القديم والمحـدث ص: ٢٠٨ ـ ٢١٢

٦ـ نقد المعنـى : ص: ٢١٢ ـ ٢١٧

أ ـ المعنى الرفيع والمعنى الوضيع ص: ٢١٢ ـ ٢١٥

ب ـ عيوب المعانـي : ص: ٢١٥ ـ ٢١٧

١ـ فساد القسـم ص: ٢١٥ ـ

٢ـ فساد المقابـلات ص: ٢١٥ ـ ٢١٦

٣ـ المقلـوب ص: ٢١٦

٤ـ المبتـور ص: ٢١٦ ـ ٢١٧

٧ـ النقد العروضـي ص: ٢١٧ ـ ٢٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظواهر أخـــرى تبدو في الكتـــــاب ص: ٢٢٢ ـ ٢٤٠
١ـ ظاهرة التـــــكرار ص: ٢٢٢ـ ٢٢٥
٢ـ ظاهرة الشرح اللغـــوى ص: ٢٢٥ ـ ٢٢٨
٣ـ الجانب ا لتاريخـــي ص: ٢٢٨ـ ٢٢٩
٤ـ اضافات المرزباني في الموشح ص: ٢٢٩ـ ٢٤٠
أ ـ المظهر الاخبـــارى ص: ٢٣٠ ـ ٢٣٣
ب ـ المظهر النقدى ص: ٢٣٣ ـ ٢٤٠

الخاتمـــــــة :

قيمـة الموشح واثـره في التوا ليف التالية ص: ٢٤١ ـ ٢٤٥
مصادر البحث ومراجعـــه ص: ٢٤٦ ـ ٢٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit